الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ

للإمــام/ زين الدين أبى القاسم القشيرى

عليها تعليقات لشيخ الإسلام

القاضى زكريا بن محمد الأنصارى

رضى الله تعالى عنهما

الناشر

دار جوامع الكلم

١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

القاهرة - الدراسة - ت : ٢٥٨٩٨٠٢٩

الرسالة القشيرية

للإمام زين الدين أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن
ابن عبد الملك بن طلحة القشيرى
المولود ٣٧٦ هـ ٩٨٦ م
المتوفي ٤٦٥ هـ ١٠٧٢م

وعليها تعليقات شيخ الإسلام
القاضي زكريا بن محمد الأنصاري
المتوفى سنة ٩١٠هـ

قرأها وكتب مقدمتها
الشيخ طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

الناشر : دار جوامع الكلم
١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة
تليفون : ٢٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشـــــر

الحمد لله الواحد الأحد ، قيوم السموات والأرض الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..

نحمدك على ما أوليت ونشكرك على ما أعطيت فأفضلت ـ سبحانك اللهم يا واجب الوجود يا رب يا معبود .. يامن جعلت العبادة مفتاح السعادة وأضأت العقول بضوء وجودك ..

نحمدك أن خصصت العارفين بما لا يعرفه إلا أنت وسلبت عقولهم بنور وجهك فتحيروا فى سبحاته وتاهوا ، ثم أفنيتهم عن بقاياهم ففاهو فى صعقتهم بما فاهوا ، ثم أحييتهم بك وآنستهم فنطقوا بالحق إذ شاهدوا محياه ..

نشكرك يا من سطر سرائر العارفين جوامع الكلم من غمائم الحكم وألاح لهم لوائح القدم فى صحائف القدم ..

ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين من الإنس والجن أجمعين ، بنور وجهه أضاء الكون ولأجله خلق الله الخلق وأنشأهم من العدم ..

صلى الله وسلم وبارك على هذا البدر المنير والسراج الوهاج من أضاء به عقول العارفين وجذب قلوبهم إلى الحق المبين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على دربه وسلك سبيله من أوليائك الصالحين ..

وبعـــــــد ..

فقـد دأبت مكتبـتنـا دار جوامع الكلم جعلهـا الله منارا لخـدمـة العلم والمسلمين على أن تطوف بساتين العلم فتقدم أنضر زهورها وأشهى ثمارها وأن تغوص فى بحار الثقافة فتقدم دررها ومراجينها للقارئ المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها وبتوفيق من الله أن أسعدنا بتقديم هذه التحفة الجليلة والجوهرة الثمينة

الرســالـةالقشيريــة

ولن نزيد أو نعيد فى أهمية هذا الكتاب فحسبنا أنه صار بين يديك تنهل منه علما وفضلا .. علم السادة الصوفية والأدب الذى أدبهم به خير البرية ومن جاء بعده سائرا على طريقه متبعا منهجه ..

اللهم يا سامع النداء يا مجيب الدعاء انفع بكتابنا هذا كل من قرأه واجعل ثوابه فى ميزان حسناته ونحن معه يا كريم ..

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خير خلقك وعلى إخوانه من أنبيائك ورسلك وعلى آل بيته وأصحابه الطيبين الطاهرين ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

دار جوامع الكلم

جعلها الله منارا لخدمة العلم والدين

غرة شهر رجب المبارك عام ١٤٢٨ هم هجرة

بدرالتمام صلى الله عليه وآله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

بما أن كتابنا هذا يندرج تحت فهرسة علوم التصوف فلابد لنا من كلمة عن هذا العلم علم التصوف وكتبه ..

بقلم المحقق ..

التصوف : علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ..

وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لأن العبادات إنما وضعت للمعانى التى وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعانى التى لا يصل اليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قُوى بدنه فليس بممكن أن توضع لها الألفاظ فضلا عن أن يعبر عنها بالألفاظ ..

فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام ، والموهومات لا تدرك بالخياليات ، والتخيلات لا تدرك بالحواس فالأمر كذلك ، أما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين .

فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل .

علم التصوف علـم ليس يـعرفــه   إلا أخــو فطـنة بالحق معـروف

وليس يعرفه من لــيس بشهـــده   وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

هذا ما ذكره ابن صدر الدين ..

وأما أبو الخير فإنه جعل الطرف الثانى من كتابه فى العلوم المتعلقة بالتصفية التى هى ثمرة العمل بالعلم .

ولهذا العلم أيضًا ثمرة تسمى علوم المكاشفة لا تكشف عنها العبارة ولا يكشف عنها غير الإشارة ..

قال القشيرى : اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسمٍّ أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحب الرسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا أفضلية فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزُّهاد والعُبَّاد ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ..

واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

وأول من سُمِّىَ بالصوفى أبو هاشم الصوفى المتوفى سنة خمس ومائة ..

وقد عرّف الجرجانى التصوف بأنه مذهب كله جَدٌّ فلا يخلطونه بشىء من الهزل ، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة ، واستعمال ماهو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة ، واتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الشريعة .

وقيل: ترك الاختيار ، وقيل : بذل المجهود والأنس بالمعبود، وقيل : حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك ، وقيل : الإعراض عن الاعتراض ، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى ، وأصله التفرغ عن الدنيا ، وقيل : الصبر تحت الأمر والنهى ، وقيل : خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف ، وقيل : الأخذ بالحقائق

والكلام بالدقائق ، والإياس مما في أيدى الخلائق.

وقد عرّف الإمام السيوطى التصوف بأنه « تجريد القلب لله تعالى ، واحتقار ما سواه » .

ثم بيّن السيوطى أنه عَرّف التصوف ، ولم يعرف علم التصوف « لأن صاحبه أحوج إلى حده منه إلى حد علمه لعدم اعتنائه بذلك ، الذى هو شأن المدققين فى الظواهر » بينما التصوف يتعلق بالداخل والباطن .

وعرّف حاجى خليفة علم التصوف بأنه « علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعادتهم ، والأمور العارضة لهم فى درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية » كما ذكرنا سابقا.

وقال بعض العلماء : إن الصوفية مشتق من الصّفا ، أو من الصّفّة ، أو من أهل الصُّفّة ، أو من الصوف لأنهم كانوا من مبدأ أمرهم يلبسون الصوف، ويختصون به لمخالفة سائر الناس فى لبس فاخر الثياب ، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق .

والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد ، لذلك قال القشيرى : « ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس » .

وعن لفظ « الصوفى » يأتى الإمام أبو العباس المرسى بهذا التخريج اللطيف . صوفى مركبة من حروف أربعة : ص ، و ، ف ، ى .

الصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

الواو : وجده ووده ووفاؤه .

والفاء : فقده وفقره وفناؤه .

والياء : ياء النسبة فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه .

وأورد قول الشاعر :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا قِدماً وظنوه مشتقا من الصـــوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتـــى صافَى فَصوفِىَ حتى سُمِّىَ الصوفى

ويحدد الإمام النووى أصول التصوف فيقول: أصول طريق التصوف خمسة:

١) تقوى الله فى السر والعلانية .

٢) واتّباع السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال .

٣) والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

٤) والرضا من الله تعالى فى القليل والكثير .

٥) والرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء .

فتحقيق التقوى : بالورع والاستقامة .

وتحقيق اتباع السُّنَّة : بالتحفُّظ وحُسن الخُلُق .

وتحقيق الإعراض ع الخلق : بالصبر والتوكل

وتحقيق الرضا عن الله : بالقناعة والتفويض.

وتحـقـيق الرجـوع إلى الله : بـالشكر له فى الـسـراء والالتـجـاء إليـه فى السـراء والضراء.. وأصول ذلك كله خمسة :

١) علو الهمة . ٢) وحفظ الحرمة . ٣) وحُسن الخدمة .

٤) ونفوذ العزيمة . ٥) وتعظيم النِّعمة.

١ـ فمن علت همته : ارتفعت رتبته

٢ـ ومن حفظ حرمة الله : حفظ الله حرمته .

٣ـ ومن حسنت خدمته : وجبت كرامته .

٤ـ ومن نفذت عزيمته : دامت هدايته.

٥- ومن عظّم النعمة : شكرها .

ومن شكرها : استوجب المزيد ، كما قال الله تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

وأصول المعاملات خمسة :

١- طلب العلم للقيام بالأمر .

٢- وصحبة المشايخ والإخوان للتبصُّر.

٣- وترك الرُّخص والتأويلات للتحفُّظ.

٤- وضبط الأوقات بالأوراد للحضور (الأوراد : الأذكار)

٥- واتّهام النفس فى كل شىء للخروج من الهوى والسلامة من العطب.

آفة المعاملات :

١- فطلب العلم : آفتهُ صحبة الأحداث سنا وعقلا ودينا مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة .

٢- وآفة الصحبة : الاغترار والفضول بكثرة الكلام .

٣- وآفة ترك الرُّخص والتأويلات : الشفقة على النفس .

٤- وآفة اتهام النفس : الأنس بُحسن أحوالها واستقامتها .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾

دواء النفس:

وأصول ما تُداوى به علل النفوس خمسة :

١- تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب .

٢- والالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه.

٣- والفرار من مواقف ما يُخشى الوقوع فيه .

٤- ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر .

٥- وصحبة من يدلّك على الله .

ويتناول فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة نشأة التصوف فيقول رحمه الله :

نشأ التصوف روحيا ، وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلكا شكليا ، ولقد نشأ من ينبوعين صافيين :

اولهما : هو انصراف بعض العبّاد المسلمين إلى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة ، وقد ابتدأ ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل متهجداً ولا ينام ، ومنهم من يصوم ولا يفطر ، ومنهم من انقطع عن النساء ، فلما بلغ أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« مَابَالُ اقوامٍ يقُولُونَ كذَا وكذا لَكِنِّى أصُومُ وأفْطِرُ وأُصلِّى وأَنامُ وأتزَوَّجُ النِّساءَ فمن رَغِبَ عن سنَّتِى فلَيْسَ منِّى » ولقد نهى عن الرهبنة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « رَهْبانِيَّةُ أُمتِى الجِهَادُ »

وبذلك : بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم معنى الزهد : وهو طلب الحلال ، وألا يُحرِّم ما أحل الله ، كما تلونا من قبل .

ولكن بعد أن انتقل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ومضى عصر الصحابة والتابعين ، دخل فى الإسلام من كان فى نفوسهم أثر من المذاهب القديمة ، الذين كانوا يحسبون تعذيب الجسم ، لتقوية الروح نوعا من العبادة .

ولكن مع شيوع هذه الأفكار ، لفظتها المبادئ الإسلامية ، وبقى معنى الزهد

الذى قرره الإمام أحمد : « الزهد : الاقتصار على الحلال » .

وبالجمع بين هدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء من منازع تحارب الحلال كان التصوف الإسلامى الذى لا يقطع عن الحياة ، ويربى الروح والقلب ، ويوجهما إلى الله تعالى ، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال ، وفطم النفس عن الشهوات .

هذا الينبوع إسلامى خالص ، وما خالطه من منازع أخرى ، قد رخصها الإسلام فكان فى دائرته المعقولة .

ولنتكلم عن الفكرة الفلسفية الأولى ، فهى نبعت بين الإشراقيين من الفلاسفة ، وهم يرون أن المعرفة تقذف فى النفس بالإشراق الروحى ، ومنه : تكون الرياضة الروحية والتهذيب النفسى .

وإن هذا بلا ريب : ينبوع صاف ، يتجه بالنفس إلى التهذيب الروحى ، والاتصال بالله .

ومهما يكن فإن هذه الأفكار تبلورت ، ولفظ بعضها بعضاً ، فكان التصوف الذى ظهر قويا فى القرنين الرابع والخامس ، ومن بعدهما السادس الهجرى .

والجوهر كان قائما مع الأشكال ، فى القرون الأولى ، وبه كانت الدعوات الدينية المخلصة واستمر الجوهر قائما إلى اليوم .

ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران :

أحدهما : الإشراق ، والثانى : الشوق إلى الله تعالى ومحبته ، والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين أجمعين ، كالإشراق ، وقد راض بعضهم نفسه على المحبة ، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله تعالى هو إشراق النفس بنور الإيمان ، وامتلاؤها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله ، حتى يكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به وحتى يكون كل شىء فى نفسه ، فلا يتحرك حركة عن

حركة إلا فى سبيل رضاه ومحبته وحتى يحب الشىء لا يحبه إلا بحبه لله .

وفى تناوله لموضوع التصوف والصوفية نبهنا فضيلته إلى أمرين :

أولاهما : أن الشيوخ الذين كانوا يروضون الناس على المحبة والشوق إلى الله تعالى بدا من عباراتهم : أن المحبة إن تحققت ، فإن العاصى والمطيع يكونان على سواء مع أنه إذا تحققت المحبة لا يكون هناك عاص من المحبين ، إذ كيف يحبه ويعصى ، إنه إن لم يطع تكليفا ، أطاع محبة وتقربا وطلبًا للرضوان .

يقول ابن عطاء الله السكندرى فى بعض أدعيته :

(إلهى إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ، ولك المنة علىَّ ، وإن ظهرت المساوئ ، فبعدلك ، ولك الحجة علىَّ) .

هذه نظرات متصوفة صادقين ، قد وصل بهم القرب من ربهم ، ومحبته فى قلوبهم إلى أن الله تعالى الجميع أمامه سواء ، ويغالى بعضهم ، فيقول : إنه إذا كانت الشريعة قد فرقت بين المطيع والعاصى ، فالحقيقة قد قررت أنه أمام الله تعالى لا فرق ، ولكن من يصل إلى الحقيقة ؟ ولذلك : كانت الشريعة أولا لأن الوصول طريقه واضح المعالم ، بين المسالك ، ولأن الله تعالى جعل الطاعة لشريعته ، ولرسوله ، طريق محبته ، فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.

بل نستطيع أن نقول : إنا لا نصل إلى الحقيقة إلا عن طريق الشريعة .

وإنهم ليقررون : أن المعصية ثم الاستغفار منها ، تقرب ، ولا تبعد ، وأن تقريب الاستغفار أكبر من تبعيد العصيان ، ويقولون : إنه ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لو لم تُذنبوا فتستغفروا ، لخلق الله قوما يُذنبون فيستغفرون » ، ويقول ابن عطاء الله السكندرى : « رُبَّ معصية أورثت ذُلا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزا وافتخارا » .

ثانيهما : أن منهاج العامة من الصوفية ليس على هذا النحو ، الذى سلكه الخاصة ، ذلك : أن أتباعهم لم يبلغوا المبلغ ، ولم يدركوا من الحقائق ما أدركوا ، فهم فهموا أن لا معصية ولا طاعة ، وأن يكتفى بالمحبة ، ويدعونها لأنفسهم ، ومنهم من خلع الربقة .

ووجد من ادعى أنه الشيخ المتبوع فى الصوفية، ولم يمنعه ذلك من أن يتناول الممنوع ، ثم اجترع اللذات ، ونال من الموبقات ، من غير حريجة دينية تمنعه ولا نفس لوامة تدفعه ، بل اتخذ التصوف ستارا ، يستر به مآثمه ، ومنهم من كان يدعى مع ذلك الولاية .

وهؤلاء هم من أساءوا إلى الصوفية الحقة .

ومن العامة : من لا يعرف من التصوف إلا مظاهره ، ومن حقائقه إلا أشكالها ، ومنهم من كان يشيع أن يكفى اتباع شيخ من الشيوخ ، أو ولى من الأولياء ، حتى تكون الخوارق .

هذه هى الصوفية ابتداء وانتهاء، ونحن إذا قلنا : إن التصوف حمل الدعوة الإسلامية أو كان منهم من حملوها ، لا نقصد العامة ، ولا الذين اتخذوها شكلا إنما نقصد الصفوة المختارة منهم ، التى صفت نفوسها ، وربت مريديهم وتلاميذهم على الخير والعمل : كالشيخ عبد القادر الجيلانى ، وأبى الحسن الشاذلى ، والمرسى أبى العباس وابن عطاء الله السكندرى والشيخ أحمد التجانى ، وابن على السنوسى ، والسادة المشايخ الموجودون الآن فأولئك كان لهم مقام فى الدعوة الى الإسلام .

وإننا إذا تكلمنا فيمن يدعون إلى الإسلام من الصوفلية : لا نقصد الذين قاموا بالشعبذة كما لا نتصور أن منهم الذين يقولون بتساوى الحسنة والسيئة ، ولا الذين يقولون : إن المطلوب الحقيقة لا الشريعة .

بل هم : الذين دعوا إلى الإسلام ، وانتشر الإسلام فى نواحٍ من نواحى

البلاد الإسلامية ببعضهم .

ثم يحدثنا فضيلته عن الدعاية الصوفية والدعوة إلى الإسلام فيقول :

الدعاية الصوفية كانت تقوم على أمرين :

أحدهما : من القدوة والاختلاط ، والأخلاق الإسلامية والتسامح والرفق في المعاملة ، والمُثل الطيبة الواضحة في المعاملة الحسنة .

وذلك : أن أئمة الصوفية كالقطب عبد القادر الجيلاني ، وأبي الحسن الشاذلي ، والمرسي أبي العباس ، وابن عطاء الله السكندري ، كانوا على أخلاق إسلامية طيبة ، وكانوا على سماحة تدني البعيد ، وتثبت القريب .

وبهذه الأخلاق التي سرت إلى بعض مريديهم وأتباعهم ، كانوا يجذبون إلى الإسلام طوائف من غير المسلمين الذين يختلطون بهم ، فإن المعاملة الحسنة ، والاختلاط الذي يكون بعِشرة طيبة يجذب النفوس ، وتسرى بها العقائد الفاضلة ، فتسرى العقيدة العالية إلى ما دونها ، كما يسرى الماء العذب من المكان المرتفع إلى المكان المنحدر.

وقد كان هؤلاء الآحاد من المتصوفة الذين لا يشعبذون ، بل يتعبدون ، يختلطون بأهل أفريقيا الوثنيين والمجوس والوثنيين في آسيا فيؤثرون بمعاملتهم ، وبسعة صدورهم ، وعقولهم ، بأكثر مما يؤثر القول ، وقد كانت تقترن بهذه الأخلاق دعوات آحادية أحيانا .

الثاني : من الأمور التي كانت تقوم بها الدعاية الصوفية : مجالس الوعظ ، التي كان يعقدها الأئمة من الأقطاب ، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون ويحضر فيها غير المسلمين فيتبعون الشيخ في مواعظه ثم يعلو الأتباع حتى يتبعوه في عقيدة الوحدانية ، وكان من هؤلاء من له ثقافة إسلامية ، وعلم بالإسلام ، أصوله وفروعه ، كعبد القادر الجيلاني الذي عاش في القرن الخامس والسادس الهجري من

٤٧٠ إلى ٥٦١ فقد كان عالما بالأصول والفروع ، والحديث رواية ودراية ، قد جلس للوعظ أربعين سنة ، فقد ابتدأ واعظا ، من سنة ٥٢١ ومفتيا من سنة ٥٣٦ الى أن قبضه الله تعالى وكأن منصب الإفتاء كان فى نظره أعلى من منصب الوعظ لأنه ما تصدى للإفتاء إلا بعد الستين .

وكانت تعقد مجالس وعظه ، وتكون موعظته عامة ، لا يُمنع منها أحد ، ولا يمنع فيها من الحضور أحد ، فكان يدخل اليهودى والنصرانى ، والمجوسى ، والوثنى ، وقيل : إن مجلسه كان يحضره نحو أربعة آلاف ، وماكان المجلس ينفض إلا على إسلام كثيرين ، ومنهم من كان يحضر إليه طالبا الهداية فيسلم على يديه .

لقد جاء فى كتاب : « قلائد الجواهر فى مناقب عبد القادر » : أنه أتاه فى مرة ثلاثة عشر رجلا من النصارى ، وأسلموا على يديه فى مجلس وعظه ، وقالوا : نحن من نصارى العرب ، وأردنا الإسلام، وترددنا فيمن نقصده ، لنسلم على يديه ، فهتف بنا هاتف ، نسمع كلامه ولا نرى شخصه : أيها الركب ذو الفلاح ، ائتوا بغداد ، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر ، فإنه يوضع فى قلوبكم ببركته ما لم يوضع فيها عندغيره من سائر الناس .

ومع ما كان يفد إليه الناس بحكم ما نال من سمعة بركته وإخلاصه كانت مجالسه التى كان يحضرها احيانا عدة تبلغ أربعة آلاف ، يحضرها بعض المجوس والمسيحيين ، وغيرهم من غير المسلمين ، وهو يتجه فى دروسه إلى ثلاثة اتجاهات : أولها وأغزرها : يتعلق بالقلب وتطهيره من الأرجاس ، وتربية المحبة فيه ، وبعضها : يتجه إلى بيان العقيدة الإسلامية بيانا واضحا بينا لا اعوجاج ولا تعقد ، يعتمد على القرآن والحديث فى بيان العقائد، ولا يتعرض لعلم الكلام إلا عند الاضطرار الى الأدلة المنطقية ، وفى كثير منها يتجه إلى بيان الأحكام الفقهية ، مبينا أسرار هذه الأحكام ، والحكمة فى شرعيتها ، متجها فى بيانها إلى تربية الأخلاق الربانية ، لأنه كان ربانيا .

فبهذا البيان الحكيم ، وبما حف به من بركات كان ربانيا فى اخلاقه وبيانه وسلوكه ، فكان النصارى والمجوس الذين يحضرون درسه ، ينجذبون إلى الحقائق الإسلامية انجذابا وبفضل إخلاصه ، واستقامة نفسه وعقله وحسن أدائه وما يحف به من بركاته يسلم الناس من غير دعوة الى الإسلام بل إنه بهذا الأسلوب النورانى يفتح القلوب .

فكان القطب عبد القادر الجيلانى مربيا لنفوس مريديه ، وداعيا إلى الحق ، وإلى الهداية ، ومن هذه الناحية ، دخل فى الإسلام على يديه الكثيرون ، لطهارته وإخلاصه ، وحسن دعوته الى النور من غير تكلف .

وعن نشأة التصوف وتطوره يقول الدكتور محمد الزحيلى :

كان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف ، ظهر الزهد منذ مطلع القرن الثانى الهجرى ، وصنف فيه كبار العلماء ، وعد المتصوفة هذه الكتب أصولا ومنطلقات لهم ، ويعتبر الحسن البصرى (١١٠هـ) أهم رواد المتصوفة كما تعتبر كتبه من أوائل المصنفات التى تتضمن عبارت كثيرة وصيغا متعددة تحث على الزهد ، وكثيرا ما يجمع بين الكلمتين ، فيقال : الزهد والتصوف ، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف ، والعكس بالعكس ..

كما كانت مبادئ التصوف ترد أيضا تحت عنوان المواعظ والخطب والقصص والوصايا والمسائل .

ثم جاءت كتب الزهد التى وصلت إلينا مثل كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١هـ) وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ثم جمعت أكثر الأقوال فى الزهد فى كتاب « حلية الأولياء » لابى نُعَيْم الأصفهانى (٤٣٠هـ) .

وظهر فى هذه الفترة كبار الزهاد ، واشتهر منهم محمد بن سيرين (١١٠هـ) وأبو حازم سلمة بن دينار المخزومى (١٤٠هـ) والحسن البصرى (١١٠هـ) وسابق

ابن عبد الله البربرى (توفى فى الربع الأول من القرن الثانى الهجرى) وعبد الله بن المبارك (١٨١هـ) والمعافى بن عمران (١٨٥هـ) والفُضيل بن عياض (١٨٧هـ) ومعروف الكرخى (٢٠٠هـ) وبشر بن الحارث الحافى (٢٢٧هـ) والحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف ، وله كتب كثيرة فى هذا الخصوص ، ومنهم أبو يزيد البسطامى (٢٦١هـ) وأبو بكر الوراق (٢٨٠هـ) وسهل بن عبد الله التسترى (٣٨٣هـ) وأبو القاسم الجنيد بن محمد (٢٩٨هـ) وغيرهم وغيرهم رضى الله تعالى عنهم .

وكتب كثير منهم مصنفات وكتبا ورسائل فى الزهد ، ولهم عبارات مأثورة ، وكانوا يمارسون التربية الروحية ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى ، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التى تنبع من الإسلام وتتفق ومقاصده وتوجيهاته .

وفى القرن الثالث الهجرى والقرن الرابع تزاوجت العلوم الإسلامية والثقافات الأجنبية وترجمت أكثر الكتب اليونانية والفارسية والهندية ، وتأثر بعض الناس بالفلسفات المتعددة والأفكار الدينية الأخرى ، وخاصة تعاليم الإشراقيين من الحكماء الإلهيين والزهد الهندى ، ودخلت كثير من اصطلاحات كتب حكمة الإشراق إلى الزهاد ، ودخلت كتب الزهد والتصوف ..

وفى البيان التالى من الأزهر الشريف : إن التصرف والطرق الصوفية أمر قديم ، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح ، لكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك وتوزن به هذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلى الدين هو قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ ..

وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود عليه » ..

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمه للدين عقيدة وشريعة فهى محمودة وينبغى تشجيعها وإن انحرفت فهى مذمومة ويجب تقويمها والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.. وذلك لنحول هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال ، إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية فهى تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان ، لأن علاقة المريدين « التلاميذ والطلاب » بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجده فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى ، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم بيسر وسهولة وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية ... إلى آخر ما ذكر البيان ..

الرسـالـةالقشيريـة

تلك التحفة الصوفية العلمية ـ كتبها إمامنا الأستاذ القشيرى فى عام ٤٣٧ سبع وثلاثين وأربعمائة إلى (جماعة الصوفية ببلدان الإسلام) وذلك تصحيحا لأوضاع ادعاها من انحرف عن طريق الصدق ، وبيان لما ينبغى أن يكون عليه مريد التصوف ..

لقد دب الفساد فى بعض الجهات التى يزعم أهلها انهم من أهل التصوف وسلكوا طرقا لا تمت إلى الدين الإسلامى ولا إلى التصوف ذى النبع الصافى بأية صلة ــ كما كان هذا الشأن فى كل الدعوات المباركة أن يأتى من تلبسه الشيطان فيخرج بها عن منهجها العذب إلى طرق لا تحمد عقباها فجاء إمامنا وكتب تلك الرسالة المباركة معتمدا فيها جانبين :

١) السيرة العطرة لبعض رجال التصوف وبعض من أقوالهم كنماذج يسير مريد طريق التصوف على هديهم ويتبع إشاراتهم .

٢) ذكر مبادئ السلوك ومناهجه كما شرح ذلك فى مقدمة الكتاب.

هذه هى رسالة الإمام القشيرى كانت وما زالت ولا تزال شمسا مضيئة لطريق الحق وقمرا منير يسير على هديه مريد الصدق ـ فخذه إليك أيها القارئ الشادى إلى سبيل القوم ينفعك الله فى دنياك ويجازك الله خيرا فى أخراك .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ...

شرح الرسـالة القشيريـة

ممن شرح الرسالة القاضى شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ فى مجلد من المتن سماه إحكام الدلالة على تحرير الرسالة أولها الحمد لله الذى يسر سبيل السالكين ... إلخ ..

وفرغ من الشرح فى رابع عشرى جمادى الأولى سنة ٨٩٣ ..ونحن نذكر أهمها فى ذيل كتابنا هذا

ومن شروحها : الدلالة على فوائد الرسالة للشيخ الفقيه سديد الدين أبى محمد عبد المعطى بن محمود بن عبد العالى اللخمى ..

فرغ من إملائه سنة ٦٣٨ هـ

وشرحها أيضا المولى على القارى.

طبعات الكتاب

لقد طبع الكتاب مئات المرات بمعرفة عشرات من دور النشر فى العالم ..

أما طبعاته القديمة فقد طبع فى المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٨٤هـ ، أيضا ١٢٨٧هـ، مطبعة عبد الرازق سنة ١٣٠٤هـ، المطبعة الميمنية سنة ١٣٣٠هـ ، مطبعة مصر سنة ١٣٥٨هـ ،.

ترجمات الكتاب ودراسات عن المؤلف

رأيت ترجمة بالفرنسية طبعت فى رومية سنة ١٩١١

دراسات عن القشيري

دراسة المستشرق آربرى نشرها سنة ١٩٥٣.

دراسة الدكتور إبراهيم بسيونى طبعت سنة ١٩٧٢

دراسة الدكتور قاسم السمراكى عام ١٩٦٩

دراسة الدكتور علم الدين الجندى سنة ١٩٧٣

وغيرها الكثير ..

مخطوطات الرسالة القشيرية

وأما المخطوطات فلا تكاد توجد مكتبة فى العالم إلا وبها نسخة أو أكثر من هذه الرسالة ولنذكر بعضها :

١) ذكرهافهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريةبه عدد من النسخ المخطوطة

٢) فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة تشستربتى

٣) فهرس المخطوطات المصورة ـ المكتب الهندى

٤) فهرس المخطوطات التركية العثمانية

٥) فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى

ويذكر بروكلمان أكثر من خمسين نسخة مخطوطة للكتاب.

التعريف بالمؤلف الإمام القشيرى

المولود في ربيع الأول ٣٧٦ هـ يوليو ٩٨٦م

المتوفي يوم ١٦ من شهر ربيع الآخر ٤٦٥ هـ ١٠٧٢م

هذه لمحة مبسطة عن شيخنا المؤلف :

هو : الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيرى ، زين الدين أبو القاسم .

من بنى قشير بن كعب أبا ، أما أمه فهى من بنى سليم ، فهو عربى أصيل من جهتى أبيه وأمه .

نشأ القشيرى وتربى وتعلم وتوفى فى نيسابور ، ومن صغره وهو منقطع إلى العلم ، لا يعرف غيره من أمور الدنيا لهوا ولعبا .

وقد تتلمذ اولا على الإمام الإسفراييني الذى كان معجبا بتلميذه القشيرى فأفاده من علمه وفضله ، ولم يبخل عليه بكل ماجمع من ثقافة .

ثم ساقته الأقدار ونعم ما ساقته إلى رجل من أولياء الله كان قد جمع بين الشريعة والحقيقة هو الشيخ العارف بالله أبو على الدقاق شيخ الصوفية فى عصره ، وقد التزمه الإمام القشيرى وأخذ عنه فانتفع به علما وعملا .

ومن حبه لشيخه وحب شيخه له أن تزوج ابنة شيخه فازداد ارتباطهما بهذا النسب المبارك .

إلا أن هذا لم يجعل القشيرى يرفع التكليف بينه وبين أستاذه بل زاده ذلك احتراما لشيخه وحبا له واتباعه فى عبادته ومعرفته بالله تعالى ..

يقول القشيرى.. رحمه الله تعالى :

لم أدخل على أستاذى أبى على إلا صائما ، وكنت أغتسل قبل ذلك ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاما من أن ادخل عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلت كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خَدَر ، حتى لو غرزت فى إبرة لعلى كنت لا احس بها ، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة فكنت كلما جلست كان يبتدئ بشرح واقعتى .

هكذا كان التلميذ مع أستاذه، فهل نتعلم منه؟ وهل نعلم هذا أبناءنا وأحفادنا؟

وعندما بلغ القشيرى مرتبة الاجتهاد ـ علما وفقها ـ ووصل إلى مستوى أعالى الرجال صدقا ومعرفة أذن له شيخه بالتدريس وعقد له مجلسا للعلم فى مسجد المطرز ، وقد بلغ من العمر ثلاثين عاما .

ولم يشغله التدريس عن التأليف فكان يقسم وقته بينهما مما أنتج أحلى وأجل الكتب العلمية التى استفاد منها الناس ، ولا يزالون يستفيدون .

هذا هو القشيرى الرجل الفاضل والمربى الكريم ..

وعلى الرغم من ذلك لم يسلم من الأذى وهكذا عظماء الرجال الذين يسبقون عصرهم ـ نقول: لم يسلم من الأذى، فقد قُبض عليه ونفى وأُهين ومُنع من التدريس .

وبعد أن أُفرج عنه ساح فى البلاد معلما إلى أن وصل إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله والذى قربه منه وعقد له مجالس ، كان يحضرها.

سافر الإمام القشيرى إلى الحج واجتمع بالإمام الجوينى بمكة والذى دعاه إلى الخطابة فى بيت الله الحرام ، فأعجب الخلق به وانتفعوا .

بعد ذلك عاد إلى بلاده خراسان ، والذى أعجب به أميرها ألب أرسلان ،

الذى كان يقربه ويقدمه .

هكذا كان إمامنا القشيرى احد الذين أسسوا علم التصوف على قواعد راسخة وأساس متين .

أما كتبه فنذكر أهمها ، وإن كانت قد بلغت اكثر من عشرين كتابا:

١) التيسير فى علم التفسير ، يقال له : التفسير الكبير

٢) لطائف الإشارات

٣) القصيدة الصوفية

٤) اللمع

٥) الفصول

٦) الفتوى التى أوردها الإمام السبكى فى الطبقات

٧) المعراج

٨) المقامات الثلاثة .

٩) الرسالة القشيرية ، وهى أهم كتبه وهو الكتاب الذى نقدم له .

١٠) التحبير فى التذكير .

١١) شرح أسماء الله الحسنى .

١٢) حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح مخطوط بمكتبة الاسكوريال .

١٣) كتاب : شكاية أهل السنة.

١٤) التوحيد النبوى .

١٥) ترتيب السلوك .

١٦) التمييز فى علم التذكير .

١٧) كتاب الأربعين حديثا .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بجلال ملكوته(١) . وتوحد بجمال جبروته(٢) . وتعزز بعلو أحديته وتقدس بسمو صمديته وتكبر فى ذاته عن مضارعة كل نظير وتنزه فى صفاته عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه فسبحانه من عزيز لا حد يناله ولا عد يحتاله ولا أمد يحصره ولا أحد ينصره ولا ولد يشفعه ولا عدد يجمعه ولا مكان يمسكه ولا زمان يدركه ولا فهم يقدره ولا وهم يصوره ، تعالى عن أن يقال كيف هو أو أين هو أو اكتسب بصنعه الزين أو دفع بفعله النقص والشين إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولا يغلبه حي وهو الخبير القدير. أحمده على ما يولي ويصنع . وأشكره على ما يزوي ويدفع وأتوكل عليه وأقتنع وأرضى بما يعطي ويمنع. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بتوحيده مستجير بحسن تأييده وأشهد أن محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبى ورسوله المبعوث إلى كافة الورَى صلى الله عليه وآله مصابيح الدُّجي وأصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليما كثيرا (هذه رسالة) كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم ابن هوازن القشيرى إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام فى سنة سبع وثلاثين

---

(١) (ملكوت) أى ملكه العظيم كما أفادته المبالغة المنبئ عنها زيادة اللفظ إذا زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٢) (جبروته) أى قهره لغيره على وفق إرادته فالجبار من تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل شيء ولا تنفذ فيه مشيئة غيره ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد يكون الجبار بمعنى جابر كل كسير وأشار بهذا مع ما قبله إلى أنه تعالى متصف بالصفات السلبية مثل أنه ليس بجسم ولا عرض ولا فى مكان ولا زمان وبالصفات الثبوتية كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء لأن صفات الجلال صفات قهر والقهر يستفاد من السلب وصفات الجمال صفات لطف واللطف يستفاد من الإيجاد وجمع بينهما ليكون العبد بين الخوف والرجاء، وانظر للمؤلف كتابه شرح أسماء الله الحسنى .

وأربعمائة (أما بعد) جماعة الصوفية : رضى الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال علما منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ثوابه ابتداء فضل وعذابه حكم بعدل وأمره قضاء فصل [1] . (ثم اعلموا رحمكم الله) أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

حصلت الفترة فى هذه الطريقة لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء وقلَّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم

---

(١) (قضاء فصل) أى لا تردد فيه وهؤلاء الموصوفون بما ذكرهم المربون المتصفون بالإحسان فى الخبر الصحيح ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والأمة درجاتهم متفاوتة متباينة وينقسمون إلى أصحاب اليمين وإلى المقربين كما دل عليه الكتاب العزيز فمن صح إيمانه وعمل بما أمر به شرعا فهو من أصحاب اليمين ومن قلت غفلاته وتوالت منه نوافله وطاعاته وتوالى على قلبه ذكره ودعواته فهو المقرب والمحسن ويعبر عنه بالصوفى الذى صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلق بالأخلاق المحمودة حتى أحبه الله وحفظه فى جميع حركاته وسكناته كما جاء فى الخبر ما تقرب المتقربون إلىَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به .. الحديث أى بى يسمع وبى يبصر ..إلخ أى أحفظه فى تصرفاته فلا يخطىء منها وفى آخره فإن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته وكيف لا وهو الذى اختاره الله تعالى من خلقه .

وسنتهم اقتداء وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة فعدُّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا فى ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات والارتفاق (الانتفاع) بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال وادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه وهم محو وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية واختطفوا عنهم بالكلية وزالت عنهم أحكام البشرية وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرفوا .

سبب تأليف الرسالة :

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت ببعضه من هذه القصة وكنت لأبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لثلبهم مساغا إذ البلوى فى هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم ولعل الله سبحانه يجود بلطفه فى التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى فى تضييع آداب هذه الطريقة ولما أبى الوقت إلا استصعابا وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديا فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه فعلقت هذه الرسالة إليكم أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم وما أشاروا إليه من مواجيدهم

وكيفية ترقيهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة ومنكم لى بتصحيحها شهادة ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ومن الله الكريم فضلا ومثوبة وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره وأستكفيه وأستعصمه من الخطأ فيه وأستغفره وأستعينه وهو بالفضل جدير وعلى ما يشاء قدير .

فصـــل
فى بيان اعتقاد هذه الطائفة فى مسائل الأصول
التوحيد وأصوله عند السادة الصوفية

اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هــذه الطائفة بنوا قواعد أمرهــم علـى أصول صحيحة فى التوحيــد صانوا بها عقائدهم عن البدع (ما استحدث من أمور الدين) ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم [1] . وتحققوا بما هو نعت الموجــود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله : التوحيد إفراد للقــدم من الحدث [2] . وأحكمــوا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريرى ـ رحمه الله : من لـم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف ، يريد بذلك أن من ركن إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع فى أسرالهلاك ومن تأمـل ألفاظهم وتصفح كلامهم وجد فى مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله بأن القوم لم يقصـروا فى التحقيق عـن شأو ولم يعرجوا فى الطلب على تقصير .

ونحن نذكر فى هذا الفصل جملا من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول ، ثم نحرر على الترتيب بعدها مايشتمل على ما يحتاج إليه فى الاعتقاد على

---

(١) (القدم) يقال للقدم الذاتى وهو ما لا يحتاج وجوده إلى غيره وللقدم الزمانى وهو مالا يكون وجوده مسبوقا بالعدم وللقدم الإضافى وهو مايكون وجوده أكثر من وجود آخر فيما مضى كوجود الأب مع وجود ابنه إذ هو شيء طبيعى.

(٢) (الحدث) بمعنى الحدوث والحدوث يقال للحدوث الذاتى وهو كون الشيء مسبوقا بغيره والزمانى وهو كونه مسبوقا بالعدم والإضافى وهو ما يكون وجوده أقل من وجود آخر فيما مضى وهو تعالى منزه عنه بالمعانى الثلاثة المذكورة،وهى من الاعتبارات العقلية التى لا وجود لها فى خارج العقل .

وجه الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمى رحمه الله يقول :سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول سمعت أبا بكر الشبلى يقول الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف وهذا صريح من الشبلى أن القديم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه . سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سئل رُوَيْم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ماهو فقال المعرفة لقوله جل ذكره ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال ابن عباس إلا ليعرفون ،وقال الجنيد إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان إحداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه . أخبرنى محمد بن الحسين قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا الطيب المراغى يقول للعقل دلالة وللحكمة إشارة وللمعرفة شهادة فالفعل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد أن صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد وسئل الجنيد عن التوحيد فقال إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾. أخبرنا محمد ابن أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى قال أخبرنا عبد الله بن على التميمى الصوفى يحكى عن الحسين بن على الدامغانى قال سئل أبو بكر الزاهراباذى عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك التعطيل والتشبيه . وقال أبو الحسن البوشنجى رحمه الله التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال سمعت محمد بن محمد ابن غالب قال سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجانى يقول قال الحسين بن منصور ألزم لكل الحدث لأن القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى إليه ومن آواه محل

أدركه أين ومن كان له جنس طالبه[١] . مكيف[٢]. أنه سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم ينفد بعد ولم يجمعه كل ولم يوحده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له تنزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم إن قلت متى ، سبق الوقت كونه وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحروف آياته ووجوه إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه كيف يحل بهما منه بدا أو يعود إليه ما هو أنشاه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده إهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الطوسى السراج يحكى عن يوسف بن الحسين قال قام رجل بين يدى ذى النون المصرى فقال أخبرنى عن التوحيد ماهو فقال هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات العلا ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما تصور فى وهمك فالله بخلاف ذلك . وقال الجنيد التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد فى أزليته لا ثانى معه ولا شيء يفعل فعله . وقال أبو عبد الله بن خفيف الإيمان تصديق القلوب بما علمه الحق من الغيوب وقال أبو العباس السيارى عطاؤه على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك فهو استدراج فقل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته ، وسمعت الأستاذ

(١) (طالبه) أى تطلبه .

(٢) (مكيف) أى له لأن الجنس تحته أنواع تتميز عنه بفصول وهذه كلها من صفات المخلوق والخالق ميزه عنها وأما نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم للجارية أين الله وقولها له فى السماء مع تقريره لها عليه فمؤول فهو استدراج أى لك فالأفعال كلها خيرها وشرها من الله خلافا للمعتزلة وإذا أخبرك عن نفسك بالإيمان فقل أنا مؤمن إن شاء الله . كما روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه نظرا إلى العاقبة المجهولة لا إلى الحالة الراهنة أو إلى كمال الإيمان لا إلى أصله أو رعاية للأدب بذكر الله تعالى فى أموره أو هضما لنفسك وترك تزكيتها لا شكا فى إيمانك فإن الشك كفر .

أبا على الدقاق رحمه الله يقول غمز رجل رِجل أبى العباس السيارى فقال تغمز رِجلا ما نقلتها قط فى معصية الله عز وجل . وقال أبو بكر الواسطى من قال أنا مؤمن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع وإحاطة فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك ما قاله أهل السنة بأن المؤمن الحقيقى من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول ينظر إليه تعالى المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية. وقال أبو الحسن النورى شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة . سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت محمد بن المحبوب خادم أبى عثمان المغربى يقول قال لى أبو عثمان المغربى يوما يامحمد لو قال لك أحد أين معبودك إيش تقول؟ قال قلت أقول حيث لم يزل ٠قال فإن قال أين كان فى الأزل إيش تقول ؟ قال قلت أقول حيث هو الآن يعنى أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان[١] . قال فارتضى منى ذلك ونزع قميصه وأعطانيه . وسمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى فكتبت إلى أصحابنا بمكة أنى أسلمت الآن إسلاما جديداً . سمعت محمد بن الحسين السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول وقد سئل عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة [٢] . وقال الواسطى لما كانت الأرواح والأجساد قامت بالله وظهرت به لا بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح صرح بهذا الكلام

(١) (فهو الآن كما كان) أى فلا حيث أى مكان له كما لا زمان لأنه الخالق لكل مكان وزمان فكيف يكون ذلك وهو خالقهما.

(٢) (القدرة) أى القديمة وهى صفة تؤثر فى الشىء عند تعلقها به فهم وأفعالهم كلها مخلوقة لله تعالى خلافا للقدرية ولا حاجة لقوله فقال .

أن[١] . أكساب العباد مخلوقة لله تعالى وكما أنه لاخالق للجواهر إلا الله تعالى فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول من ظن أنه يبذل الجهد[٢] . يصل إلى مطلوبه فمتمن ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمن وقال الواسطى المقامات أقسام قسمت[٣] . ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات . وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو لله فقال الكفر والإيمان والدنيا والآخرة من الله وإلى الله وبالله ولله من الله ابتداء وإنشاء وإلى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقاً . وقال الجنيد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ما هو؟ فقال هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن على يقول سمعت القاسم بن القاسم يقول سمعت محمد بن موسى الواسطى يقول سمعت محمد بن الحسين الجوهرى يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد جاءه رجل فقال ادع الله لى فقال إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى . وقال الواسطى ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر تقول ما شئتُ فعلتُ . وقال أبو الحسين النورى التوحيد كل خاطر يشير إلى الله تعالى بعد أن لا تزاحمه خواطر التشبيه . وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت هلال بن أحمد يقول سئل أبو على الروذبارى عن التوحيد فقال التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل وإنكار التشبيه والتوحيد فى كلمة واحدة كل ما صوره الأوهام

---

(١) (صرح بهذا الكلام أن) أى ليفيد إن الخ لا خالق للأعراض إلا الله فجميع الجواهر والأعراض حادثة لأنها أقسام العالم إذ هو إما قائم بنفسه أو بغيره والثانى العرض والأول ويسمى بالعين وهو محل الثانى المقوم له إما مركب وهو الجسم أو غير مركب وهو الجوهر الفرد.

(٢) (الجهد) بفتح الجيم وضمها أيضا.

(٣) (أقسام قسمت) أى المقامات المطلوبة أقسام إلخ.

والأفكار فالله سبحانه بخلافه لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال أبو القاسم النصراباذى الجنة باقية بإبقائه وذكره لك ورحمته ومحبته لك باقية ببقائه فشتان بين ماهو باقى ببقائه وبين ماهو باقٍ بإبقائه وهذا الذى قاله الشيخ أبو القاسم النصراباذى هو غاية التحقيق فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقيات ببقائه تعالى فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقى باقٍ ببقائه بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق فخالفوا الحق أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت النصراباذى يقول أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة فإذا هيمك فى مقام التفرقة قرنك بصفات فعله وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته(١) . وأبو القاسم النصراباذى كان شيخ وقته . سمعت الأستاذ الإمام أبا إسحاق الإسفراينى رحمه الله يقول لم قدمت من بغداد كنت أدرس فى جامع نيسابور مسألة الروح وأشرح القول فى أنها مخلوقة وكان أبوالقاسم النصراباذى قاعدا متباعدا عنا يصغى إلى كلامى فاجتاز بنا بعد ذلك يوما بأيام(٢) . فقال لمحمد الفراء أشهد أنى أسلمت جديدا على يد هذا الرجل وأشار إلىّ سمعت محمد بن الحسين السلمى يقول سمعت أبا حسين الفارسى يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟ هيهات بعد هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة

---

(١) (قرنك بصفات ذاته) فإذا ذكرت الله تعالى بصفات ذاته فقد قرنك بها أى جمع قلبك عليها وإذا ذكرته بصفات فعله فقد قرنك بها وهى متسعة فبعد قلبك بالفكرة فيها عن الفكرة فى الذات وصفاتها ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾وكل من القسمين فضل من الله تعالى عليك لكن فرق بين جمع القلب مع الحق وتفرق البال فى تفاصيل الخلق وتحرير ذلك أن صفات الذات كالعلم والقدرة قديمة عند أهل الحق وصفات الفعل كالتخليق والترزيق وإضافات واعتبارات عقلية عند المحققين مثل كونه تعالى قبل كل شيء ومعه ومعده ومعبودا لنا ومميتا ومحييا لكن مبدؤها من القدرة والإرادة قديم فهى قديمة بهذا الاعتبار ومن قال انها حادثة مطلقا يلزمه قيام الحوادث بذات الله وهو ممتنع تعالى الله عن قولهم .

(٢) (يوما بأيام) أى متباعدا عن ذلك بأيام .

اليقين وتحقيق الإيمان . وأخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال[١]. سمعت عبد الواحد بن بكر يقول حدثنى أحمد بن محمد بن على البردعى قال حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازى قال قيل ليحيى بن معاذ أخبرنى عن الله عز وجل فقال إله واحد فقيل له كيف هو فقال ملك قادر فقيل أين هو فقال هو بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرتك عنه . وأخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كل ماتوهمه متوهم بالجهل أنه كذلك فالعقل يدل على أنه بخلافه. وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى (مع)فقال (مـع) على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ومع العامة بالعلم والإحاطة قال الله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال ابن شاهين مثلك يصلح أن يكون دالا للأمة على الله. وسئل ذو النون المصرى عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه . وسئل الشبلى عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى. وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقر إليه من شيء وقال جعفر الصادق من زعم أن الله فى شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك إذ لوكان على شيء لكان محمولا ولو كان فى شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا وقال جعفر الصادق أيضا فى قوله﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة إنما التدانى أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف إلا لا دنو ولا بعد. ورأيت بخط الأستاذ أبى على أنه قيل لصوفى أين الله فقال أسحقك الله تطلب مع العين أين. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول سمعت أبا القاسم بن موسى يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصارى يقول سمعت الخراز يقول

(١) (قال) أى القشيرى .

حقيقة القرب فقْد حس الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن على الحافظ يقول سمعت أبا معاذ القزوينى يقول سمعت أبا على الدلال يقول سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول انتهيت إلى رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت أؤذن فى أذنه فنادانى الشيطان من جوفه دعنى أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق وقال ابن عطاء إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر فى أحد من ملائكته فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها الله صورا لها صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة وقال سهل بن عبد الله إن الحروف لسان فعل لا لسان ذات لأنها فعل فى مفعول. قال وهذا أيضا تصريح بأن الحروف مخلوقة . وقال الجنيد فى جوابات مسائل الشاميين التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب (قال) هذا قول أهل الأصول إن الكلام [١] هو المعنى الذى قام[٢] بالقلب من معنى الأمر والنهى والخبر والاستخبار وقال الجنيد فى جوابات مسائل الشاميين أيضا تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وقال الحسين بن منصور من عرف الحقيقة فى التوحيد سقط عنه لم وكيف . أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن محمد يقول قال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد ، وقال الواسطى ما أحدث الله شيئا أكرم من الروح صرح بأن الروح مخلوقة . قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم رحمه الله دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق فى مسائل الأصول وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما آثرناه من الإيجاز والاختصار .

---

(١) (إن الكلام) أى حقيقة الكلام.

(٢) (هو المعنى الذى قام إلخ) وهذا هو الكلام النفسى المعبر عنه بما صدقات اللسانى وأما الكلام اللسانى فمجاز عنه هذا هو المختار وقيل حقيقة فى اللسانى وقيل مشترك بينهما وبكل حال فالكلام يطلق على الاثنين قال تعالى: ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أى بألسنتنا مما يخالف الحق فجعل القول فى النفس واللسان جميعا .

فصل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم أدام الله عزه

وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم فى مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب قال شيوخ هذه الطريقة على ما يدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها ومصنفاتهم فى التوحيد إن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حى باقٍ صمد وأنه عالم بعلم قادر بقدرة مريد بإرادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام حى بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هى هو ولا هى أغيار له بل هى صفات له أزلية ونعوت سرمدية وأنه أَحدِىُّ الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شىء من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض ولا صفاته أعراض ولا يتصور فى الأوهام ولا يتقدر فى العقول ولا له جهة ولا مكان ولا يجرى عليه وقت وزمان ولا يجوز فى وصفه زيادة ولا نقصان ولا يخصه هيئة وقد ولا يقطعه نهاية وحد ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهى له بقاء فيقال استوفى الأجل والزمان ولا يقال لِمَ فعل ما فعل إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله يرى لا عن مقابلة ويرى غيره لا عن مماقلة ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة له الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجرى فى سلطانه إلا مايشاء ولا يحصل فى ملكه غير ما سبق به القضاء ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم أنه لا يكون مماجاز أن يكون أراد أن لا يكون

خالق أكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما فى العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها [١] . ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بخلفائه الراشدين ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ . فهذه فصول . تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وبالله التوفيق.

---

(١) (قلها وكثرها) بضم أولها وبكسره أى قليلها وكثيرها لا يقال فكيف يكون الكافر مجبورا على كفره والفاسق على فسقه فلا يصح تكليفهما بالإيمان والطاعة لأنا نقول: الله تعالى أراد منهما الكفر والفسق باختيارهما فلا جبر كما أنه علم منهما الكفر والفسق باختيارهما فصح تكليفهما بما ذكر .. والله أعلم .

بـــــاب
فى ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم (١) وأقوالهم على تعظيم الشريعة (٢)

اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا فضيلة له فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة (٣) . ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعى بين الفرق فكل طريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف (٤) . واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة (ونحن نذكر) فى هذا الباب أسامى جماعة من شيوخ هذه الطريقة من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم ونذكر جملا من سيرهم وأقاويلهم بما يكون فيه تنبيه على أصولهم وآدابهم ان شاء الله تعالى (**فمنهم أبو إسحق إبراهيم بن أدهم**

---

(١) (سيرهم) بكسر السين وفتح الياء أى طرقهم التى يسيرون عليها .

(٢) (الشريعة) هى ما شرعه الله تعالى من الدين .

(٣) (سمة) أى علامة يعرف بها .

(٤) (التصوف) هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمر الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية وسيأتى فى بابه تعريفات أخر وموضوعه التزكية والتصفية والتعمير المذكورات وغايته نيل السعادة الأبدية ومسائله ما يذكر فى كتبه من المقاصد وهذا العلم علم الوراثة الذى هو نتيجة العمل المشار إلى ذلك بخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وعلم الوراثة هو الفقه فى الدين والحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا قيل للحسن البصرى كذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا القائم ليله الصائم نهاره الذى لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد وإن ردت عليه حمد الله وانظر له تعريفا آخر فى المقدمات.

ابن منصور من كورة بلخ رضى الله تعالى عنه) كان من أبناء الملوك فخرج يوما متصيدا فأثار ثعلبا أو أرنبا وهو فى طلبه فهتف به هاتف يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ثم هتف به أيضا من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعى من صوف ولبسها وأعطاه فرسه ومامعه ثم إنه دخل البادية ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وأنه رأى فى البادية رجلا علمه اسم الله الأعظم فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام وقال وإنما علمك أخى داود اسم الله الأعظم أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله. قال حدثنا محمد بن الحسين بن الخشاب قال حدثنا أبو الحسين على بن محمد المصرى قال حدثنا أبو سعيد الخراز قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت خبرنى عن بدء أمرك فذكر هذا . وكان إبراهيم بن أدهم كبيرالشأن فى باب الورع (يحكى عنه) أنه قال أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار وقيل كان عامة دعائه اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك وقيل لإبراهيم بن أدهم إن اللحم قد غلا فقال أرخصوه أى لا تشتروه وأنشد فى ذلك :

وإذا غلا شيء علىَّ تركته　　　فيكون أرخص ما يكون إذا غلا(١)

أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله تعالى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال إبراهيم بن أدهم لرجل فى الطواف اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات أولاها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة والثانية تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كرما فمر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال

(١) هذا البيت لم يشرح عليه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

ما أمرني به صاحبه فأخذ يضربه بسوطه فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فأعجز الرجل ومضى. وقال سهل بن إبراهيم صحبت إبراهيم بن أدهم فمرضت فأنفق عليّ نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره وأنفق عليّ ثمنه فلما تماثلت(١) قلت يا إبراهيم أين الحمار فقال بعناه فقلت فعلى ماذا أركب؟ فقال يا أخي على عنقي فحملني ثلاث منازل (**ومنهم أبو الفيض ذو النون المصرى**(٢))واسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض إبراهيم وأبوه كان نوبيا توفى(٣) . سنة خمس وأربعين ومائتين فائق هذا الشأن(٤) . وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرما وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكى ويقول إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذى النون وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية. سمعت أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون يقول مدار الكلام على أربع(٥) . حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن أحمد بن محمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه ، وسئل

---

(١) (تماثلت) أى للشفاء يعنى قاربت البرء من مرض.
(٢) (المصرى) الإخميمى وأخميم بلد فى صعيد مصر .
(٣) (توفى) يوم الاثنين ودفن بالقرافة الصغرى.
(٤) (فائق هذا الشأن) من فاق الرجل أصحابه إذا علاهم بالشرف .
(٥) (علي أربع .. إلخ) أى لا يخلو كلامهم منها لأنهم إما أن يتكلموا فى معرفة الله تعالى وكماله وجلاله أو فى تصغير الدنيا وتحقيرها والإعراض عنها أو فيما جاءت به الشرائع أو فيما يخالف منه التغيير والتحويل بعد الاستقامة فإذا عرف العبد ربه ودنياه وتمت استقامته وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله وهذا ساقط من أكثر النسخ وموجود فى بعضها هنا وفى بعضها مؤخر عن المقالة الآتية بلفظ وقال ذو النون مدار الكلام .. إلخ ومن كلامه من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم .

ذو النـون عن السفلة فقال من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمـه الله يقول سمعـت أبا بكر محمـد بن عبد الله بن شـاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول حضـرت مجلس ذى النون يوما وجاءه المغربى فقال له يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك ؟ قال عجب لا تطيقه قال بمعبـودك إلا أخبرتنى فقال ذو النون أردت الخروج من مصـر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصـحارى فـفـتحـت عينى فإذا أنا بقنبـرة عمـيـاء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فـخـرج منها سكـرجتان إحداهمـا ذهب والأخرى فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء فـجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبى قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على ابن عمر الحـافظ يقول سمعت ابن رشيق يقول سمعت أبا دجانة يقول سمعت ذا النون يقول لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعامـا. وسئل ذو النون عن التوبة فقال تـوبة العوام تكون من الذنـوب وتوبة الخـواص تكون من الغـفلة (***ومنهم أبو على الفضيل بن عياض***) خراسانى من ناحيـة مرو وقيل إنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيور ومـات بمكة فى المحـرم سنة سبع وثمـانين ومـائة سمعت محمـد بن الحسين يقول أخبـرنا أبو بكر مـحمد ابن جعفر قال حدثنا الحسن بن عبـد الله العسكـرى قال حـدثنـا ابن أخى أبى زرعـة قال حدثنا محمـد بن إسحق بن راهويه قال حدثنا أبو عمار عن الفضيل بن موسى قال كـان الفضيل شاطرا يقطـع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جـارية فـبينمـا هو يرتقى الجـدران إليـهـا سمع تـاليا يتلو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فقال يارب قد آن فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيهم رفقة فقال بعضـهم نرتحـل وقال قوم حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا فتـاب الفضيـل وأمنهم وجـاور الحرم حتى مات وقال الفضيـل بن عياض إذا أحب الله عبـدا أكثـر همــه وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنيـاه . وقـال ابن المبارك إذا مات الفضيل ارتفع الحزن وقال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها[1] . عرضت على ولا

(١) (بحذافيرها) بالذال المعجمة أى بأسرها واحدها حذفار وفيه دليل على كمال حاله =

أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال الفضيل لو حلفت أنى مراء أحب إلى من أن أحلف إنى لست بمراء وقال الفضيل ترك العمل لأجل الناس هو الرياء والعمل لأجل الناس هو الشرك ، وقال أبو على الرازى صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا مبتسما إلا يوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك فقال إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك وقال الفضيل إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خُلق حمارى وخادمى (***ومنهم أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى***) كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وهو من موالى على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان أستاذ السرى السقطى وقد قال له يوما إذا كان لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان معروف الكرخى أبواه نصرانيين فسلموا معروفا إلى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو أحد فضربه المعلم يوما ضرباً مبرحا فهرب معروف فكان أبواه يقولان ليته يرجع إلينا على أى دين يشاء فنوافقه عليه ثم إنه أسلم على يدى على بن موسى الرضا ورجع إلى منزله ودق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقالوا على أى دين جئت فقال على الدين الحنيفى فأسلم أبواه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكر الحرابى يقول سمعت سريا السقطى يقول رأيت معروفا الكرخى فى النوم كأنه تحت العرش فيقول الله عز وجل لملائكته من هذا فيقولون أنت أعلم يارب فيقول هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى . وقال معروف قال لى بعض أصحاب داود الطائى إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذى يقربك إلى رضا مولاك فقلت وماذلك العمل ؟ فقال دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت على

= مع مولاه وأنسه به واستغراقه معه ومن هذه حاله لو عرضت عليه الجنة بما فيها لكان ماهو فيه ألذ عنده منها فكيف بالدنيا التى كرهها مولاه وزهّد عباده فيها.

ابن محمد الدلال يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول رأيت معروفا الكرخى فى النوم بعد موته فقلت له ماذا فعل الله بك فقال غفر لى فقلت بزهدك وورعك ؟ فقال لا بقبولى موعظة ابن السماك ولزوم الفقر ومحبتى الفقراء وموعظة ابن السماك ما قاله معروف كنت ماراً بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال فى خلال كلامه من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتا ما فوقع كلامه فى قلبى فأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاى على بن موسى الرضا وذكرت هذا الكلام لمولاى فقال يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت أخبرنى بهذه الحكاية محمد ابن الحسين قال: سمعت عبد الرحمن بن على الحافظ ببغداد يقول سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول سمعت على بن عيسى يقول سمعت سريا السقطى يقول سمعت معروفا يقول ذلك . وقيل لمعروف فى مرض موته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصى[١] . فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف[٢] . بسقاء يقول رحم الله من يشرب وكان صائما فتقدم فشرب فقيل له ألم تكن صائما فقال بلى ولكنى رجوت دعاءه (***ومنهم أبو الحسن سرى بن المغلس***[٣] . ***السقطى***) خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخى كان أوحد زمانه فى الورع وأحوال السُنة وعلوم التوحيد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت أبا عمرو بن علوان يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول بلغنى أن السرى السقطى كان يتجر فى السوق وهو من

---

(١) (فتصدقوا بقميصى .. إلخ) ظاهره أنه لم يبق ما يكفن فيه وكأنه أوصى بذلك حينئذ لما علم من إخوانه وأحبائه أنهم لا يتركون تجهيزه مما عندهم بل يرغبون فيه .

(٢) (ومر معروف) أى وهو صائم نفلا .

(٣) (المغلس) بضم الميم وفتح المعجمة وكسر اللام المشددة وكان رضى الله تعالى عنه ملازماً بيته لا يخرج منه إلا للجمعة والجماعة ولا يراه فى غيرهما إلا من يقصده فى منزله وذلك طلبا لسلامة دينه وإراحة لقلبه وبدنه .

أصحاب معروف الكرخى فجاءه معروف يوما ومعه صبى يتيم فقال اكس هذا اليتيم قال سرى فكسوته ففرح به معروف(١) . وقال بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إلى من الدنيا وكل ما أنا فيه من بركات معروف . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول ما رأيت أعبد من السرى أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً(٢) . إلا فى علة الموت. ويحكى عن السرى أنه قال التصوف اسم لثلاثة معان(٣) . وهو الذى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه (٤). ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله. مات السرى سنة سبع وخمسين ومائتين سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال سألنى السرى يوما عن المحبة فقلت قال قوم هى الموافقة وقال قوم الإيثار وقال قوم كذا وكذا فأخذ السرى جلدة ذراعه ومدها فلم تمتد ثم قال وعزته تعالى لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشى عليه فدار وجهه كأنه قمر مشرق وكان السرى به أدمة . ويحكى عن السرى أنه قال منذ ثلاثين سنة أنا فى الاستغفار من قولى الحمد لله مرة قيل وكيف ذلك؟ فقال وقع ببغداد حريق فاستقبلنى رجل فقال لى نجا حانوتك فقلت الحمد لله فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسى

---

(١) (فكسوته ففرح به معروف) فيه تحريض على إدخال التلميذ المسرة على شيخه بفعل ما يشير به ليدعو له بالاجتهاد .

(٢) (مارؤى مضطجعاً .. الخ) فيه تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الإقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح .

(٣) (اسم لثلاثة معان) من قامت به فهو الصوفى لأن التصوف مشتق على الصحيح من الصفاء عن الكدر وقد بين المعانى الثلاثة مع من قامت به .

(٤) (وهو الذى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه) وهو الكف عن محارم الله تعالى بخلاف من يطفئ نور معرفته نور ورعه بأن أخطر الشيطان لمن أراد الله خذلانه إن عملك لا يفيدك شيئا لأنه لا يجرى عليك إلا ما سبق لك عند مولاك فيترك العمل فالعلم بما سبق لا يمنع من العمل لأنه لا يدرى ماسبق له على التعيين والظاهر بلا ريب عنوان الباطن .

خيرا مما حصل للمسلمين أخبرني به عبد الله بن يوسف قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت السرى يقول ذلك ويحكى عن السرى أنه قال أنا أنظر فى أنفى فى اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود خوفاً من الله أن يسود صورتى لما أتعاطاه . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسن بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول أعرف طريقاً مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ما هو؟ فقال لا تسأل من أحد شيئاً ولا تأخذ من أحد شيئاً ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول سمعت السرى يقول أشتهى أن أموت ببلد غير بغداد فقيل له ولم ذلك فقال أخاف أن لا يقبلنى قبرى فأفتضح . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله النوطى الطرسوسى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول دخلت يوما على السرى السقطى وهو يبكى فقلت له ما يبكيك؟ فقال جاءتنى البارحة الصبية فقالت يا أبتى هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ثم إنه حملتنى عيناى فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته قال الجنيد فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب (***ومنهم أبو نصر بشر بن الحارث الحافى***) أصله من مرو وسكن بغداد ومات بها وهو ابن أخت على بن خشرم مات سنة سبع وعشرين ومائتين وكان كبير الشأن وكان سبب توبته أنه أصاب فى الطريق كاغدة مكتوبا فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بها الكاغدة وجعلها فى شق حائط فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له يا بشر طيبت اسمى لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله

يقول مر بشر ببعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل كله ولا يفطر إلا فى كل ثلاثة أيام مرة فبكى بشر فقيل له فى ذلك فقال إنى لا أذكر أنى سهرت ليلة كاملة ولا أنى صمت يوما لم أفطر من ليلته ولكن الله سبحانه وتعالى يلقى فى القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفا منه سبحانه وكرما ثم ذكر ابتداء أمره كيف كان على ماذكرناه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت عبد الرحمن بن أبى حاتم يقول بلغنى أن بشر بن الحارث الحافى قال رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقال لى يا بشر أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يارسول الله قال باتباعك لسنتى وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هوالذى بلغك منازل الأبرار ، سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواص يقول كنت فى تيه بنى إسرائيل فإذا رجل يماشينى فتعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له بحق الحق من أنت فقال أخوكْ الخضر فقلت له أريد أن أسألك فقال سل فقلت ما تقول فى الشافعى رحمه الله فقال هو من الأوتاد (١) . فقلت ماتقول فى أحمد بن حنبل رضى الله عنه قال رجل صديق (٢) . قلت فما تقول فى بشر بن الحارث الحافى؟ فقال لم يخلق بعده مثله، فقلت بأى وسيلة رأيتك فقال ببرك لأمك (٣) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول أتى بشر الحافى باب المعافى بن عمران فدق عليه الباب فقيل من فقال بشر الحافى فقالت له بنية من داخل

---

(١) (من الأوتاد) لأنهم الذين يُحفظ بهم الدين وهو رضى الله عنه بهذه المثابة .

(٢) (رجل صديق) لما قاساه من الضرب والهوان لما طلب منه القول بخلق القرآن فأبى ولم ينطق بكلمة يتخلص بها مما هو فيه حفظا لدين الله ولعباده لئلا يعتقدوا فى كلام الله تعالى مالا يليق به .

(٣) (ببرك لأمك) فيه تحريض على بر الأم ومثلها الأب إلا أنها أولى منه بذلك لخبر الصحيحين البخارى ومسلم جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال ثم أبوك وقد قرن الله برهما ببره فقال: ﴿ أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير ﴾ .

الدار لو اشتريت لك نعلا بدانقين لذهب عنك اسم الحافى أخبرنى بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازى قال حدثنى عبد العزيز بن الفضل قال حدثنى محمد بن سعيد قال حدثنى محمد بن عبد الله قال سمعت عبد الله المغازلى يقول سمعت بشرا الحافى يذكر هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الحجاجى يقول سمعت المحاملى يقول سمعت الحسن المسوحى يقول سمعت بشر بن الحارث يحكى هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفضل العطار يقول سمعت أحمد بن على الدمشقى يقول قال لى أبو عبد الله بن الجلاء رأيت ذا النون وكانت له العبارة ورأيت سهلا وكانت له الإشارة ورأيت بشر بن الحارث وكان له الورع فقيل له فإلى من كنت تميل؟ فقال لبشر بن الحارث أستاذنا وقيل إنه اشتهى الباقلاء سنين فلم يأكله فرؤى فى المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب ، أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا أبو بكر لبن بنت معاوية قال سمعت أبا بكر بن عفان يقول سمعت بشر بن الحارث يقول إنى لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لى ثمنه وقيل لبشر بأى شيء تأكل الخبز فقال أذكر العافية وأجعلها إداما أخبرنا به محمد ابن الحسين رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا عمر بن سعيد قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال قال رجل لبشر الحكاية المذكورة . وقال بشر لا يحتمل الحلال السرف . ورؤى بشر فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وأباح لى نصف الجنة وقال لى يا بشر لو سجدت لى على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك فى قلوب عبادى وقال بشر لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس (***ومنهم أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى***) عديم النظير فى زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا بصرى الأصل مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين قيل إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئا وقال صححت الرواية عن

النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يتوارث أهل ملتين شيئا » سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت محمد بن مسروق يقول مات الحارث بن أسد المحاسبى وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضياعا وعقارا فلم يأخذ منه شيئا . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق فكان يمتنع منه وقال أبو عبد الله بن خفيف اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم الحارث بن أسد المحاسبى والجنيد بن محمد وأبو محمد رُوَيْم وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكى لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق (١) . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت جعفرا الخالدى يقول سمعت أبا عثمان البلدى يقول قال الحارث المحاسبى من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ، ويحكى عن الجنيد أنه قال مر بى يوما الحارث المحاسبى فرأيت فيه أثر الجوع فقلت ياعم تدخل الدار تتناول شيئا فقال نعم فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه فكان فى البيت شىء من طعام حمل إلىّ من عروس قوم فقدمته إليه فأخذ لقمة وأدارها فى فيه مرات ثم إنه قام وألقاها فى الدهليز ومر فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له فى ذلك فقال إنى كنت جائعا وأردت أن أسرك بأكلى وأحفظ قلبك ولكن بينى وبين الله سبحانه وتعالى علامة أن لا يسوغنى طعاما فيه شبهة فلم يمكنى ابتلاعه فمن أين كان لك ذلك الطعام فقلت إنه حمل إلى من دار قريب لى من العرس ثم قلت تدخل اليوم فقال نعم فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا فأكل وقال إذا قدمت إلى فقير شيئاً

---

(١) (بين العلم والحقائق) أى بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كلم الناس بقدر ما تقتضِيه أحوالهم وغيره وهو من غلب عليه حاله إنما يكلمهم مما غلب عليه فلا يصلح أن يقتدى به فمن غلب عليه حال الجوع مثلا وفتح عليه به إنما يكلم الناس بحاله وليس كل سالك يصلح له ذلك فقد يكون بعض الناس إنما يفتِح عليه من باب التبذل ولبس الثياب الخلقة وخدمة الفقراء لا من باب الجوع فالشيخ المقتدى به ينبغى أن يكون طبيبا عارفا بسائر الأدوية والأمراض فيداوى كل عليل بالدواء اللائق بمرضه وهكذا يكون المشايخ.

فقدم إليه مثل هذا (***ومنهم أبو سليمان داود بن نصير الطائى***) وكان كبير الشأن أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا أبو عمر بن مطر قال حدثنا محمد ابن المسيب قال حدثنا ابن خبيق قال قال يوسف بن سباط ورث داود الطائى عشرين ديناراً فأكلها فى عشرين سنة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول كان سبب زهد داود الطائى أنه كان يمر ببغداد فمر يوما فنحاه المطرقون بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود فرأى حميداً فقال داود أف لدنيا سبقك بها حميد ولزم البيت وأخذ فى الجهد والعبادة وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

بأى خديك تبدى البلى وأى عينيك إذن سالا

وقيل كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه فقال له أبو حنيفه يوماً يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها فقال له داود فأى شىء بقى فقال العمل به قال داود فنازعتنى نفسى إلى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسألة قال فجالستهم سنة لا أتكلم فى مسألة وكانت المسألة تمر بى وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعا من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلم به ثم صار أمره إلى ما صار وقيل حجم جنيد الحجام داود الطائى فأعطاه دينارا فقيل له هذا إسراف فقال لاعبادة لمن لا مروءة له وكان يقول بالليل إلهى همك عطل علىّ الهموم الدنيوية وحال بينى وبين الرقاد ، سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سعيد بن عمرو قال حدثنا على بن حرب الموصلى قال حدثنا إسماعيل بن زياد الطائى قال قالت داية داود الطائى له أما تشتهى الخبز؟ فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ولما توفى داود رآه بعض الصالحين فى المنام وهو يعدو فقال له مالك فقال الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل من منامه فارتفع الصياح بقول الناس مات داود الطائى وقال له رجل أوصنى فقال له عسكر الموت ينتظرونك ودخل بعضهم عليه فرأى جرة ماء انبسطت عليها

الشمس فقال له ألا تحولها إلى الظل ؟ فقال حين وضعتها لم يكن شمس وأنا أستحى أن يرانى الله أمشى لما فيه حظ نفسى ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال أما علمت أنهم[١] كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ، أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال حدثنا قاسم بن أحمد قال سمعت ميمونا الغزالى قال قال أبو الربيع الواسطى قلت لداود الطائى أوصنى فقال صم عن الدنيا [٢] واجعل فطرك [٣] الموت وفر من الناس كفرارك من السبع (***ومنهم أبو على شقيق بن إبراهيم البلخى***) من مشايخ خراسان له لسان فى التوكل وكان أستاذ حاتم الأصم قيل كان سبب توبته أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك وهو حدث فدخل بيتا للأصنام فرأى خادما للأصنام فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابا أرجوانية فقال شقيق للخادم إن لك صانعا حيا عالما قادرا فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التى لا تضر ولا تنفع فقال إن كان كما تقول فهو قادر على أن يرزقك ببلدك فلم تعنيت إلى ههنا للتجارة فانتبه شقيق وأخذ فى طريق الزهد وقيل كان سبب زهده أنه رأى مملوكا يلعب ويمرح فى زمان قحط وكان الناس مهتمين به فقال شقيق ماهذا النشاط الذى فيك أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط فقال ذلك المملوك وما على من ذلك ولمولاى قرية خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه فانتبه شقيق وقال إن كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم إنه ليس يهتم لرزقه فكيف ينبغى أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غنى ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول

---

(١) (أما علمت أنهم ..إلخ) فيه تنبيه على كمال النصح لزائره ووعظه بما ينتفع به فى آخرته من ترك الفضول لعموم الخبر الصحيح من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وهو ما لا تدعو إليه حاجة دينية .

(٢) (صم عن الدنيا) بزهدك فيها وإمساكك عن نعيمهافنعيم الآخرة خير وأبقى.

(٣) (واجعل فطرك ..إلخ) لأن ذلك سبب سلامة دينك وبدنك وعرضك ومعين على صومك عن الدنيا ومن كلامه ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصى إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا بشر فالغنى والعز والأنس بالله تعالى.

سمعت أبا الحسين بن أحمد العطار البلخى يقول سمعت أحمد بن محمد البخارى يقول قال حاتم الأصم كان شقيق بن إبراهيم موسرا وكان يتفتى ويعاشر الفتيان وكان على بن عيسى بن ماهان أمير بلخ وكان يحب كلاب الصيد ففقد كلبا من كلابه فسعى برجل أنه عنده وكان الرجل فى جوار شقيق فطلب الرجل فهرب فدخل دار شقيق مستجيرا فمضى شقيق إلى الأمير وقال خلوا سبيله فإن الكلب عندى أرده إليكم إلى ثلاثة أيام فخلوا سبيله وانصرف شقيق مغتما لما صنع فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائبا من بلخ رجع إليها فوجد فى الطريق كلبا عليه قلادة فأخذه وقال أهديه إلى شقيق فإنه يشتغل بالتفتى فحمله إليه فنظر شقيق فإذا هو كلب الأمير فسر به وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد . وحكى أن حاتما الأصم قال كنا مع شقيق فى مصاف نحارب الترك فى يوم لا نرى فيه إلا رؤوس تندر ورماح تنقصف وسيوف تنقطع فقال لى شقيق كيف ترى نفسك يا حاتم فى هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت فى الليلة التى زفت إليك امرأتك؟ فقلت لا والله قال لكنى والله أرى نفسى فى هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه. وقال شقيق إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله وما وعده الناس فبأيهما يكون قلبه أوثق . وقال شقيق تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه وكلامه (***ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى***) وكان جده مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلى وكلهم كانوا زهادا عبادا وأبو يزيد كان أجلهم حالا . قيل مات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت الحسن بن على يقول سئل أبو يزيد بأى شىء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا يزيد يقول عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد

على مـن العلم ومتابعته[١] ولولا اختلاف العلماء[٢] لبقيت واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد. وقيل لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كله . حدثنا أبو حاتم السجستانى قال أخبرنا أبو نصرالسراج قال سمعت طيفور البسطامى يقول سمعت المعروف بعمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول قال أبو يزيد قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد فمضينا إليه فلما خرج من بيته دخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه؟ وبهذا الإسناد قال أبو يزيد لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ومؤنة النساء ثم قلت كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياه فلم أسأله ثم إن الله سبحانه وتعالى كفانى مؤنة النساء حتى لا أبالى استقبلتنى امرأة أو حائط . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده فقال ليس للزهد منزلة فقلت لماذا فقال لأنى كنت ثلاثة أيام فى الزهد فلما كان اليوم الرابع خرجت منه اليوم ، الأول زهدت فى الدنيا وما فيها واليوم الثانى زهدت فى الآخرة وما فيها واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله فلما كان اليوم الرابع لم يبق لى سوى الله فهمت فسمعت هاتفا يقول يا أبا يزيد لاتقوى معنا فقلت هذا الذى أريد فسمعت قائلا يقول وجدت وجدت . وقيل لأبى يزيد ما أشد ما لقيت فى سبيل الله فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيت نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة ، وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلى

---

(١) (العلم ومتابعته) أى بالأعمال لأنهما لا يتمان للعبد إلا بمخالفة هواه واجتهاده فى تقواه وفى ذلك من المشقة مالا يخفى لاسيما العلم المتعلق بالقلب من الرياء والعجب والكِبْر وغيرها من الأخلاق الذميمة والورع والزهد والأخلاص وغيرها من الأخلاق الحميدة .

(٢) (اختلاف العلماء) أى فى المسائل بقيت أى على اجتهاد واحد وهو ما اتفقوا عليه وكنت فى مشقة زائدة بالملازمة لنوع واحد وفى نسخة لتعبت أى زيادة تعب بذلك .

واعتقادى فى نفسى عند كل صلاة أصليها كأنى مجوسى أريد أن أقطع زنارى ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول . سمعت عبد الله بن على يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة وحكى عمى البسطامى عن أبيه أنه قال ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ليذكر الله سبحانه على سور الرباط فبقى إلى الصباح لم يذكر فقلت له فى ذلك فقال تذكرت كلمة جرت على لسانى فى حال صباى فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى (***ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى***) أحد أئمة القوم ولم يكن له فى وقته نظير فى المعاملات والورع وكان صاحب الكرامات لقى ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج توفى كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين ومائتين . وقال سهل كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار وكان يقوم بالليل فربما كان يقول لى يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبى . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الفتح يوسف ابن عمران الزاهد يقول سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول سمعت عبد الله بن لؤلؤ يقول سمعت عمر بن واصل البصرى يحكى عن سهل بن عبد الله قال قال لى خالى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك فقلت كيف أذكر . فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى ناظر إلىّ شاهدى فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته فقال لى قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع فى قلبى حلاوة فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة فى سرى [١] . ثم قال لى خالى يوما

---

(١) (فوجدت لها حلاوة فى سرى)أى تحملنى على ملازمتها وأمره بأن يقولها أولا ثلاثا ثم سبعا ثم إحدى عشرة على سبيل التدريج تسهيلا لانتقاله من شىء إلى ما هو أولى منه وفى ذلك تعليم وتدريج للمرِيد كيف يتعلم المراقبة وأولها ذكر الله تعالى باللسان مكررا مع حضور القلب فإذا تنبه ذكره بقلبه خاصة إن لم يكن فى ذكره بلسانه أيضا زيادة فضيلة =

ياسهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثونى إلى الكتاب فقلت إنى لأخشى أن يتفرق علىَّ همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتى عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى إلى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى فسألته عنها فأجابنى وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصارا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت عليه عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت إبراهيم بن فراس يقول سمعت نصر بن أحمد يقول قال سهل بن عبد الله كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء طاعة كان أو معصية فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس (***ومنهم أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى***) وداران قرية من قرى دمشق مات سنة خمس عشرة ومائتين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبى حسان يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبى سليمان يقول من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ومن أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له . وبهذا الإسناد قال إذا سكنت الدنيا

= فيجمع بين الحسنيين فلهذا لما رآه منتبها قيل له فيما ذكر قل بقلبك من غير أن تحرك به لسانك وفى نقله له فى عدد الأفراد سر وهو أنه تعالى فرد يحبّ الفرد وتر يحب الوتر وكونه ثلاثا وسبعا وإحدى عشرة كأنه لكون الثلاث أقل الجمع والسبع عدد السموات السبع والأرضين وأيام الأسبوع والإحدى عشرة نهاية صلاة الوتر .

القلب ترحلت منه الآخرة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى ربما يقع فى قلبى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال أبو سليمان أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء وقال لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم وقال أبو سليمان كنت ليلة باردة فى المحراب فأقلقنى البرد فخبأت إحدى يدى من البرد وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتنى عيناى فهتف بى هاتف يا أبا سليمان قد وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها فآليت على نفسى أن لا أعود إلا ويداى خارجتان حرّاً كان الزمن أو بردا . وقال أبو سليمان نمت عن وردى فإذا أنا بحوراء تقول لى تنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام . أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهانى قال أخبرنا أبو عمرو الجولستى قال أخبرنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال دخلت على أبى سليمان يوما وهو يبكى فقلت له ما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكى وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاريبهم أشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى وإنى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادى فيهم ياجبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه أم كيف يجمل بى أن آخذ قوما إذا جنهم الليل تملقوا لى فبى حلفت أنهم إذا ردوا على يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم [١] . (***ومنهم أبو عبد الرحمن حاتم بن***

---

(١) (حتى ينظروا إلى وأنظر إليهم) وذلك بكشف الحجب التى تحجبهم عن رؤيتهم له فى الدنيا أما هو فلا يحجب عن رؤيتهم لاستحالة ذلك فى حقه فلا يوصف بأنه محجوب وإن وصف بأنه محتجب لأن المحجوب مقهور والمحتجب بنفسه أى المتخذ لنفسه حجابا قاهرا وله تعالى سبعون حجاباً من نور وظلمة على ما ورد فى الخبر وفسرت حجب النور بالعلوم والوقوف عندها وحجب الظلمة بجهالات الخلق.

علوان) ويقال حاتم بن يوسف الأصم من أكابر مشايخ خراسان وكان تلميذ شقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه قيل لم يكن أصم وإنما تصامم مرة فسمي به سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة فاتفق أنه خرج منها فى تلك الحالة صوت فخجلت فقال حاتم ارفعى صوتك فأرى من نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال سمعت أبا على سعيد بن أحمد يقول سمعت أبى يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت خالى محمد بن الليث يقول سمعت حامدا اللفاف يقول سمعت حاتما الأصم يقول ما من صباح إلا والشيطان يقول لى ماذا تأكل وماذا تلبس وأين تسكن فأقول آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر. وبإسناده قيل له ألا تشتهى فقال أشتهى عافية يوم إلى الليل فقيل له أليست الأيام كلها عافية فقال إن عافية يومى أن لا أعصى الله فيه. وحكى عن حاتم الأصم أنه قال كنت فى بعض الغزوات فأخذنى شخص فأضجعنى للذبح فلم يشتغل به قلبى بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فىَّ فبينما هو يطلب السكين من خفه أصابه سهم غرب فقتله وطرحه عنى فقمت. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر منصور بن محمد بن إبراهيم الفقيه يقول سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول روى عن حاتم أنه قال من دخل فى مذهبنا هذا فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت موتا أبيض وهو الجوع وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق وموتاً أحمر وهو العمل الخالص من الشوب فى مخالفة الهوى وموتاً أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض (***ومنهم أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ***) نسيج وحده فى وقته له لسان فى الرجاء خصوصا وكلام فى المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان العكبرى يقول سمعت أحمد بن محمد بن السرى يقول سمعت أحمد بن عيسى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول كيف يكون زاهداً من لا ورع له تورع عما ليس لك ثم

ازهد فيما لك . وبهذا الإسناد قال جوع التوابين تجربة وجوع الزاهدين سياسة وجوع الصديقين تكرمة . وقال يحيى الفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق وقال يحيى الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع وقال يحيى لا تريح على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها . وقيل إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ فى تفضيل الغنى على الفقر فأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له فى هذا المال فخرج إلى نيسابور فوقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه . أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن بالويه الصوفى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت الحسين بن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول من خان الله فى السر هتك الله ستره فى العلانية . سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسين محمد بن عبد العزيز المؤذن يقول سمعت مجمد بن محمد الجرجانى يقول سمعت على بن محمد يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول تزكية الأشرار لك هجنة بك وحبهم لك عيب وهان عليك من احتاج إليك [1] . (***ومنهم أبو حامد أحمد ابن خضرويه البلخى***) من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشبى قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج إلى بسطام فى زيارة أبى يزيد البسطامى وكان كبيراً فى الفتوة وقال أبو حفص ما رأيت أحداً أكبر همة ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه وكان أبو يزيد يقول أستاذنا أحمد . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو فى النزع وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه

---

(١) (من احتاج إليك) أى وسألك إذ احتياج الشخص إلى الخلق وعدم الزهد فيما بأيديهم يؤدى إلى هو أنه عليهم إلا من اصطفاه الله ممن إذا احتاج إليهم ساعدوه بأنفسهم وأموالهم ودعوا الله له أن يمده بعونه ويغنيه عنهم وقليل ما هم بخلاف الاحتياج إلى الله وسؤاله لا هوان فيه على أحد بل من لا يسأله يبغضه ومن كلام يحيى بئس الصديق صديقا يحتاج أن يقال له اذكرنى فى دعائك وبئس الصديق صديقا يحتاج أن يعتذر إليه وبئس الصديق صديقا تحتاج أن تعيش معه بالمداراة .

عن مسألة فدمعت عيناه وقال يا بنى باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة وهذا يفتح لى الساعة لا أدرى أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة أنى لى أوان الجواب قال وكان عليه سبعمائة دينار دينا وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فادعنى قال فدق داق الباب وقال أين غرماء أحمد فقضى عنه ثم خرجت روحه ومات رحمه الله سنة أربعين ومائتين . وقال أحمد بن خضرويه لانوم أثقل من الغفلة ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة (***ومنهم أبوالحسين أحمد بن أبى الحوارى***) من أهل دمشق صحب أبا سليمان الدارانى وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين وكان الجنيد يقول أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا أحمد الحافظ يقول سمعت سعيد بن عبد العزيز الحلبى يقول سمعت أحمد بن أبى الحرارى يقول من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج نور اليقين والزهد من قلبه. وبهذا الإسناد يقول من عمل عملا بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فباطل عمله وبهذا الإسناد قال أحمد بن الحوارى أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة. وقال أحمد ما ابتلى الله عبدا بشيء أشد من الغفلة والقسوة(***ومنهم أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد***) من قرية يقال لها كورداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين . قال أبو حفص : المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت وقال أبو حفص إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وقال حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن. وقال الفتوة أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول سمعت أبا على الثقفى يقول كان أبو حفص يقول من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده فى ديوان الرجال (***ومنهم أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى***) صحب حاتم الأصم وأبا حاتم العطار المصرى مات سنة خمس وأربعين ومائتين قيل مات بالبادية نهشته السباع . وقال ابن الجلاء صحبت ستمائة

شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة أولهم أبو تراب النخشبى قال أبو تراب الفقير قوته ما وجده ولباسه ما ستره ومسكنه حيث نزل . وقال أبو تراب إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول كان أبو تراب النخشبى إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد فى اجتهاده وجدد توبته ويقول بشؤمى دفعوا إلى ما دفعوا إليه لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ قال وسمعته يقول أيضا لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل ومن قرأ القرآن من مصحف أو كيما يسمع الناس فقد سأل قال وسمعته يقول كان أبو تراب يقول بينى وبين الله عهد أن لا أمد يدى إلى حرام إلا قصرت يدى عنه. ونظر أبو تراب يوما إلى صوفى من تلامذته قد مد يده إلى قشر بطيخ وقد طوى ثلاثة أيام فقال له أبوتراب تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف الزم السوق(١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أبا عبد الله الفارسى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أبا تراب النخشبى يقول ما تمنت نفسى على قط إلا مرة واحدة تمنت على خبزا وبيضا(٢) وأنا فى سفرى فعدلت(٣) عن الطريق إلى قرية فوثب رجل وتعلق بى وقال كان هذا مع اللصوص فبطحونى وضربونى سبعين خشبة فوقف علينا رجل صوفى فصرخ وقال ويحكم هذا أبو تراب النخشبى فخلونى واعتذروا إلى وأدخلنى الرجل منزله وقدم إلى خبزا وبيضا

---

(١) (الزم السوق) أى أهله وهو مجاز مرسل هذا من باب الأمربالصبر وكمال المجاهدة ورفع الهمة عن تناول مالا يصلح لمثله من الزهاد لأن من وصل إلى أن يصبر عن الطعام ثلاثة أيام بلياليها شغلا بالخير لا يليق به خسة الهمة وتناول ما يلقيه الناس ولا يأكلونه.

(٢) (تمنت على خبزا وبيضا)أى على ما هو الغالب على أهل الريف لأنه من الأنواع المتيسر عندهم غالبا .

(٣) (فعدلت .. إلخ) أى لآكل ذلك من عند بعض إخوانى فأدبنى الله على كونى فسخت عزمى من ترك تمنى الشهوات.

فقلت كلها بعد سبعين جلدة . وحكى ابن الجلاء قال دخل أبو تراب مكة طيب النفس فقلت أين أكلت أيها الأستاذ فقال : اكلة بالبصرة. وأكلة بالنباج وأكلة ههنا (***ومنهم أبو محمدعبد الله بن خبيق***) من زهاد المتصوفة صحب يوسف بن إسقاط كان كوفى الأصل ولكنه سكن أنطاكية سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت أبا الأزهر الميافارقينى يقول سمعت فتح بن شخرف يقول حدثنى عبد الله ابن خبيق أول ما لقيته فقال لى يا خراسانى إنما هى أربع لاغير عينك ولسانك وقلبك وهواك فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل وانظر لسانك ولا تقل به شيئا يعلم الله خلافه من قلبك وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين وانظر هواك لا تهوى به شيئا من الشر فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت . وقال ابن خبيق لا تغتم إلا من شيء يضرك غدا ولا تفرح إلا بشيء يسرك غدا. وقال ابن خبيق وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب ولو أنهم أنسوا بربهم لأنس بهم كل أحد وقال أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصى وأطال منك الحزن على عافاتك وألزمك الفكرة فى بقية عمرك وأنفع الرجاء ما سهل عليك العمل. وقال طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب (***ومنهم أبو على أحمد بن عاصم الأنطاكى***) من أقران بشر بن الحارث والسرى السقطى والحارث المحاسبى وكان أبو سليمان الدارانى يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته وقال أحمد بن عاصم إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك وقال أحمد بن عاصم قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ونحن نستزيد من الفتنة[١] . (***ومنهم أبو السرى منصور بن عمار***) من أهل مرو من قرية يقال لها دندانقان وقيل انه من بوشنج أقام بالبصرة وكان من الواعظين الأكابر قال منصور بن

---

(١) (نستزيد من الفتنة)أى نطلبها ونحبها نبه بذلك على ذم المشغولين بالدنيا واستزادتهم من أموالها وأولادها وقال أحمد بن عاصم يسير اليقين يخرج الشك من القلب ويسير الشك يخرج كل اليقين من القلب وقال إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا يحتسبون ونعمت النصيحة.

عمار من جزع من مصائب الدنيا[١] . تحولت مصيبته فى دينه . وقال منصور بن عمار أحسن لباس العبد التواضع والانكسار وأحسن لباس العارفين[٢] . التقوى قال الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ وقيل إن سبب توبته أنه وجد فى الطريق رقعة مكتوبا عليها باسم الله الرحمن الرحيم فرفعها فلم يجد لها موضعا فأكلها فرأى فى المنام كأن قائلا قال له فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا العباس القاص يقول سمعت أبا الحسن الشعرانى يقول رأيت منصور بن عمار فى المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لى أنت منصور بن عمار فقلت له بلى يارب قال أنت الذى كنت تزهد الناس فى الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك يارب ولكنى ما اتخذت مجلسا إلا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وثلثت بالنصيحة لعبادك فقال صدق ضعوا له كرسيا يمجدنى فى سمائى بين ملائكتى كما كان يمجدنى فى أرضى بين عبادى (***ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد ابن عمارة القصار***) نيسابورى منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صحب سلمان الباروسى وأبا تراب النخشبى مات سنة إحدى وسبعين ومائتين . سئل حمدون متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس فقال إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى فى علمه أو خاف هلاك إنسان فى بدعة وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها . وقال من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر . وقال مذ علمت أن للسلطان قراسة فى الأشرار ما خرج خوف السلطان من قلبى . وقال إذا رأيت سكرانا فتمايل لئلا تبغى عليه فتبتلى بمثل ذلك . وقال عبد الله بن منازل قلت لأبى صالح أوصنى فقال إن استطعت أن لا تغضب لشىء من الدنيا فافعل. ومات صديق له وهو عند رأسه فلما مات أطفأ حمدون السراج فقالوا له فى مثل هذا الوقت يزاد فى السراج الدهن

---

(١) (من مصائب الدنيا) وهى الآلام والأسقام وهلاك المال والولد ونحو ذلك .

(٢) (وأحسن لباس العارفين) أى الذين غلبت عليهم أحوالهم بدوام نظرهم لمولاهم ولما سبق لهم عنده تعالى مما يجريه عليهم فى دنياهم والآخرة خير وأبقى.

فقال لهم إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة وقال حمدون من نظر فى سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال . وقال لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستورا منك (***ومنهم أبو القاسم الجنيد بن محمد***) سيد هذه الطائفة وأمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريرى وكان فقيها على مذهب أبى ثور وكان يفتى فى حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السرى والحارث المحاسبى ومحمد ابن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت الفراغانى يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من العارف قال من نطق عن سرك وأنت ساكت : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الحريرى يقول سمعت الجنيد يقول مأخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا(١) . فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها وقال الجنيد إن أمكنك أن لا تكون آلة بيتك إلاخزفا فافعل(٢) . وقال الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر

---

(١) (من الذى يقول هذا) القول لأن كلا من الزانى والسارق يعرف عصيانه ويرجو توبته منه بخلاف هذا لأنه يعتقد أنه فى أرفع المقامات وأحسن الأحوال فلا يرجع عنه وهو استدراج والعياذ بالله تعالى وإلى ذلك أشار بقوله فإن العارفين .. إلخ .

(٢) (فافعل) فيه الحث على التقلل من الدنيا والاكتفاء بآلة الفخار عن آلة النحاس ونحوه مما يدل اتخاذه على طول الأمل والصوفى ابن وقته وموته بين عينيه فيكتفى باليسير من الدنيا .

الرسول عليه الصلاة والسلام . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف الف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله . وقال الجنيد من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله قال سمعت أبا الحسين بن فارس يقول سمعت أبا الحسين على بن إبراهيم الحداد يقول حضرت مجلس أبى العباس بن شريح فتكلم فى الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه فلمارأى إعجابى قال أتدرى من أين هذا قلت يقول به القاضى[١] . فقال هذا ببركة مجالسة أبى القاسم الجنيد. وقيل للجنيد من أين استفدت هذا العلم فقال من جلوسي بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة فى داره . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يحكى ذلك وسمعته يقول رؤى فى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال طريق[٢] به وصلت إلى ربى لا أفارقه وسمعت الأستاذ أبا على رحمه الله يقول كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته. وقال أبو بكر العطوى[٣] . كنت عند الجنيد حين مات فرأيته ختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله (***ومنهم أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى***) المقيم بنيسابور وكان من الرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به وزوجه أبو حفص ابنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين وعاش بعد أبى حفص نيفا وثلاثين

(١) (يقول به القاضى) أى تخبرنى به أنت .
(٢) (فقال طريق ..إلخ) فيه دليل على كمال اجتهاده وملازمته لما اعتاده من الطاعة.
(٤) (وقال أبو بكر العطوى ..إلخ) فيه دليل على كمال اجتهاده أيضاً وملازمته أوراده إلى حين موته ومن كلامه من طلب عزا بباطل أورثه الله ذلا بحق وما أحق هذا القول .

سنة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول سمعت أبا عثمان يقول لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والإعطاء والعز والذل . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول سمعت بعض أصحاب أبى عثمان يقول سمعت أبا عثمان يقول صحبت أبا حفص مدة وأنا شاب فطردنى مرة وقال لا تجلس عندى فقمت ولم أوله ظهرى وانصرفت إلى ورائى ووجهنى إلى وجهه حتى غبت عن عينيه وجعلت على نفسى أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره. فلما رأى ذلك أدنانى وجعلنى من خواص أصحابه قال وكان يقول فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام ، وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطته . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعرانى يقول سمعت أبا عثمان يقول ذلك . ولما تغير على أبى عثمان الحال مزق أبو بكر قميصا على نفسه ففتح أبو عثمان عينيه وقال خلاف السنة يا بنى فى الظاهر علامة رياء فى الباطن(١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الملامتى يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سمعت أبا عثمان يقول الصحبة مع الله(٢) . بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل(٣) . بحسن الخلق والصحبة مع الإخوان بدوام البشر(٤) . ما لم

---

(١) (فى الظاهر علامة رياء فى الباطن) وهو هنا كونه أظهر الحزن والألم لئلا يذم بترك الحنو على الوالد والمحبة له فإن العبد إذا لم يراقب الله فى أمره ونهيه عند نزول المصائب سبق إلى قلبه ذم الناس له إن لم يظهر الحزن بموت من يعز عليه.

(٢) (الصحبة مع الله) إطلاقها معه تعالى مأخوذة من خبر أنت الصاحب ى السفر والخليفة فى الأهل والمراد دوام المعاملة معه تعالى .

(٣) (والصحبة مع الأهل) من الزوجة والولد والخادم وسائر الأقارب.

(٤) (بدوام البشر) وهو حسن الملاقاة عند الاجتماع والسؤال عن أحوالهم وادخال المسرة عليهم .

يكن إثمـا والصحبـة مع الجهال[١] . بالدعاء لهم والرحمة عليهم. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول سمعت أبا عمر بن نجيد يقول سمعت أبا عثمان يقول من أمرَّ السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (***ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد النوري***) بغدادى المولد والمنشأ بغوى الأصل صحب السرى السقطى وابن أبى الحوارى وكان من أقران الجنيد رحمه الله مات سنة خمس وتسعين ومائتين وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان . قال النورى رحمه الله التصوف ترك كل حظ للنفس وقال النورى أعز الأشياء فى زماننا شيئان عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة سمعت أبا عبد الله الصوفى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد البرذعى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت النورى يقول من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول منذ مات النورى لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد وقال أبو أحمد المغازلى ما رأيت أعبد من النورى قيل ولا الجنيد قال ولا الجنيد وقال النورى كانت المراقع غطاء على الدر فصارت اليوم مزابل على جيف . وقيل كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به فى الطريق ويدخل مسجدا يصلى فيه إلى قريب من الظهر ثم يخرج ويفتح باب حانوته ويصوم فكان أهله يتوهمون أنه يأكل فى السوق وأهل السوق يتوهمون أنه يأكل فى بيته بقى على هذا فى ابتدائه عشرين سنة (***ومنهم أبو عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء***) بغدادى الأصل أقام بالرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام صاحب أبا تراب وذا النون وأبا عبيد اليسرى وأباه يحيى الجلاء ، سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد العزيز الطبرى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول قلت لأبى وأمى أحب أن تهبانى لله عز وجل فقالا قد وهبناك لله عز وجل فغبت عنهما مدة فلما رجعت كانت ليلة مطيرة

---

(١) (مع الجهال) يعنى عصاة المؤمنين ومن عصى فهو جاهل بعظمة الله تعالى.

فدققت الباب فقال لى أبى من ذا قلت ولدك أحمد فقال كان لنا ولد فوهبناه لله تعالى ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه ولم يفتح لى الباب وقال ابن الجلاء من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرائض فى أول مواقيتها فهو عابد ومن رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد لا يرى إلا واحداً . ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه وهو يضحك فقال الطبيب إنه حى ثم نظر إلى مجسته فقال إنه ميت ثم كشف عن وجهه فقال لا أدرى أهو ميت أم حى وكان فى داخل جلده عرق على شكل لله . وقال ابن الجلاء رحمه الله كنت أمشى مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت يا أستاذى ترى يعذب الله هذه الصورة فقال أو نظرت إليه سترى غبه قال فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة (***ومنهم أبو محمد رويم***[١] ***بن أحمد***) بغدادى من أجلة المشايخ مات سنة ثلاث وثلاثمائة وكان مقرئا وكان فقيها على مذهب داود قال رويم من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة عليهم اتباع العلم[٢]. والتضييق على نفسه من حكم الورع. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سألت رويما فقال أوصنى فقال ما هذا الأمر إلا ببذل الروح فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وقال رويم قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق[٣] . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق فمن قعد معهم وخالفهم فى شىء مما يتحققون به نزع الله

---

(١) (رُوَيْم) بضم الراء وفتح الواو وإسكان الياء.

(٢) (اتباع العلم) أى من حكم اتباعه لخبر يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وكونوا عباد الله إخوانا وليتدرب الإنسان فى الخيرات وينتقل من الواجبات إلى المندوبات ويترك المحرمات ثم المكروهات ثم الشبهات ثم أبوابا من الحلال مخافة الوقوع فى شىء من الشبهات .

(٣) (وقعدت هذه الطائفة على الحقائق) وهى غلبة الأحوال على القلب ومشاهدة الرب فى كل عمل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه عيانا فإنه يراك فأهل الحقائق هم الطالبون لهذا المقام .

نور الإيمان من قلبه قال رويم اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان فاستقيت من دار ففتحت صبية بابها ومعها كوز فلما رأتنى قالت صوفى[١] . يشرب بالنهار فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط وقال رويم إذا رزقك الله المقال والفعال فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة وإذا أخذ منك كليهما فهى نقمة وعقوبة (***ومنهم أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخى ساكن سمرقند***) بلخى الأصل أخرج منها فدخل سمرقند ومات بها وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وكان أبو عثمان الحيرى يميل إليه جداً مات سنة تسع عشرة وثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد الفراء يقول سمعت أبا بكر بن عثمان يقول كتب أبو عثمان الحيرى إلى محمد بن الفضل يسأله علامة الشقاوة فقال ثلاثة أشياء يرزق العلم ويحرم العمل ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم وكان أبو عثمان الحيرى يقول محمد بن الفضل سمسار الرجال . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة فى السجن من أمانى النفوس سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول ذهاب الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ويعملون بما لا يعلمون ولا يتعلمون مالا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم وبهذا الإسناد قال العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته فيرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل وقال إذا رأيت المزيد يستزيد من الدنيا فذلك من علامات إدباره وسئل عن الزهد فقال النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعززا وتطرفا وتشرفا (***ومنهم أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير***) كان من أقران الجنيد من أكابر مصر سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت الكتانى يقول لما مات الزقاق انقطعت حجة الفقراء فى دخولهم مصر. وقال الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض . سمعت الشيخ

(١) (قالت صوفى .. إلخ) فيه دلالة على أن الصبية كانت من بيت علم حتى عرفت أحوال الصوفية وأنهم المجتهدون فى الأعمال وصدق الأقوال.

أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت الزقاق يقول تهت فى تيه بنى إسرائيل مقدار خمسة عشر يوما فلما وقعت على الطريق استقبلنى إنسان جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة (**ومنهم أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكى**) لقى أبا عبد الله النباجى وصحب أبا سعيد الخراز وغيره شيخ القوم وإمام الطائفة فى الأصول والطريقة مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت عمرو بن عثمان المكى يقول كل ما توهمه قلبك أو رسخ فى مجارى فكرتك أو خطر فى معارضات قلبك من حسن أو بهاء أو أنس أو جمال أو ضياء أو شبح أو نور أو شخص أو خيال فالله تعالى بعيد من ذلك (١) . ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وقال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(وبهذا الإسناد) قال العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد(٢) . وقال لا يقع على الواجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمنين (**ومنهم سمنون**(٣) **بن حمزة**) وكنيته أبو الحسن ويقال أبو القاسم صحب السرى وأبا أحمد القلانسى ومحمد بن على

---

(١) (فالله تعالى بعيد من ذلك) لأن ذلك إنما يتعلق بمن له مثال أو شبيه أو نظير والله تعالى منزه عن ذلك كله لأن كل ذلك مخلوق ويستحيل أن يحل فى شىء وأن يحل فيه شىء وإلا لكان محصوراً محدودا فى الأول ومحلا للحوادث وجرما أى جسما فى الثانى وهو منزه عن ذلك .

(٢) (يتم لك ما تريد) من فعل الخيرات وترك المنكرات والحزن والكسل والوقوف عن السير والجموح والجماح والجمع الهرب من جهة إلى أخرى وهذا شأن النفس إذا حملت الأثقال إما أن تقف عن السير أو تهرب أو تخادع صاحبها أو تروع إليه فإذا أراد سيرها سوقها وخوفها بما ذكرناه ورفق بها فى السير حتى تتعود الخير فتسير إليه بسهولة بعون ربها ولا يحتاج إلى كمال القائد والسائق .

(٣) (ومنهم سمْنون) بضم السين على المشهور .

القصار وغيرهم قيل إنه أنشد :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

فأخذه الأشر [احتباس البول] من ساعته فكان يدورعلى المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب وقيل بل أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض سمحت البارحة وكنت فى الرستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع إليه ويسأله الشفاء فقال آخر وأنا أيضا كنت سمعت هذه البارحة وكنت بالموضع الفلانى فقال ثالث ورابع مثل هذا فأخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الأشر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشيء من ذلك علم أن المقصود منه إظهار الجزع تأدبا بالعبودية وسترا لحاله فأخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكاذب . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت جعفر الخلدى يقول قال لى أبو أحمد المغازلى كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لى سمنون يا أبا أحمد ألا ترى ما قد أنفق هذا وما قد عمله ونحن ما نجد شيئا فامض بنا إلى موضع نصلى فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة وكان سمنون ظريف الخلق أكثر كلامه فى المحبة وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل (**ومنهم *أبو عبيد البسرى***) من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبى. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة ذى النون المصرى وأبى وأبى تراب النخشبى وأبى عبيد البسرى سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أحمد بن محمد البغوى يقول سمعت محمد بن معمر يقول سمعت أبا زرعة الحسنى يقول كان أبو عبيد البسرى يوما على جرجر (نورج) يدرس قمحا له وبينه وبين الحج ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان فقالا يا أبا عبيدة تنشط للحج فقال لا ثم التفت إلى وقال شيخك على هذا أقدر منهما يعنى نفسه (**ومنهم**

أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى) كان من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشبى وأبا عبيد البسرى وأولئك الطبقة وكان أحد الفتيان كبير الشأن مات قبل الثلثمائة وقال شاه علامه التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات وكان يقول لأصحابه اجتنبوا الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا ما بدا لكم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت جدى بن نجيد يقول قال شاه الكرمانى من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة (***ومنهم يوسف بن الحسين***) شيخ الرى والجبال فى وقته وكان نسيج وحده فى إسقاط التصنع وكان عالما أديبا صحب ذا النون المصرى وأبا تراب النخشبى ورافق أبا سعيد الخراز . مات سنة أربع وثلثمائة قال يوسف بن الحسين لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال يوسف بن الحسين إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجىء منه شيء وكتب إلى الجنيد لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيرا أبدا . وقال يوسف بن الحسين رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان (***ومنهم أبو عبد الله بن محمد بن على الترمذى***) من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم صحب أبا تراب النخشبى وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم . سئل محمد بن على عن صفة الخلق فقال ضعف ظاهر ودعوى عريضة . وقال محمد بن على ما صنفت حرفا عن تدبير ولا لينسب إلى شيء منه ولكن كان إذا اشتد على وقتى أتسلى به [1] . (***ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى***) أقام ببلخ وصحب أحمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف في الرياضيات. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن محمد البلخى يقول سمعت

---

(١) (أتسلى به) أى بالتصنيف بأن تجرى الحكم على لسانى فأشتغل بتعليمها لأتسلى به ويخف عنى ما لا أقدر على حمله عادة من تلك الأحوال كما حكى عن النورى أنه وجد ذات يوم ينتف شعر حواجبه فسئل عن ذلك فقال الحقيقة غالبة على ولا قدرة لى على حملها فأنا أشتغل بذلك ليخف مابى وأرجع إلى إحساسى .

أبا بكر الوراق يقول من أرضى الجوارح بالشهوات غرس فى قلبه شجر الندامات [١]. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر البلخى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول مفتاح كل بركة الصبر فى موضع إرادتك إلى أن تصح تلك الإرادة فإذا صحت لك الإرادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة (***ومنهم أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز***) من أهل بغداد صحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى وبشرا وغيرهم مات سنة سبع وسبعين ومائتين . قال أبو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس الصياد يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم وهو يمر عنى ناحية فقلت له تعال مالك فقال إيش أعمل بكم وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس فقلت وما هو قال الدنيا فلما ولى عنى التفت إلى وقال غير أن لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال صحبة الأحداث . وقال أبو سعيد الخراز صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بينى وبينهم خلاف قالوا لم قال لأنى كنت معهم على نفسى (***ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربى***) أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ على بن رزين عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة تسع وتسعين ومائتين كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت إليه يد بنى آدم سنين كثيرة وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود أكلها . وقال أبو عبد الله المغربى أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات وقال أعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا أو تواضع له وأعظم الخلق عزا غنى تذلل للفقراء وحفظ كرامتهم (***ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق***) من أهل طوس سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبى والسرى السقطى توفى ببغداد سنة تسع وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين قال ابن مسروق من راقب الله تعالى فى خطرات قلبه عصمه الله فى حركات

---

(١) (غرس فى قلبه شجر الندامات) لمخالفة ما يقربه لمولاه وهذا يجده عنده فى الدنيا وهو ظاهر وفى الآخرة لأنه إذا رأى جزاء الأعمال ودرجات المجتهدين فى الطاعة مع خلوه عن ذلك باشتغاله بالشهوات توالت على قلبه الندامات والحسرات .

جوارحه وقال تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى وقال شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق والموافقة وقال متى طمعت فى المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة فأنت فى جهل ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت فى غفلة عما تطلب (**ومنهم *أبو الحسن على بن سهل الأصبهانى***) من أقران الجنيد قصده عمرو بن عثمان المكى فى دين ركبه فقضاه عنه وهو ثلاثون ألف درهم لقى أبا تراب النخشبى والطبقته . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبرى يقول سمعت على بن سهم يقول المبادرة إلى الطاعات من علامات التوفيق والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم فى منتهى عواقبه (***ومنهم أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى***)[١] . من كبار أصحاب الجنيد وصحب سهل بن عبد الله أقعد بعد الجنيد فى مكانه وكان عالما بعلوم هذه الطائفة كبير الحال مات سنة إحدى عشرة وثلثمائة . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول مات الجريرى سنة الهبير[٢] . فجزت به بعد سنة فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره وهو مشير إلى الله بأصبعه [٣] . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى[٤] وحرم الله على قلبه الفوائد فلا

---

(١) (الجريرى) بضم الجيم نسبة إلى جرير بن عباد من بنى بكر بن وائل .

(٢) (سنة الهبير) التى كان فيها هلاك الناس وتهبيرهم أين تقطيعهم .

(٣) (وهو مشير إلى الله تعالى بأصبعه) فيه تنبيه على أنه كان مشغولا بالله تعالى فى وقت اشتغال الناس بأنفسهم عن أديانهم لشدة ما يطرقهم من المصائب الدنيوية لأنه لما وقع هذا الأمر العظيم على أنه لا نجاة منه إلا بربه فأقبل عليه وجلس مكانه متوجها إلى القبلة معرضا عن غيره فمات وهو كذلك مشيرا إليه وهكذا يكون العبد الواصل .

(٤) (محصورا فى سجن الهوى) أى لا يتفرغ للطاعات ولا يفرق بين ما ينفعه وما =

يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه وإن كثر ترداده على لسانه لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال الجريرى رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع (***ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى***) من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم كان الخراز يعظم شأنه وهو من أقران الجنيد وصحب إبراهيم المارستانى ، مات سنة تسع وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد القرشى يقول سمعت ابن عطاء يقول من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم فى أوامره وأفعاله وأخلاقه. وقال ابن عطاء أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن أوامره ونواهيه وغفلته عن آداب معاملته. سمعت أبا عبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصوفى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كل ما سئلت عنه فاطلبه فى مفازة العلم فإن لم تجده ففى ميدان الحكمة فإن لم تجده فزنه بالتوحيد فإن لم تجده فى هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان (***ومنهم أبو أسحق إبراهيم بن أحمد الخواص***) من أقران الجنيد والنورى وله فى التوكل والرياضات حظ كبير. مات بالرى سنة إحدى وتسعين ومائتين كان مبطونا فكان كلما قام توضأ وعاد إلى المسجد وصلى ركعتين فدخل مرة الماء فمات رحمه الله . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الخواص يقول ليس العالم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم ، سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الأزدى يقول سمعت الخواص يقول دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (***ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز***) من أهل الرى جاور بمكة وصحب أبا حفص وأبا عمران الكبير وكان من المتورعين

= يضره عند ربه .

مات قبل العشرة والثلثمائة . سمعت الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت الدقى يقول دخلت على عبد الله الخراز ولى أربعة أيام لم آكل فقال يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادى عليه الجوع ثم قال إيش يكون لو أن كل نفس منفوسة تلفت فيما تؤمله عند الله ترى يكون ذلك كثيرا . وقال أبو محمد عبد الله الخراز الجوع طعام الزاهدين والذكر طعام العارفين (***ومنهم أبو الحسن بنان بن محمد الحمال***) واسطى الأصل أقام بمصر ومات بها سنة ست عشرة وثلثمائة كبير الشأن صاحب الكرامات. سئل بنان[١] عن أجل أحوال الصوفية فقال الثقة بالمضمون[٢] والقيام بالأوامر ومراعاة السر[٣] والتخلى من الكونين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول ألقى بنان الحمال بين يدى السبع[٤] فجعل السبع يشمه ولا يضره فلما أخرج قيل له ما الذى كان فى قلبك حيث شمك السبع قال كنت أفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع (***ومنهم أبو حمزة البغدادى البزاز***) مات قبل الجنيد وكان من أقرانه صحب السرى والحسن المسوحى وكان عالماً بالقراءات فقيها وكان من أولاد عيسى بن أبان وكان أحمد بن حنبل يقول له فى المسائل ماتقول فيها يا صوفى. قيل كان يتكلم فى مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال فسقط عن كرسيه ومات فى الجمعة التالية وقيل مات سنة تسع وثمانين ومائتين . قال أبو حمزة من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله وقال أبو حمزة من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من

---

(١) (بنان) بضم الموحدة وهى الباء .

(٢) (الثقة بالمضمون) وهو الرزق ليستريح عما يشغله عن الطاعات.

(٣) (السر) أى القلب لتكون الأعمال خالصة لله تعالى لا لطلب الجزاء الذى وعد الله به عليها ولا لغيره .

(٤) (ألقى بنان الحمال بين يدى السبع) بأمر ابن طولون حاكم مصرلما أمره بالمعروف أو لما نسب إلى خطأ فى الدين فإن الصوفية تجرى على ألسنتهم كلمات لا يفهمها غيرهم فينسب قائلها إلى ذلك فمنهم من ينسب إلى الزندقة ومنهم من ينسب إلى الحلول والمشى إلى السلاطين.

الآفات : بطن خال مع قلب قانع وفقر دائم معه زهد حاضر وصبر كامل معه ذكر دائم (***ومنهم أبو بكر محمد بن موسى الواسطى***) خراسانى الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنورى عالم كبير الشأن أقام بمرو ومات بعد العشرين وثلثمائة قال الواسطى الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب وقال مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل وقال الواسطى إذا أراد الله بعبد هوانا ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف يريد بها صحبة الأحداث . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزى يقول سمعت الواسطى رحمه الله يقول جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً ودناءة الهمم جلادة فعموا على الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تنموا فى شواهدهم ولا عبادة تزكوا فى محاضرتهم إن نطقوا فبالغضب وإن خاطبوا فبالكبر توثب أنفسهم ينبئُ عن خبثِ ضمائرهم وشرهم فى المأكول يظهر ما فى سويداء أسرارهم ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول سمع بعض المراوزة إنساناً صيدلانياً يقول اجتاز الواسطى يوم جمعة بباب حانوتى قاصدا إلى الجامع فانقطع شسع نعله فقلت أيها الشيخ أتأذن لى أن أصلح نعلك فقال أصلح فأصلحت شسعه فقال أتدرى لم انقطع شسع نعلى فقلت حتى تقول قال لأنى ما اغتسلت للجمعة فقلت له يا سيدى ههنا حمام تدخله فقال نعم فأدخلته الحمام فاغتسل (***ومنهم أبو الحسن بن الصائغ***) واسمه على بن محمد بن سهل الدينورى أقام بمصر ومات بها من كبار المشايخ قال أبو عثمان المغربى ما رأيت من المشايخ أنور من أبى يعقوب النهرجورى ولا أكثر هيبة من أبى الحسن بن الصائغ . مات سنة ثلاثين وثلثمائة سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير. وسئل عن صفة المريد فقال ما قال الله عز وجل ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية. وقال الأحوال كالبروق فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع (***ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقى***) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد وابن الجلاء وقد عمر وعاش إلى سنة ست وعشرين وثلثمائة وقال إبراهيم

الرقى المعرفة إثبات الحق على ما هو خارجا عن كل ما هو موهوم . وقال القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر قد ضعفت وقال أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته وأقوى الخلق من قوى على ردها وقال علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم[١] . (***ومنهم ممشاد الدينورى***) من كبار مشايخهم مات سنة تسع وتسعين ومائتين قال ممشاد أدب المريد فى التزام حرمات المشايخ وخدمة الإخوان والخروج عن الأسباب وحفظ آداب الشرع على نفسه . وقال ممشاد ما دخلت قط على أحد من شيوخى إلا وأنا خال من جميع مالى أنتظر بركات ما يرد على من رؤيته وكلامه فإن من دخل على شيخ بحظه[٢] . انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه (***ومنهم خير النساج***)[٣] . صحب أبا حمزة البغدادى ولقى السرى وكان من أقران أبى الحسن النورى إلا أنه عمر عمراً طويلا وعاش كما قيل مائة وعشرين سنة وتاب فى مجلسه الشبلى والخواص وكان أستاذ الجماعة وقيل كان اسمه محمد بن إسماعيل من سامرة[٤] . وإنما سمى خير النساج لأنه خرج إلى الحج فأخذه رجل على باب الكوفة وقال أنت عبدى واسمك خير وكان أسود فلم يخالفه[٥] . واستعمله الرجل فى نسج الخز فكان يقول له يا خير فيقول لبيك ثم قال له الرجل بعد سنين غلطت لا أنت عبدى ولا اسمك خير فمضى وتركه وقال لا أغير اسما سمانى به رجل مسلم . وقال الخوف سوط الله يقوم به أنفسا قد تعودت سوء الأدب . سمعت

---

(١) (ومتابعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم) لأن المتابعة ثمرة المحبة فمن ادعى أنه يحب محبوبا ولم يتابعه كان كاذبا فى محبته ومن كلام الرقى قيمة كل إنسان بقدر همته فإن كانت همته الدنيا فلا قيمة له وإن كانت همته رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها .

(٢) « بحظه » أى برؤية نفسه أو بنية الامتحان أو معرفة ما عنده .

(٣) « النساج » بفتح النون وبالجيم نسبة إلى نسج الثياب .

(٤) « من سامرة » بضم الميم وتشديد الراء وبالهاء مدينة ويقال لها سامرا بألف بدل الهاء وسر من رأى وسامراء أيضا بألف التأنيث الممدودة ونزل بغداد .

(٥) (فلم يخالفه) للضرورة فلم يبق له إلا الرضا بما قدره الله عليه إلى أن يفرج عنه.

الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن القزوينى يقول سمعت أبا الحسين المالكى يقول سألت من حضر موت خير النساج عن أمره فقال لما حضرت موته عند صلاة المغرب غشي عليه ثم فتح عينيه وأومأ فى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتنى ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد ومات فرؤى فى المنام فقيل ما فعل الله بك فقال لسائله لا تسألنى عن هذا ولكن استرحت من دنياكم الوضرة (***ومنهم أبو حمزة الخراسانى***) بنيسابور أصله من محلة ملقاباذ من أقران الجنيد والخراز وأبى تراب النخشبى وكان ورعا دينا . قال أبو حمزة من استشعر ذكر الموت حبب الله إليه كل باق وبغض إليه كل فان . وقال العارف بالله يدافع عيشه يوما بيوم ويأخذ عيشه يوماً ليوم وقال له رجل أوصنى فقال هيئ زادك للسفر الذى بين يديك سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الطيب المكى يقول سمعت أبا الحسن المصرى يقول سمعت أبا حمزه الخراسانى يقول كنت قد أبقيت محرما فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس على وتغرب كلما حللت أحرمت توفى سنة تسعين ومائتين (***ومنهم أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى***) بغدادى المولد والمنشأ وأصله من أسروشنة صحب الجنيد ومن فى عصره وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما مالكى المذهب عاش سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقبره ببغداد ولما تاب الشبلى فى مجلس خير النساج أتى دماوند وقال كنت والى بلدكم فاجعلونى فى حل وكانت مجاهداته فى بدايته فوق الحد سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول بلغنى أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه بكر بن الدينورى فى آخر عمره لكان كثيرا. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول كان الشبلى رحمه الله يقول فى آخر أيامه :

وكم من موضع لو مت فيه لكنت به نكالا فى العشيره

وكان الشبلى إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عاصره ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أول من يعظمه سمعت الأستاذ أبا على يحكى ذلك عنه (***ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش***) نيسابورى من محلة الحيرة وقيل من ملقاباذ صحب أبا حفص وأبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشأن وكان يقيم فى مسجد الشونيزية ، مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة قال المرتعش الإرادة حبس النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا بموارد القضاء عليه وقيل له إن فلانا يمشى على الماء فقال عندى أن من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى فى الهواء[١] . (***ومنهم أبو على أحمد بن محمد الروذبارى***) بغدادى أقام بمصر ومات بها سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء والطبقة أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سئل أبو على الروذبارى عمن يسمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال نعم قد وصل ولكن إلى سقر . وسئل عن التصوف فقال هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشىء من الهزل. سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول من علامة الاغترار أن تسىء فيحسن الله إليك فتترك الإنابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحق لك. وقال كان أستاذى فى التصوف الجنيد وفى الفقه أبو العباس بن سريج وفى الأدب ثعلب وفى الحديث إبراهيم الحربى (***ومنهم أبو محمد عبد الله بن منازل***) شيخ

---

(١) (أعظم من المشى فى الهواء) الذى هو أعظم من المشى على الماء وذلك لأن المشى عليها من خوارق العادات وهى لا تعد كرامة إلا إذا قارنتها الاستقامة بأن لا يخل العبد بشىء من مأموراته ومنهياته فالاستقامة هى الأصل والدليل على صحة الكرامات فمن مكنه الله من نفسه وقهر له هواه حتى لايخل بشىء من ذلك فهو المستقيم فالاستقامة أفضل من أعلى الكرامات إذ حاصل كلامه أنه لما قيل له إن فلانا يمشى على الماء قال من وهبه الله الاستقامة فقد وهب له ما هو أفضل من المشى فى الهواء الذى هو أفضل من المشى على الماء.

الملامتية وأوحد وقته صحب حمدون القصار وكان عالما وكتب الحديث الكثير مات بنيسابور سنة تسع وعشرين أو ثلاثين وثلثمائة سمعت محمد بن الحسن رحمه الله يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول أفضل أوقاتك وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ووقت تسلم الناس فيه من سوء ظنك (***ومنهم أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى***) إمام الوقت صحب أبا حفص وحمدون القصار وبه ظهر التصوف بنيسابور مات سنة ثمان وعشرين وثلثمائة . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الثقفى يقول لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات . وقال أبو على رحمه الله يأتى على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق وقال أف من اشتغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسراتها إذا أدبرت والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة (***ومنهم أبو الخير الأقطع***) مغربى الأصل سكن تينات وله كرامات وفراسة حادة كان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة . قال أبوالخير مابلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين (***ومنهم أبو بكر محمد بن على الكتانى***) بغدادى الأصل صحب الجنيد والخراز والنورى وجاور بمكة إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول نظر الكتانى إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس فقال هذا رجل أضاع حق الله فى صغره فضيعه الله فى كبره وقال الكتانى الشهوة زمام الشيطان من أخذ بزمامه كان عبده (***ومنهم أبو يعقوب إسحق بن محمد***

النهرجورى [١]) صحب أبا عمرو المكى وأبا يعقوب السوسى والجنيد وغيرهم مات بمكة مجاوراً بها سنة ثلاثين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين أحمد بن على يقول سمعت النهرجورى يقول الدنيا بحر والآخرة ساحل والمركب التقوى والناس سَفْر[٢] . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت النهرجورى يقول رأيت رجلا فى الطواف بفرد عين يقول أعوذ بك منك فقلت ما هذا الدعاء فقال نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته وإذا لطمة وقعت على بصرى فسالت عينى فسمعت هاتفاً يقول لطمة بنظرة ولو زدت لزدناك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت النهرجورى يقول أفضل الأحوال ما قارن العلم (***ومنهم أبو الحسن على بن محمد المزين***) من أهل بغداد من أصحاب سهل بن عبد الله والجنيد والطبقة مات بمكة مجاوراً سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكان ورعا كبيراً . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت المزين يقول الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأول والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى . وسئل المزين عن التوحيد فقال أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاتهم حدثاً . وقال من لم يستغن بالله أحوجه إلى الخلق ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق (***ومنهم أبو على ابن الكاتب***) واسمه الحسن بن أحمد صحب أبا على الروذبارى وأبا بكر المصرى وغيرهما كان كبيراً فى حالة مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة قال ابن الكاتب إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه . وقال ابن الكاتب المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا (***ومنهم***

---

(١) (النهرجورى) بفتح النون والراء الأولى نسبة إلى نهرجورى بلدة بالمشرق

(٢) (سفر) بإسكان الفاء أى مسافرون فى المركب هذا من باب الاعتبار لأن الناس فى الدنيا ليسوا مقيمين لأنها ليست دار قرار فهم فيها كالمسافرين باختلاف الليل والنهار إلى آخر أعمارهم فأشبهت البحر . والآخرة دار استيطان فأشبهت ساحل البحر الذى هو للاستقرار فمن سافر إليها بحسن استعداد وكمال زاد وصل إلى محل القرار سالما غانماً ومن فرط فى ذلك غرق وهلك وتوالى عليه الألم قبل الوصول وبعده لأن الآخرة دار الجزاء .

مظفر القرمسينى) من أشياخ الجبل صحب عبد الله الخراز وغيره . قال مظفر القرمسينى الصوم على ثلاثة أوجه صوم الروح بقصر الأمل وصوم العقل بخلاف الهوى وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم . وقال مظفو أخس الأرفاق أرفاق النسوان على أى وجه كان . وقال الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباح القلب وقال أفضل أعمال العبيد حفظ أوقاتهم الحاضرة وهو أن لا يقصروا فى أمر ولا يتجاوزوا عن حد وقال من يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدب به مريد (***ومنهم أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهرى***) من أقران الشبلى من مشايخ الجبل عالم ورع صحب يوسف بن الحسين وغيره مات بقرب من الثلاثين والثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فإن كان ولابد فلايجاوز رغبته كفايته يعنى المحتاج إليه . وبهذا الإسناد قال إذا أحببت أخاً فى الله فاقلل مخالطته فى الدنيا (***ومنهم أبو الحسين بن بنان***) ينتمى إلى أبى سعيد الخراز من كبار مشايخ مصر قال ابن بنان كل صوفى كان هم الرزق قائماً فى قلبه فلزوم العمل أقرب إليه وعلامة سكون القلب إلى الله أن يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده وقال اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام (***ومنهم أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسينى***) شيخ وقته صحب أبا عبد الله المغربى والخواص وغيرهما . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا يزيد المروزى الفقيه يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول من أراد أن يتعطل أو يتبطل فليلزم الرخص. وبهذا الإسناد قال علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة وقال إبراهيم السفلة [١] . من يعصى الله عز وجل[٢] . (***ومنهم أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار***) من أرمينية له طريقة يختص بها فى التصوف وكان عالما ورعا وكان ينكر على بعض العارفين

---

(١) (السفلة) بكسر الفاء وهم أراذل الناس .

(٢) (من يعصى الله عز وجل) ولم يتب أى كان مُصرا على المعصية ومن كلامه من=

فى إطلاقات وألفاظ لهم . قال ابن يزدانيار إياك أن تطمع فى الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس وإياك أن تطمع فى حب الله وأنت تحب الفضول وإياك أن تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس (***ومنهم أبو سعيد بن الأعرابى***) واسمه أحمد بن محمد بن زياد البصرى جاور الحرم ، ومات به سنة إحدى وأربعين وثلثمائة صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى والنورى وغيرهم قال ابن الأعرابى أخسر الأخسيرين من أبدى للناس صالح أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد (***ومنهم أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجى النيسابورى***) جاور بمكه سنين كثيرة ومات بها صحب الجنيد وأبا عثمان والنورى والخواص ورويما . مات سنة ثمان وأربعين وثلثمائة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول سئل أبو عمرو الزجاجى ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى فى الفرائض فقال لأنى أخشى أن أفتتح فريضتى بخلاف الصدق فمن يقول الله أكبر وفى قلبه شىء أكبر منه أو قد كبر شيئا سواه على مرور الأوقات فقد كذب نفسه على لسانه وقال من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه ودعوى تتولد فى قلبه وحرمه الله الوصول إلى تلك الحال وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهر فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل ويتطهر فيه احتراماً للحرم (***ومنهم أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير***) بغدادى المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النورى ورويما وسمنون والطبقة . مات ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلثمائة قال جعفر لا يجد العبد لذة المعاملة مع الله مع لذة النفس لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق قبل أن تقطعهم العلائق سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت جعفرا يقول إن ما بين العبد وبين

= ترك حرمة المشايخ ابتلى بالدعاوى الكاذبة وافتضح بهاومن تكلم فى الإخلاص ولم يطالب نفسه به ابتلاه الله بهتك ستره عند أقرانه وإخوانه ومن كلامه قال لى أبى يا بنى تعلم العلم لآداب الظاهر واستعمل الورع لآداب الباطن وإياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل من أعرض عنه فأقبل عليه .

الوجود أن تسكن التقوى قلبه فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبة الدنيا (***ومنهم أبوالعباس السيارى***)[١] . واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحت الواسطى وانتمى إليه فى علوم هذه الطائفة وكان عالما. مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة سئل أبو العباس السيارى بماذا يروض المريد نفسه فقال بالصبر على فعل الأوامر واجتناب النواهى وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء وقال ما التذ عاقل بمشاهدة الحق قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة[٢] . (***ومنهم أبو بكر محمد ابن داود الدينورى***) المعروف بالدقى أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين والثلثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال أبو بكر الدقى المعدة موضع يجمع الأطعمة فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب (***ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الرازى***) مولده ومنشؤه بنيسابور صحب أبا عثمان الحيرى والجنيد ويوسف بن الحسين ورويما وسمنونا وغيرهم مات سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة . سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازى يقول وقد سئل ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب فقال لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات (**ومنهم**

---

(١) (السيارى) نسبة إلى سيار جد المذكور .

(٢) (فناء ليس فيها لذة) فالمراد فناء الفناء لأن العبد متى كمل شغله بربه حتى فنى عن ذكر غيره من قلبه كان فناء وإن قوى شغله به حتى نسى نفسه كان فناء الفناء فالمشاهدة مقولة بالتشكيك لأن فيها أعلى وهو المسمى بفناء الفناء كما ذكر وأدنى بأن يكون العبد مشاهداً لمولاه قليل الغفلة عنه ناظرا لما يرد عليه من فضله وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فهذا فناء فيه لذة قالوا فناء فى الأفعال لا فاعل إلا الله وفناء فى الصفات لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا المتكلم على الحقيقة إلا الله وفناء فى الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله وأنشدوا فى ذلك :

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقـــاء

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد) صحب أبا عثمان ولقى الجنيد وكان كبير الشأن آخر من مات من أصحاب أبى عثمان توفى بمكة سنة ست وستين وثلثمائة سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه قال وسمعته يقول من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم لذة تلك الفريضة ولو بعد حين . قال وسئل عن التصوف فقال الصبر تحت الأمر والنهى وقال آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه (***ومنهم أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجى***) أحد فتيان خراسان لقى أبا عثمان وابن عطاء والجريرى وأبا عمرو الدمشقى . مات سنة ثمان وأربعين وثلثمائة . وسائل البوشنجى عن المروءة فقال هى ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين وقال له إنسان ادع الله لى فقال أعاذك الله من فتنتك وقال أول الإيمان منوط بآخره (***ومنهم أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى***) صحب رويما والحريرى وابن عطاء وغيرهم . مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة وهو شيخ الشيوخ وأوحد وقته قال ابن خفيف الإرادة استدامة الكد وترك الراحة وقال ليس شيء أضر على المريد من مسامحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات وسئل عن القرب فقال قربك منه تعالى بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق . سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ربما كنت أقرأ فى ابتداء أمرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾وربما كنت أقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلى من الغداة إلى العصر ألف ركعة . سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازى رحمه الله يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول دخل يوما من الأيام فقير فقال للشيخ أبى عبد الله بن خفيف بى وسوسة فقال الشيخ عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم وسمعته يقول سمعت أبا العباس الكرخى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ضعفت عن القيام فى النوافل فجعلت بدل

كل ركعة[١] . من أورادى ركعتين قاعدا للخبر « صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم » (***ومنهم أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازى***) كان عالما بالأصول كبيرا فى الحال صحب الشبلى مات بأرجان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة قال بندار بن الحسين لا تخاصم لنفسك [٢] . فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد وقال بندار صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق وقال بندار أترك ما تهوى لما تأمل (***ومنهم أبو بكر الطمستانى***) صحب إبراهيم الدباغ وغيره وكان أوحد وقته علما وحالا . مات بنيسابور بعد سنة أربعين وثلثمائة قال أبو بكر الطمستانى النعمة العظمى الخروج من النفس والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله سمعت أبا عبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول إذا هم القلب عوقب فى الوقت وقال الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب (***ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى***) صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريرى وكان عالما فاضلا ورد نيسابور وأقام بها مدة وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة ثم ذهب إلى سمرقند ومات بها بعد الأربعين وثلثمائة قال أبو العباس الدينورى أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر وقال أبو العباس لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن وقال أبو العباس الدينورى نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا

---

(١) (فجعلت بدل كل ركعة .. إلخ) فى ذلك دلالة على كمال اجتهاده وحمل الحديث على ظاهره احتياطا ورغبة فى الأجر وإلا فغيره من الفقهاء حملوه على القادر فالعاجز مساويه فى الأجر ومن كلامه الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى .

(٢) (لا تخاصم لنفسك .. إلخ) فيه الإشارة للأمر بترك الأخلاق الذميمة إذ العبد إنما يخاصم عن ملكه فإذا علم أن نفسه وما يملكه ملك لربه اعتمد عليه واكتفى بحسن نظر الله تعالى إليه فإنه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها وحصل له التوكل والرضا بما يجريه الحق عليه فى السعة أوغيرها.

الطمع زيادة وسوء الأدب إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصلا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسؤال عملا وبذاءة اللسان ملامة وما هذا كان طريق القوم (***ومنهم أبو عثمان سعيد بن سلام المغربى***) واحد عصره لم يوصف مثله قبله صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربى وأبا عمرو الزجاجى ولقى النهرجورى وابن الصايغ وغيرهم . مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وأوصى بأن يصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول كنت عند أبى عثمان المغربى حين قرب أجله وعلى القوال الصغير يقول شيئاً فلما تغير عليه الحال أشرنا علىّ بالسكوت ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه وقال لم لا يقول على شيئاً فقلت لبعض الحاضرين سلوه علام يسمع المستمع فإنى أحتشمه فى تلك الحال فسألوه فقال إنما يسمع من حيث يسمع وكان فى الرياضة كبير الشأن وقال أبو عثمان التقوى هى الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها وقال من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب (***ومنهم أبو القاسم إبراهيم محمد النصراباذى***) شيخ خراسان فى وقته صحب الشبلى وأبا على الروذبارى والمرتعش جاور بمكة حرسها الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ومات بها سنة تسع وستين وثلثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول إذا بدا لك شيء من بوادى الحق فلا تلتفت معها إلى جنة ولا إلى نار فإذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله . وسمعت محمد بن الحسين يقول قيل للنصراباذى إن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات ، وسمعت محمد بن الحسين يقول قال النصراباذى أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق [١] . والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص

---

(١) (ورؤية أعذار الخلق) أى قبولها منهم تلك الرؤية تدل على كمال المعرفة بانفراد =

والتأويلات . (***ومنهم أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى البقرى***) سكن بغداد عجيب الحال واللسان شيخ وقته ينتمى إلى الشبلى مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلثمائة قال الحصرى الناس يقولون الحصرى لا يقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت وقال من ادعى فى شيء من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين (***ومنهم أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى***) ابن أخت الشيخ أبى على الروذبارى شيخ الشام فى وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلثمائة. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن سعيد المصيصى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول كنت راكباً جملا فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله وكان أبو عبد الله الروذبارى إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة فى دور السوقة ومن ليس من أهل التصوف لا يخبر الفقراء بذلك وكان يطعمهم شيئاً فإذا فرغوا أخبرهم ومضى بهم فكانوا قد أكلوا فى الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز وإنما كان يفعل ذلك لئلا تسوء ظنون الناس بهذه الطائفة فيأثموا بسببهم وقيل كان أبو عبد الله الروذبارى يمشى على أثر الفقراء يوماً وكذا كانت عادته أن يمشى على أثرهم وكانوا يمضون إلى دعوة فقال إنسان يقال هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم وقال فى أثناء كلامه إن واحداً منهم قد استقرض منى مائة درهم ولم يردها ولست أدرى أين أطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال أبو عبد الله الروذبارى لصاحب الدار وكان من محبى هذه الطائفة ائتنى بمائة درهم إن أردت سكون قلبى فأتاه بها فى الوقت فقال لبعض أصحابه احمل هذه المائة إلى البقال الفلانى وقل له هذه المائة التى استقرضها منك بعض أصحابنا وقد وقع له فى التأخير بها عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من

= الحق بالأفعال وعلى خروج غيره عن القدرة على إحداث شيء فإذا علم العبد ذلك عذر الخلق فيما ينصرفون فيه أقله بعجزهم عما يصلحهم ويدفع عنهم ما يؤذيهم ومع هذا يقيم عليهم الحدود وينكر عليهم ما لا ينبغى فعله امتثالا لأمر الله تعالى وهذا هو الصراط المستقيم الذى هو أدق من الشعرة وأرق من السيف (هذه الطائفة) وعددهم ثلاث وثمانون .

الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فأخذ البقال فى مدحهم يقول هؤلاء هم الثقاة الأمناء الصلحاء وما أشبه ذلك وقال أبو عبد الله الروذبارى أقبح من كل قبيح صوفى شحيح.

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام رضى الله تعالى عنه هذا(١).
هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة كان الغرض من ذكرهم فى هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه مفتونا هلك فى نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله ولو تقصينا وتتبعنا ما ورد عنهم من ألفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم لطال به الكتاب وحصل منه الملال وفى هذا القدر الذى لوحنا به فى تحصيل المقصود غنية وبالله التوفيق (فأما المشايخ) الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقياهم مثل الأستاذ الشهيد لسان وقته وأوحد عصره أبى على الحسن بن على الدقاق والشيخ نسيج وحده فى وقته أبى عبد الرحمن السلمى وأبى الحسن على بن جهضم مجاور الحرم والشميخ أبى العباس القصار بطبرستان وأحمد الأسود بالدينور وأبى القاسم الصيرفى بنيسابور وأبى سهل الخشاب الكبير بها ومنصور بن خلف المغربى وأبى سعيد المالينى وأبى طاهر الخوزندى قدس الله أرواحهم وغيرهم فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل أحوالهم لخرجنا عن المقصود فى الإيجاز وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرتهم فى معاملاتهم وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله .

---

(١) (هذا) أى ما مر فى هذا الباب .

بـــــاب
فى تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة
وبيان ما يشكل منها

اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم لفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهم تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل[١] . على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم بإطلاقها[٢] . وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والستر على من باينهم فى طريقتهم لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هى معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم . فمن ذلك (الوقت) حقيقة الوقت عند أهل التحقيق حادث متوهم [٣] . علق حصوله على حادث متحقق وقوعه فيه [٤]. فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول آتيك رأس الشهر فالإتيان متوهم ورأس الشهر حادث متحقق فرأس الشهر وقت الإتيان سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول الوقت ماأنت فيه إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا

---

(١) (أو تسهيل) الأولى وتسهيل ليكون عطف تفسير بالواو التى هى لمطلق الجمع.

(٢) (بإطلاقها) كأهل أصول الدين حيث اصطلحوا على إطلاق العالم والخير والوقت والجوهر والسكون والحال وغيرها لمعانٍ أرادوها وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقى .

(٣) (حادث متوهم) أى متوهم وقوعه فى المستقبل .

(٤) (حادث متحقق وقوعه فيه) صوابه حادث متحقق عليه حصول حادث متوهم بدليل قوله فالحادث .. إلخ والله أعلم.

وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى وإن كنت بالسرور فوقتك السرور وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن يريد بهذا أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان وهم يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان فإن قوماً قالوا الوقت ما بين الزمانين يعنى الماضى والمستقبل ويقولون الصوفى ابن وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به من العبادات فى الحال قائم بما هو مطالب به فى الحين وقيل الفقير لا يهمه ماضى وقته وآتيه بل يهمه وقته الذى هو فيه وقيل الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثان وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت أى أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع إذ التضييع لما أمرت به وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أى كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه انتكس وتردى .. وأنشدوا فى ذلك :

وكالسيف إن لاينته لان مسه وحداه إن خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الوقت مبرد يسحقك ولا يمحقك يعنى لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيت لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية وكان ينشد فى هذا المعنى.

كل يوم يمر يأخذ بعضى يورث القلب حسرة ثم يمضى

وكان ينشد أيضاً :

كأهل النار إن نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود

وفى معناه :

ليس من مات فاستراح بميت إنمـا الميت ميت الأحيـــاء

والكيِّس من كان بحكم وقته إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته المحو فالغالب عليه أحكام الحقيقة [١]. ومن ذلك ***(المقام)*** والمقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له وشرطه أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصلح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد والمقام هو الإقامة كالمدخل بمعنى الإدخال والمخرج بمعنى الإخراج ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول لما دخل الواسطى نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان بما كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها وإنما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الإعجاب لا تعريجاً فى أوطان التقصير أو تجويزا للإخلال بأدب الآداب ومن ذلك (***الحال***) والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو

---

(١) (فالغالب عليه أحكام الحقيقة) لأن من غاب عن إدراك نفسه وغيره فهو مشغول بالحق عن الخلق ومع ذلك لا يجرى عليه حينئذ ما يخالف الشريعة فحصل من مجموع ما ذكر أنهم يطلقون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان عمارة للزمان وعلى ما يصرف الله العبد فيه من المقدورات بغير اختيار وأنهم لقبوا الوقت بأنه سيف لأنه يقطع عمر العبد فإن لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وأنهم لقبوه أيضا بأنه مبرد بمعنى أنه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن إحساسه بل لابد أن يدرك ماهو فيه من غلبة حال أو عمارة أو تصريف من الحق ولو استغرق لم يسموه وقتاً .

حزن أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو اهتياج فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتى من عين الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام ممكن فى مقام وصاحب الحال مترق عن حاله وسئل ذو النون المصرى عن العارف فقال كان ههنا فذهب وقال بعض المشايخ الأحوال كالبروق فإن بقى فحديث نفس وقالوا الأحوال كاسمها يعنى أنها كما تحل بالقلب تزول فى الوقت وأنشدوا :

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا

انظر إلى الفىء إذا ما انتهى يأخذ فى النقص إذا طالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهى لوائح وبواده ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك يسمى حالا وهذا أبو عثمان الحيرى يقول منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته أشار إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال فالواجب فى هذا أن يقال إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى شِرْباً لأحد فيربى فيه ولكن لصاحب هذه الحال أحوال هى طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت شربا له فإذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى إلى أحوال أخر فوق هذه وألطف من هذه فأبدا يكون فى الترقى . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة » أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم أبداً فى الترقى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها فكان يعدها غينا بالإضافة إلى ما حصل فيها فأبدا كانت أحواله فى التزايد ومقدورات الحق سبحانه من الألطاف لا نهاية لها فإذا كان حق الحق تعالى العز وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل إليه إلا وفى مقدوره سبحانه ما هو فوقه يقدر أن يوصله إليه وعلى هذا يحمل قولهم « حسنات الأبرار سيئات المقربين » وسئل

الجنيد عن هذا فأنشد :

طوارق أنوار[١] تلوح إذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

ومن ذلك (***القبض والبسط***) وهما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء أن الخوف إنما يكون من شىء فى المستقبل إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور وكذلك الرجاء إنما يكون بتأميل محبوب فى المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه فى المستأنف وأما القبض [٢]. فلمعنى حاصل فى الوقت وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه فى حالتيه بآجله وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوادر غلب عليه فى عاجله ثم تتفاوت نعوتهم فى القبض والبسط على حسب تفاوتهم فى أحوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن يبقى مساغ للأشياء الأخر لأنه غير مستوف ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده كما قال بعضهم أنا ردّم أى مساغ فىّ وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق فلا يستوحش من أكثر الأشياء ويكون مبسوطا لا يؤثر فيه شىء بحال من الأحوال سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على أبى بكر القحطى وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشباب وكان ممر هذا الداخل على هذا الابن فإذا هو مع أقرانه فى اشتغاله ببطالته فرق قلبه وتألم للقحطى وقال مسكين هذا الشيخ كيف ابتلى بمقاساة هذا الابن فلما دخل على القحطى وجده كأنه لا خبر له بما يجرى عليه من

---

(١) (طوارق أنوار .. إلخ) أى المقامات أولها طوارق تلوح إذا ظهرت ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر فأول المقام طوارق ونهايته جمع كمال حال وكتمان سر فأشار بالأول إلى مقام الأبرار وبالثانى إلى مقام المقربين .

(٢) (وأما القبض .. إلخ) معنى ذلك أن العبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل فإذا حل به انقبض والرجاء تأمل حصول محبوب فى المستقبل فإذا حصل انبسط فمتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الزمن الآجل أى المستقبل ومتعلق القبض والبسط أمر يحصل فى الوقت العاجل كما أشار إلى ذلك بقوله فصاحب .. إلخ .

الملاهى فتعجب منه وقال فديت من لا تؤثر فيه الجبال الرواسى فقال القحطى إنا قد حررنا عن رق الأشياء فى الأزل ، ومن أدنى موجبات القبض أن يرد على قلبه وارد موجبه إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب فيحصل فى القلب لا محالة قبض وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب أو إقبال بنوع لطف وترحيب فيحصل للقلب بسط وفى الجملة قبض كل أحد على حسب بسطه وبسطه على حسب قبضه وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى موجبه ولا سببه فسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن الحق سبحانه قال ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾ وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فإن فى هذا الوقت له خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال بعضهم فتح علىَّ باب البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى ولهذا قالوا قف على البساط وإياك والانبساط وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه فى الحقيقة فقر وضر. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف من الله يقبضنى والرجاء منه يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى وإذا بسطنى بالرجاء ردنى علىَّ وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى وموحشى غير مؤنسى فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى . ومن ذلك (***الهيبة والأنس***) وهما فوق القبض والبسط فكما أن القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق منزلة الرجاء فالهيبة أعلى من القبض والأنس أتم من البسط[١] . وحق الهيبة

---

(١) (والأنس أتم من البسط) أى فوقه فى المنزلة فالهيبة ناشئة من القبض الناشئ =

الغيبة فكل هائب غائب ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم ومنهم وحق الأنس صحو بحق فكل مستأنس صاح ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب ولهذا قالوا أدنى محل الأنس أنه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه أنسه .

قال الجنيد رحمه الله كنت أسمع السرى يقول يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك (١) .

وحكى عن أبي مقاتل العكي أنه قال دخلت على الشبلي وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش فقلت يا سيدى أنت تفعل هذا بنفسك ويعود ألمه إلى قلبي فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيقها فهو ذا فأنا أدخل الألم على نفسي لعلى أحس به فيستتر عنى فلست أجد الألم وليس يستتر عنى وليس لي به طاقة وحال الهيبة والأنس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد فإن أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير وهم محو في وجود العين فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخراز أنه قال تهت في البادية مرة فكنت أقول :

أتيه فلا أدرى من التيه من أنا — سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

أتيه على جن البلاد وأنسها — فإن لم أجد شخصا أتيه على نفسي

قال سمعت هاتفا يهتف بي ويقول :

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده — ويفرح بالتيه الدنى وبالأنس

= من الخوف والأنس ناشئ من البسط الناشئ من الرجاء لأن من خاف الله وعرف تقصيره في حقه تعالى انقبض قلبه وبقى مشغولا بالله فيحصل له الهيبة منه ومن أمل وصوله إلى خير انبسط قلبه وبقى مشغولا بالله فيحصل له الأنس به .

(١) (حتى بان لي أن الأمر كذلك) حيث ذاق وعلم أن كمال الاستغراق يزيل الإحساس بالنفس بالكلية وشاهده خبر أن الشهيد إنما يجد من الموت كما نجده من القرصة لخفة ذلك عليه بكمال شغله بجهاده فيأتيه الموت بالسيف ولا يحس به إلا كما يحس بالقرصة .

فلو كنت من أهل الوجود حقيقـــة   لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى

وكنت بلا حـال مـع الله واقفــا   تصان عن التذكار للجـن والإنــس

وإنما يرتقى العبد عن هذه الحالة بالوجود ومن ذلك (***التواجد والوجد والوجود***) فالتواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد إذ لو كان لكان واجداً وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة وليس كذلك .. قال الشاعر :

إذا تخازرت وما بى من خزر   ثم كسرت العين من غير ما عور

فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف ويبعد عن التحقيق وقوم قالوا إنه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعانى وأصلهم خبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » والحكاية المعروفة لأبى محمد الجريرى رحمه الله أنه قال كنت عند الجنيد وهناك ابن مسروق وغيره وثم قوال فقام ابن مسروق وغيره والجنيد ساكن فقلت يا سيدى مالك فى السماع شىء فقال الجنيد ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ ثم قال وأنت يا أبا محمد مالك فى السماع شىء فقلت ياسيدى أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسى وجدى فإذا خلوت أرسلت وجدى فتواجدت فأطلق فى هذه الحكاية التواجد ولم ينكر عليه الجنيد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول لما راعى أبو محمد أدب الأكابر فى حال السماع حفظ الله عليه وقته لبركات الأدب حتى يقول أمسكت على نفسى وجدى فإذا خلوت أرسلت وجدى فتواجدت لأنه لا يمكن إرسال الوجد إذا شئت بعد ذهاب الوقت وغلباته ولكنه لما كان صادقا فى مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله تعالى عليه وقته حتى أرسل وجده عند الخلوة فالتواجد ابتداء الوجد على الوصف الذى جرى ذكره وبعد هذا الوجد . والوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ الوجد المصادفة والمواجيد[١] . ثمرات

---

(١) (والمواجيد) جمع وجد على غير قياس أو ما يسمى صيغة منتهى الجموع .

الأوراد[١]. فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى لطائفه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الواردات من حيث الأوراد فمن لا ورد له بظاهره لا ورد له فى سرائره وكل وجد فيه من صاحبه شيء ليس بوجد وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات فما ينازله العبد من أحكام باطنه يوجب له المواجيد[٢]. فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد نتائج المنازلات وأما الوجود فهو بعد الارتقاء عن الوجد ولا يكون وجود الحق إلا بعد خمود البشرية لأنه يكون للبشرية[٣]. بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة وهذا معنى قول أبى الحسين النورى أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد أى إذا وجدت ربى فقدت قلبى وإذا وجدت قلبى فقدت ربى وهذا معنى قول الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه[٤]. وفى هذا المعنى أنشدوا :

وجودى أن أغيب عن الوجود * بما يبدو علىَّ من الشهـــــود

فالتواجد بداية والوجود نهاية والوجود واسطة بين البداية والنهاية . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد فهو كمن شهد البحر ثم ركب البحر ثم غرق فى البحر وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم جمود ثم خمود وبمقدار الوجود يحصل الخمود وصاحب الوجود له صحو ومحو فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال

---

(١) (ثمرات الأوراد) أى المرتبة عليها بواسطة المنازلات كما سيأتى تفضلا لا بالاكتساب.

(٢) (يوجب له المواجيد) من رجاء لحصول ماطلبه أو خوف من فواته أو شكر لإسباغه أو شوق لكمال حصوله .

(٣) (لأنه لا يكون للبشرية .. إلخ) لأن العبد مادام مدركا لنفسه ممتعا بوجده فبشريته حاصلة وإذا اشتغل بالحق كمال الشغل حتى ينسى كونه مشتغلا به صار الغالب عليه إذ ذاك الحق خاصة دون شعور وعبروا عن هذه الحالة بالوجود .

(٤) (ووجوده مباين لعلمه) يعنى أن العبد يكون عالما بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ولا يكون واجداً له لأن وجوده لا يبقى للعبد معه إحساس بنفسه فضلا عن علمه واستدلاله عليه.

محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان أبدا متعاقبتان عليه فإذا غلب عليه الصحو بالحق فيه يصول وبه يقول قال عليه الصلاة السلام فيما أخبر عن الحق « فبى يسمع وبى يبصر » سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول وقف رجل على حلقة الشبلى فسأله هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين فقال نعم نور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق فتلوح على الهياكل آثارها كما قال ابن المعتز :

وأمطر الكأس ماء من أبارقها　　فأنبت الدر فى أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجباً　　نوراً من الماء فى نار من العنب

سلافة ورثتها عاد عن إرم　　كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب

وقيل لأبى بكر الدقى إن جهما الدقى أخذ شجرة بيده فى حال السماع فى ثوراته فقلعها من أصلها فاجتمعا فى دعوة وكان الدقى كف بصره فقام جهم الدقى يدور فى هيجانه فقال الدقى إذا قرب منى أرونيه وكان الدقى ضعيفاً فمر به فلما قرب منه قالوا له هذا هو فأخذ الدقى ساق جهم فوقفه فلم يمكنه أن يتحرك فقال جهم أيها الشيخ التوبة التوبة فخلاه (***قال الأستاذ الإمام أدام الله جماله***) فكان ثوران جهم فى حق وإمساك الدقى بساقه بحق ولما علم جهم أن حال الدقى فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم وكذا من كان بحق لا يستعصى عليه شىء فأما إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربى أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات ودخل بعض الفقراء على أبى عقال فقال له سلام عليكم فقال له أبو عقال وعليكم السلام فقال الرجل أنا فلان فقال أبو عقال أنت فلان كيف أنت وكيف حالك وغاب عن حالته قال هذا الرجل فقلت له سلام عليكم فقال وعليكم السلام وكأنه لم يرنى قط ففعلت مثل هذا غير مرة فعلمت أن الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر بن محمد ابن أحمد يقول سمعت امرأة أبى عبد الله النروغندى تقول لما كانت أيام المجاعة

والناس يموتون من الجوع دخل أبو عبد الله النروغنـدى بيته فرأى فى بيته مقدار منوين[١] . حنطـة فقـال النـاس يموتون من الجوع وفـى بيتى حنطـة فخـولط فـى عقله [٢] . فما كان يفيق إلا فى أوقات الصلاة يصلى الفريضة ثم يعود إلى حالته فلم يزل كذلك إلى أن مـات دلت هذه الحكاية علـى أن هذا الرجل كان مـحفوظا عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة وهـذا هو صفة أهل الحقيقة ثم كان سبب غيبته عن تمييزه شفقته على المسلمين وهذا أقوى سمة لتحققه فى حاله ومـن ذلك (***الجمع والفرق***) لفظ الجـمع والتـفـرقـة يجـرى فـى كـلامـهـم كـثـيـرا [٣] . وكان الأستاذ أبوعلى الدقاق يقول الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك ومعناه أن يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من إبداء معـان وإسداء لطف وإحـسان فـهـو جمع هذا أدنى أحـوالهم فى الجـمع والفرق لأنه من شهود الأفعال فمن أشهده الحق سبحـانه أفعاله من طاعاته ومخالفاته فـهو عبد بوصف التفرقة ومن أشهـده الحق سبحـانه ما يوليه[٤] . من أفعال نفسه سبحـانه فـهو عبد يشاهد الجمع فإثبات الخلق من باب التفرقة وإثبات الحق من نعت الجمع ولابد للعبد من الجمع والفرق فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ومن لا جمع له لا معرفـة له فقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إشارة إلى الفرق وقوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إشارة إلى الجمع وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجواه إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكراً أو متنصلا أو مبتهلا قام فى محل التفرقة وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه أو ناجاه أو عرفه معناه أو لوح

---

(١) (منوين) تثنية منا بالقصر وهو أفصح من مده وهو رطلان قاله الجوهرى فى صحاحه.

(٢) (فخولط فى عقله) بحيث غاب عن نفسه من شدة ما دخل عليه بسبب حرصه على الطعام فى وقت الاحتياج إليه إذا كان حقه أن يخرج الفاضل عن قوته .

(٣) (الجمع والفرق لفظ الجمع والتفرقة يجرى فى كلامهم كثيرا) والجمع مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى والتفرقة مأخوذة من تفرقتها فى الكائنات مع الحق والجامع والمفرق فى الحقيقة هو الله تعالى.

(٤) (يوليه) أى يعطيه .

لقلبه وأراده فهو يشاهد الجمع. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أنشد قوال بين يدى الأستاذ أبى سهل الصعلوكى رحمه الله تعالى ، جعلت تنزه نظرى إليك . وكان أبو القاسم النصراباذى رحمه الله حاضراً فقال الأستاذ أبو سهل جعلتَ بنصب التاء وقال النصراباذى بل جعلتُ بضم التاء فقال الأستاذ أبو سهل أليس عين الجمع أتم فسكت النصراباذى وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن أيضا يحكى هذه الحكاية على هذا الوجه ومعنى هذا أن من قال جعلت بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه فكأن العبد يقول هذا وإذا قال جعلت بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول أنت الذى خصصتنى بهذا لا أنا بتكلفى فالأول على خطر الدعوى والثانى بوصف التبرى من الحول والإقرار بالفضل والطول وفرق بين من يقول بجهدى أعبدك وبين من يقول بفضلك ولطفك أشهدك ومن ذلك (جمع الجمع) وجمع الجمع فوق هذا ويختلف الناس فى هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم وتفاوت درجاتهم فيمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائما بالحق فهذا هو جمع وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الإحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة فذاك جمع الجمع والتفرقة[١] . شهود الأغيار لله عز وجل والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة وبعد هذا حالة عَزيزة يسميها القوم (*الفرق الثانى*) وهو أن يرد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ليجرى عليه القيام بالفرائض فى أوقاتها فيكون رجوعا لله بالله تعالى لا للعبد بالعبد فالعبد يطالع نفسه فى هذه الحالة فى تصريف الحق سبحانه يشهد مبدأ ذاته وعينه بقدرته ومجرى أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته وأشار بعضهم بلفظ الجمع والتفرق إلى تصريف الحق جميع الخلق فجمع الكل فى التقليب والتصريف من حيث إنه منشئ ذواتهم ومجرى صفاتهم ثم فرقهم فى التنويع ففريقا أسعدهم وفريقا أبعدهم

---

(١) (والتفرقة .. إلخ) فالحاصل أن من كانت أفعاله لله تعالى وشاهدها طاعة له تعالى فهو فى التفرقة ومن شاهدها جارية عليه فضلا من الله فقد شاهدها بالله فهو فى الجمع ومن غفل عنها وعن نفسه شغلا بالله فهو حقا فى جمع الجمع .

وأشقاهم وفريقا هداهم وفريقا أضلهم وأعماهم وفريقا حجبهم عنه وفريقا جذبهم إليه وفريقا آنسهم بوصلته وفريقا آيسهم من رحمته وفريقا أكرمهم بتوفيقه وفريقا اصطلمهم عند رومهم لتحقيقه وفريقا أصحاهم وفريقا محاهم وفريقا قربهم وفريقا غيبهم وفريقا أدناهم وأحضرهم ثم أسقاهم فأسكرهم وفريقا أشقاهم وأخرهم ثم أقصاهم وهجرهم وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر ولا يأتى على تفصيلها شرح ولا ذكر وأنشدوا للجنيد رحمه الله فى معنى الجمع والتفرقة :

وتحققتـــك فى سرى فناجــاك لسانى
فاجتمعنا لمعانى وافترقنـــا لمعانـى
أن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

وأنشدوا :

إذا مــا بدا إلـــى تعاظمته[١] فأصدر[٢] فى حـال من لم يـرد
جمعـــت وفرقـــت عنى بــه ففـــرد التواصـــل مثنى العـــدد

ومن ذلك (***الفناء والبقـاء***) أشـار القـوم بالفناء إلى سـقـوط الأوصـاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة . واعلم أن الذى يتصف به العبد أفعال وأخلاق وأحوال فالأفعال تصرفات باختياره والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال فهى كالأخلاق من هذا الوجه لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه

---

(١) (تعاظمته) فغبت فيه هذا جمع والجمع ضد التفرقة كما قلنا.

(٢) (فأصدر .. إلخ) هذا تفرقة أى فارجع إليه فى وصف من لم يرد محل الورود بل ردنى إليه بفضله فاستغرقت فيه .

فينفى بجهده سفسافها من الله عليه بتحسين أخلاقه(١). فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فنى عن شهواته فإذا فنى عن شهواته بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ومن زهد فى دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته فإذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنابته ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النقص يقال فنى عن سوء الخلق فإذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الأحكام يقال فنى عن حسبان الحدثان من الخلق فإذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثراً ولا رسماً ولا طللا يقال إنه فنى عن الخلق وبقى بالحق ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم فإذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً وإذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير محس بنفسه وبالخلق(٢). وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبة وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده من أهل مجلسه وهيئات نفسه ذلك الصدر وهيآت لم يمكنه الإخبار عن شىء قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدى وهن أضعف الناس وقلن ما هذا بشراً ولقد

---

(١) (من الله عليه بتحسين أخلاقه) أى المحمودة كالتواضع والصبر وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق روى البيهقى خبر أن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها.

(٢) (غير محس بنفسه وبالخلق) لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك بكثير وبهذا علم أن من قال الفناء ذهب البشرية لم ترد به ذهابها بالكلية فإنها موجودة فى نفسها مع لوازمها من اللذات والآلام بل أراد أنها مغمورة بما يطرأ عليها من لذات وآلام أعظم من تلك .

كان بشراً وقلن ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى أعجوبة فيه فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بإنابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته بقى بإرادته وكذلك القول فى جميع صفاته فإذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقى عن ذلك[١] . بفنائه عن رؤية فنائةوإلى هذا أشار قائلهم :

فقوم تاه فى أرض بقفـــر وقوم تاه فى ميــدان حبــه

فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنـــوا وأبقوا بالبقاء من قرب ربـــه

فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه فى وجود الحق . ومن ذلك (***الغيبة والحضور***) فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب كما روى أن الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه[٢] . ولم يفق إلى الغد[٣] . فلما أفاق سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار فى النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية. وروى عن على بن الحسين أنه كان فى سجوده فوقع حريق فى داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال ألهتنى النار الكبرى عن

---

(١) (يرتقى عن ذلك .. إلخ) لأنه إذا فنى عن الأغيار فتارة يكون ذاكراً لقيامه وتارة يقوى شهوده وشغله بمن استغرق فيه حتى لا يحس بفنائه لعدم ذكره أحوال نفسه وهذا فناء الفناء فإنه فنى حتى عن فنائه .

(٢) (فغشى عليه) أى لتذكره خروج المذنبين من النار أو حالهم فيها عياذا بالله من حال أهل النار .

(٣) (ولم يفق إلى الغد) مع أنه ينادى عند كل صلاة ياربيع ياربيع فلا يسمع ولا يعقل لغلبة حاله واستغراقه فى خوفه فهو حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل مألوف

هذه النار وربما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى يكاشف به من الحق سبحانه وتعالى ثم إنهم مختلفون فى ذلك على حسب أحوالهم ومن المشهور أن ابتداء حال أبى حفص النيسابورى الحداد فى ترك الحرفة أنه كان على حانوته فقرأ قارئ آية من القرآن فورد على قلب أبى حفص وارد تغافل عن إحساسه فأدخل يده فى النار وأخرج الحديدة المحماة بيده فرأى تلميذ له ذلك فقال يا أستاذ ما هذا فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه فترك الحرفة وقام من حانوته . وكان الجنيد قاعدا وعنده امرأته فدخل عليه الشبلى فأرادت امرأته أن تستتر فقال لها الجنيد لا خبر للشبلى عنك فاقعدى فلم يزل يكلمه الجنيد حتى بكى الشبلى فلما أخذ الشبلى فى البكاء قال الجنيد لامرأته استترى فقد أفاق الشبلى من غيبته . سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور وكان رجلا صالحا قال كنت أقرأ القرآن فى مجلس الأستاذ أبى على الدقاق بنيسابور وقت كونه هناك وكان يتكلم فى الحج كثيرا فأثر فى قلبى كلامه فخرجت إلى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الأستاذ أبو على رحمه الله خرج إلى الحج أيضا فى تلك السنة وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب على القراءة فى مجلسه فرأيته يوما فى البادية تطهر ونسى قمقمة كانت بيده فحملتها فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله تعالى خيرا حيث حملت هذا ثم نظر إلىّ طويلا كأنه لم يرنى قط وقال رأيتك مرة من أنت فقلت المستغاث بالله تعالى صحبتك مدة وخرجت عن مسكنى ومالى بسببك وتقطعت فى المفازة بك والساعة تقول رأيتك مرة (***وأما الحضور***) فقد يكون حاضرا بالحق لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدى ربه تعالى فعلى حسب غيبته على الحق يكون حضوره بالحق فإن غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة فإذا قيل فلان حاضر فمعناه أنه حضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا فى حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها وقد يقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أنه حضر أى رجع عن غيبته فهذا يكون حضورا بخلق والأول حضورا

بحق وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته . وقد حكى أن ذا النون المصرى بعث إنساناً من أصحابه إلى أبى يزيد لينقل إليه صفة أبى يزيد فلما جاء الرجل إلى بسطام سأل عن دار أبى يزيد فدخل عليه فقال له أبو يزيد ما تريد فقال أريد أبا يزيد فقال من أبو يزيد [١] . وأين أبو يزيد أنا فى طلب أبى يزيد فخرج الرجل وقال هذا مجنون فرجع الرجل إلى ذى النون فأخبره بما شهده فبكى ذو النون وقال أخى أبو يزيد ذهب فى الذاهبين إلى الله ومن ذلك (***الصحو والسكر***) فالصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة والسكر غيبة بوارد قوى والسكر زيادة على الغيبة من وجه وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً فى سكره وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره تلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد فيكون للإحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكراً غير مستوف والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر وطاب الروح وهام القلب [٢] . وفى معناه[٣] . أنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله ... وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا

فما مل ساقيها وما مل شارب ... عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

---

(١) (من أبو يزيد .. إلخ) فيه دليل على كمال استغراقه فى أكثر أوقاته وهو يحب أن لو خفف عنه ماهو فيه ليرجع إلى إحساسه وينتفع بما لابد منه.

(٢) (وهام القلب) وسقط التمييز بين ما يؤلمه وما يلذه لأن التجليات الجمالية وشهود الصفات الكمالية إذا استولت على العبد بحيث صار لا يشهد سوى الحق تصير الأشياء بالنسبة إليه شيئا واحداً فحينئذ لا يميز بين الأشياء لغلبة رؤية ما للحق تعالى عليه .

(٣) (وفى معناه) أى السكر الناشئ عن كشف الجمال .

وأنشدوا :

فأسكـر القـــوم دور كأس وكان سكـرى مـن المـدير

وأنشدوا :

لى سكرتـان وللندمـان واحـدة شىء خصصت به من بينهم وحدى

وأنشدوا :

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكـــران

واعلم أن الصحو على حسب السكر فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ صحيح مصحوبا ومن كان محقا فى حاله كان محظوظا فى سكره والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم فصفة العبد الثبور والقهر وفى معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ هذا مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا وهذا مع صلابته وقوته صار دكا متكسرا والعبد فى سكره يشاهد الحال وفى حال صحوه بشاهد العلم إلا أنه فى حال سكره محفوظ لا بتكلفه وفى صحوه متحفظ بتصرفه والصحـو والسكـر بعد الذوق والشرب. ومن ذلك (***الذوق والشرب***) ومن جملة ما يجرى فى كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشوف وبوادر الواردات وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح ومن قوى حبه تسرمد شربه[١] . فإذا دامت به[٢]. تلك

(١) (تسرمد شربه) أى دام شربه .

(٢) (فإذا دامت به .. إلخ) ولهذا قال الجنيد فى هذه الحالة وترى الجبال تحسبها =

الصفة لم يورثه الشرب سكرا فكان صاحيا بالحق فانيا عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق بدونه وأنشدوا :

وإنما الكأس رضاع بيننـــا فإذا لم نذقها لم نعــش

وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى فهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربت الحب كأسا بعـد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

ويقال كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى ههنا من شرب كأسا من المحبة لم يظمأ بعده[١] .

فكتب إليه أبو يزيد عجبت من ضعف حالك ههنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد . واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ولا تدار إلا على أسرار معتقة وأرواح عن رق الأشياء محررة . ومن ذلك (***المحو والإثبات***) المحو رفع أوصاف العادة والإثبات إقامة أحكام العبادة فمن نفى عن أحواله[٢]. الخصال الذميمة وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو وإثبات . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قال بعض المشايخ لواحد إيش[٣] . تمحو وإيش[٤] . تثبت[٥] . فسكت الرجل فقال أما علمت أن الوقت محو وإثبات إذ من لا

= جامدة وهى تمر مَرَّ السحاب.

(١) (لم يظمأ بعده) لدوام تعلق قلبه بمحبوبه وشغله به لما وهب له من مقام المحبة .

(٢) (فمن نفى عن أحواله .. إلخ) فمحو الجهل يحصل بإثبات العلم ومحو الكسل يحصل بملازمة العمل وكذا القول فى سائر ما يمحى ويثبت فى القلوب والجوارح من الصفات.

(٣) (إيش تمحو) أى وأى شىء تمحو .

(٤) (وإيش) أى وأى شىء .

(٥) (تثبت) سأله عن حاله فى وقته ليعرف مقامه الذى هو فيه .

محـو له ولا إثبات فهو معطل مهمل وينقسم إلى محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر ففى محو الزلة إثبات المعاملات وفى محو الغفلة إثبات المنازلات وفى محـو العلة إثبات المواصلات هذا محـو وإثبات بشرط العبودية وأما حقيقة المحـو والإثبات فصادران عن القدرة فالحق ما ستره الحق ونفاه والإثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة قال الله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة أثبته بحق حقه ومن محاه الحق عن إثباته به رده إلى شهود الأغيار وأثبته فى أودية التفرقة . وقال رجل للشبلى رحمه الله تعالى ما لى أراك قلقا أليس هو معك وأنت معه فقال الشبلى لو كنت أنا معه كنت أنا ولكنى محو فيما هو . والمحق فوق المحو لأن المحو يبقى أثرا والمحق لا يبقى أثرا وغاية همة القوم أن يمحقهم الحق عن شاهدهم ثم لا يردهم إليهم بعدما محقهم عنهم . ومن ذلك (***الستر والتجلى***)[1] . العوام فى غطاء الستر والخواص فى دوام التجلى وفى الخبر إن الله إذا تجلى لشىء خشع له فصاحب الستر يوصف شهوده وصاحب التجلى أبدا ينعت خشوعه والستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم مايكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم . سمعت منصوراً المغربى يقول وافى بعض الفقراء حياً من أحياء العرب فأضافه شاب فبينا الشاب فى خدمة هذا الفقير إذ غشى عليه فسأل الفقير عن حاله فقالوا له بنت عم وقد علقها فمشت فى خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشى عليه فمضى

---

(١) (الستر والتجلى) الستر من قبل العبد كون البشرية حاصلة بين الستر وشهود الغيبى فإذا ظهر النور الغيبى أزال حجاب البشرية ومن قبل الحق ستره عن العبد حاله والتجلى من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن صدأ طباع البشرية ومن قبل الحق كشفه عن العبد حاله وسئل بعضهم عن التجلى والتحلى والتخلى فقال التجلى ظهور الذات فى حجب الأسماء والصفات تنزلا والتحلى القيام بمعانى الأسماء تعبدا وتمثلا والتخلى سقوط الإرادة والاختيار اعتمادا وتوكلا عليه سبحانه وتعالى.

الفقير إلى باب الخيمة وقال إن للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعاً إليك فى أمر هذا الشاب فتعطفى عليه فيما هو به من هواك فقالت سبحان الله أنت سليم القلب إنه لا يطيق شهود غبار ذيلى فكيف يطيق صحبتى وعوام هذه الطائفة عيشهم فى التجلى وبلاؤهم فى الستر وأما الخواص فهم بين طيش وعيش لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عليهم ردوا إلى الحظ فعاشوا وقيل إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ليستر عليه ببعض ما يعلله به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » والاستغفار طلب الستر ولأن الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب والمغفر وغيره فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وفى الخبر « لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره » . ومن ذلك (***المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة***) المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ثم المشاهدة فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وإن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر ثم بعده المكاشفة وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر فى هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعى الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهى حضور الحق من غير بقاء تهمة فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف وحق المشاهدة ما قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد فى بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكى رحمه الله ومعنى ما قاله أنه تتوالى أنوار التجلى على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها واتصالها إذا قدرت تصير فى ضوء النهار فكذلك القلب إذا دام التجلى مَتَعَ(١) .

---

(١) (متع) بالبناء للفاعل وتخفيف الفوقية أى التاء ارتفع وطال اللوائح والطوالع واللوامع =

نهاره فلا ليل وأنشدوا :

ليـلى بوجهك مشـرق وظلامه فى الناس سارى
والناس فى سدف الظـلا م ونحن فى ضوء النهار

وقال النورى لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم وقال إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة فى العربية بين اثنين وهذا وهم من صاحبه فإن فى ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق وباب المفاعلة جملتها لا تقتضى مشاركة الاثنين نحو سافر وطارق النعل وأمثاله وأنشدوا :

فلما استبان الصبح أدرك ضوؤه بأنواره أنوار ضوء الكواكـب
يجرعهم كأساً لو ابتلى به اللظى بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

كأس وأى كأس تصطلمهم عنهم وتفنيهم وتخطفهم منهم ولا تبقيهم كأس لا تبقى ولاتذر تمحوهم بالكلية ولا تبقى شظية من آثار البشرية كما قال قائلهم . ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر . ومن ذلك (***اللوائح والطوالع واللوامع***) قال الأستاذ رضى الله تعالى عنه هذه الألفاظ متقاربة المعنى لا يكاد يحصل بينها كبير فرق [(١)] . وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب فلم يدم لهم بعد ضياء شموس المعارف لكن الحق سبحانه وتعالى يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين كما قال ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فكلما أظلم عليهم سماء القلوب بسحاب الحظوظ سنح لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ لوامع القرب وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح فهم كما قال القائـل :

يا أيها البرق الذى يلمـع من أى أكناف السماء تسطع

= هذه الألفاظ كناية عن اختلاف أحوال أرباب السلوك وما يفتح الله به عليهم من المقامات التى يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضا والتسليم والمحبة .

(١) (كبير فرق) وإن كان الطوالع أتم من اللوام .

فتكون أولا لوائح ثم لوامع ثم طوالع فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت كما قال القائل :

افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه عليَّ وداعا

وأنشدوا :

يا ذا الذى زار وما زارا كأنه مقتبس نارا

مر بباب الدار مستعجلا ما ضره لو دخل الدارا

واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى اللوامع وقتين وثلاثة ولكن كما قالوا :

*** والعين باكية لم تشبع النظرا ***

وكما قالوا :

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب

فإذا لمعَ قطعك عنك وجمعك به لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه عساكر الليل فهؤلاء بين روح ونوح لأنهم بين كشف وستر كما قالوا :

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبا

الطوالع أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة لكنها موقوفة على خطر الأفول ليست برفيعة الأوج ولابدائمة المكث ثم أوقات حصولها وشيكة الارتحال وأحوال أفولها طويلة الأذيال وهذه المعانى التى هى اللوائح واللوامع والطوالع تختلف فى القضايا فمنها ما إذا فات لم يبق عنها أثر كالشوارق إذا أفلت فكأن الليل كان دائما ومنها ما يبقى عنه أثر فإن زال رقمه بقى ألمه وإن غربت أنواره فصاحبه بعد سكون غلبته بقيت آثاره يعيش فى ضياء بركاته فإلى أن يلوح ثانيا يرجى وقته على انتظار عوده ويعيش بما وجد فى حين كونه .

ومن ذلك (***البواده***[١] ***والهجوم***) البواده ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة إما موجب فرح وإما موجب ترح والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع[٢] منك ويختلف فى الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه فمنهم من تغيره البواده وتصرفه الهواجم ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالا وقوة أولئك سادات الوقت كما قيـــل :

لا تهتدى نوب الزمـان إليهـم ولهم على الخطيب الجليل لجام

ومن ذلك (***التلوين والتمكين***) التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فإذا وصل تمكن وأنشدوا :

ما زلت أنزل فى ودادك منزلا تتحير الألبـاب دون نزولـه

وصاحب التلوين أبدا فى الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وأمارة أنه اتصل أنه بالكلية عن كليته بطل . وقال بعض المشايخ انتهى سفرالطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا (***قال الأستاذ رحمه الله***) يريد به انخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة فإذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين كان الشيخ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان موسى عليه السلام صاحب تلوين فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه لأنه أثر فيه الحال ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام إن النسوة اللاتى رأين يوسف عليه السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة وامرأة العزيز كانت أتم فى بلاء يوسف منهن ثم لم تتغير عليها

(١) (البواده) من بدهه الشيء أى فجأه .
(٢) (تصنع) أى تكلف ونظر .

شعرة ذلك اليوم لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف(١) . عليه السلام. قال الأستاذ واعلم أن التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين إما لقوة الوارد أو لضعف صاحبه والسكون من صاحبه لأحد أمرين إما لقوته أو لضعف الوارد عليه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول أصول القوم فى جواز دوام التمكين فتخرج على وجهين أحدهما ما لا سبيل إليه لأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم (٢) « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة »(٣) . ولأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال « لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل » أخبر عن وقت مخصوص قال رحمه الله تعالى والوجه الثانى أنه يصح دوام الأحوال لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق والذى فى الخبر فى أنه قال « لصافحتكم الملائكة » فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » وما قال (٤) لى وقت فإنما قال على حسب فهم السامع وفى جميع أحواله كان قائما بالحقيقة والأولى أن يقال إن العبد ما دام فى الترقى فصاحب تلوين يصح فى نعته الزيادة فى الأحوال والنقصان منها فإذا وصل إلى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه بأن لا يرده إلى معلولات النفس فهو متمكن فى حاله على حسب محله واستحقاقه ثم ما يتحفه الحق سبحانه فى كل نفس فلا حد لمقدوراته فهو فى الزيادات متلون بل ملون فى أصل حاله متمكن فأبدا يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيها قبله ثم يرتقى عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس فأما المصطلم

---

(١) (فى حديث يوسف) أى قصته لأنها لما تولى عليها النظر إليه وعلى قلبها جماله لم تلفت إليه وقت خروجه على النسوة اللاتى لم يطقن ما أطاقت وقطعن أيديهن لغلبة شغلهن به على إحساسهن وكن صاحبات تلوين لتغير أحوالهن .

(٢) (لأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم) لما قال حنظلة وهو يبكى نافق حنظلة فإنا نكون عندك تذكرنا الآخرة والجنة والنار كأنا رأى عين فإذا فارقناك عاسفنا الأهل فزال عنا .

(٣) (ذلك لصافحتكم الملائكة) فى طرقكم وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة.

(٤) (وما قال) أى وأما ما قال من قوله لى وقت لا يسعنى .. إلخ ..

عن شاهده المستوفى إحساسه بالكلية فللبشرية لا محالة حد فإذا بطل عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن المكونات بأسرها ثم دامت به هذه الغيبة فهو محو فلا تمكين له إذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال وما دام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف اللهم إلا أن يرد بما يجرى عليه من غير شيء منه فذلك متصرف في ظنون الخلق مصرف فى التحقيق قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ وبالله التوفيق . ومن ذلك (***القرب والبعد***) أول رتبة فى القرب القرب من طاعته والإنصاف فى دوام الأوقات بعبادته وأما البعد فهو التدنيس بمخالفته والتجافى عن طاعته فأول البعد عن التحقيق ثم بعد عن التحقيق بل البعد عن التوقيق هو البعد بعد التوفيق . قال صلى الله عليه وآله وسلم مخبرا عن الحق سبحانه « ما تقرب إلىَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فبى يبصر وبى يسمع الخبر » فقرب العبد أولا قرب بإيمانه وتصديقه ثم قرب بإحسانه وتحقيقه وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان وفى الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك بوجوه اللطف والامتنان ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والسكون فقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء قال الله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ وقال الله تعالى﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه دوام مراقبته إياه لأنه عليه رقيب التقوى ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء(١) وأنشدوا :

---

(١) (ثم رقيب الحياء) أى من الوقوع فيما لا يليق وإذا وصل العبد إلى دوام مراقبته لربه واشتد حياؤه منه حتى لا يخرج عن الحق حسن منه أن يقول هذه الأبيات التى ذكرها المصنف بقوله كأن رقيباً ... إلخ والتى ستذكر بعد.

كأن رقيبا منك يرعى خواطرى ... وآخر يرعى ناظرى ولسانى

فما رمقت عيناى بعدك منظرا ... يسوؤك إلا قلت قد رفعانى

ولا بدرت من فى دونك لفظة ... لغيرك إلا قلت قد سمعانى

ولا خطرت فى السر بعدك خطرة ... لغيرك إلا عرجا بعنانى

وإخوان صدق قد سئمت حديثهم ... وأمسكت عنهم ناظرى ولسانى

وما الزهد أسلى عنهم غير أننى ... وجدتك مشهودا بكل مكان

وكان بعض المشايخ يخص واحداً من تلامذته بإقباله عليه فقال أصحابه له فى ذلك فدفع إلى كل واحد منهم طيراً وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبوح فسأله الشيخ فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم يكن موضع إلا والحق سبحانه يراه فقال الشيخ لهذا أقدم هذا عليكم إذ الغالب عليكم حديث الخلق وهذا غير غافل عن الحق ورؤية القرب حجاب عن القرب(١) . فمن شاهد لنفسه محلا أو نفَسا(٢) . فهو ممكور به ولهذا قالوا أوحشك الله تعالى من قربه أى من شهودك لقربه فإن الاستئناس بقربه من سمات العزة به إذ الحق سبحانه وراء(٣) . كل أنس وإن مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو وفى قريب من هذا قالوا :

محنتى فيك أننى * ما أبالى بمحنتى

قربكم مثل بعدكم * فمتى وقت راحتى

---

(١) (حجاب عن القرب) لأنه إذا رأى قربه منه فقد رأى غيره فكمال قربه أن يشتغل بربه عن قِربه منه .

(٢) (نفساً) بفتح الفاء لا بسكونها .

(٣) (وراء) أى أمام .

وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله كثيرا ما ينشد :

ودادكم هجر وحبكم قِلى وقربكم بُعد وسلمكم حرب

ورأى أبو الحسين النورى بعض أصحاب أبى حمزة فقال أنت من أصحاب أبى حمزة الذى يشير إلى القرب إذا لقيته فقل له إن أبا الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد فأما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق ولا انفصل عنه حادث مسبوق به جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو فى نعته محال وهو تدانى الذوات وقرب هو واجب فى نعته وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفضل باللطف.

ومن ذلك (***الشريعة والحقيقة***) الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية[١] . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول قوله﴿ إياك نعبد﴾ حفظ للشريعة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إقرار بالحقيقة واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف[٢] به سبحانه أيضا وجبت بأمره . ومن ذلك (***النفس***) النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال فكان صاحب الوقت مبتدئا وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما فالأحوال وسائط والأنفاس نهاية الترقى فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر وقالوا أفضل العبادات عد

(١) (مشاهدة الربوبية) أى رؤيته إياها بقلبه ويعبر عن ذلك بأن الشريعة معرفة السلوك إلى الله تعالى والحقيقة دوام النظر إليه والطريقة سلوك طريق الشريعة أى العمل بمقتضاها وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر .

(٢) (إن المعارف) أى معرفة العارفين النَفَس بفتح الفاء لا بسكونها.

الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى وقالوا خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة وخلق الأسرار وراءها وجعلها محلا للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد على بساط الاضطرار فهو ميت وصاحبه مسؤول عنه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول العارف لا يسلم له النفس لأنه لا مسامحة تجرى معه والمحب لابد له من نفس إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى لعدم طاقته . ومن ذلك (*الخواطر*) والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد يكون بإلقاء ملك وقد يكون بإلقاء الشيطان ويكون أحاديث النفس ويكون من قبل الحق سبحانه فإذا كان من الملك فهو الإلهام وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس وإذا كان من قبل الله سبحانه وتعالى وإلقائه فى القلب فهو خاطر لحق وجملة ذلك من قبيل الكلام فإذا كان من قبل الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم ولهذا قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره ما يدعو إلى المعاصى وإذا كان من قبل النفس فأكثره ما يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر أو ما هو من خصائص أوصاف النفس واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس .. وسمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول من كان قوته معلوما لم يفرق بين الإلهام والوسواس ، وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابدته وأجمع الشيوخ على أن النفس لا تصدق وأن القلب لا يكذب وقال بعض المشايخ إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها .. اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة ثم إنها تعاودك وتعاودك وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء إنما يريد أن يكون داعيا أبدا إلى زلة ما ولا غرض له فى تخصيص واحد دون واحد وقيل كل خاطر يكون من المسلك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه فأما خاطر يكون من الحق سبحانه

فلا يحصل خلاف من العبد له .. وتكلم الشيوخ فى الخاطر والثانى إذا كان الخاطران من الحق سبحانه هل هو أقوى من الأول فقال الجنيد الخاطر الأول أقوى لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم فترك الأول يضعف الثانى وقال ابن عطاء الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين هما سواء لأن كليهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر والأول لا يبقى فى حال وجود الثانى لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء . ومن ذلك (***علم اليقين***[١] ***وعين اليقين وحق اليقين***) هذه[٢] عبارات عن علوم جلية [٣] فاليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان[٤] وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف والكلام فى الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه يعود إلى ما ذ كرناه فاقتصرنا على هذا القدر على جهة التنبيه . ومن ذلك (***الوارد***) ويجرى فى كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد ثم قد يكون وارد من الحق ووارد من العلم فالواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك

---

(١) (اليقين) هو عند جماعة توالى العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فهو أخص من العلم وعن آخرين هو العلم نفسه وسيأتى.

(٢) (هذه) أى الألفاظ .

(٣) (عبارات عن علوم جلية) مع تفاوتها فى القوة بناء على أن اليقين مقول على أفراده بالتشكيك والثلاثة مذكورة فى القرآن قال تعالى « لو تعلمون علم اليقين » وقال « لترونها عين اليقين » وقال « إن هذا لهو حق اليقين » .

(٤) (بحكم البيان) أى بطريق الكشف والنوال.

من المعانى . ومن ذلك (***لفظ الشاهد***) كثيراً ما يجرى فى كلامهم لفظ الشاهد فلان بشاهد العلم وفلان بشاهد الوجد وفلان بشاهد الحال ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وهو ما كان الغالب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو بشاهده فإن كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهو بشاهد الوجد ومعنى الشاهد الحاضر فكل ماهو حاضر قلبك فهو شاهدك وسئل الشبلى عن المشاهدة فقال من أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر فى قلبه دائما من ذكر الحق ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب يقال إنه شاهده يعنى أنه حاضر قلبه فإن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب واستيلائه عليه وبعضهم تكلف فى مراعاة هذا الاشتقاق فقال إنما سمى الشاهد من الشهادة فكأنه إذا طالع شخصا بوصف الجمال فإن كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ولا أثرت فيه صحبته بوجه فهو شاهد له على فناء نفسه ومن أثر فيه ذلك فهو شاهد عليه فى بقاء نفسه وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له أو شاهد عليه وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة أى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلنى عن رؤيته تعالى بل رأيت المصور فى الصورة والمنشئ فى الإنشاء » يريد به رؤية العلم لا إدراك البصر. ومن ذلك (***النفس***) نفس الشيء فى اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القالب الموضوع إنما أرادوا بالنفس ما كان معلوما من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله ثم المعلومات من أوصاف العبد على ضربين أحدهما يكون كسباً له كمعاصيه ومخالفاته والثانى أخلاقه الدنيئة فهى فى أنفسها مذمومة فإذا عالجها العبد ونازلها تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر العادة [١] . والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه وأما القسم الثانى من النفس فسفساف الأخلاق والدنيء

---

(١) (على مستمر العادة) أى على العادة المستمرة وإن لم يتغير الطبع وهو الميل لكل =

منها هذا حده على الجملة ثم تفصيلها فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا منها حسن أو أن لها استحقاق قدر ولهذا عد ذلك من الشرك الخفى ومعالجة الأخلاق فى ترك النفس وكسرها أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التى تتضمن سقوط القوة وإن كان ذلك أيضاً من جملة ترك النفس ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الأخلاق المعلومة كما أن الروح لطيفة مودعة فى هذا القالب هى محل الأخلاق المحمودة وتكون الجملة مسخرا بعضها لبعض والجميع إنسان واحد وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة فى الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذائق إنما هى الجملة التى هى الإنسان فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح ومحل الأوصاف المذمومة النفس ، والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع إلى الجملة . ومن ذلك (*الروح*) الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول إنها الحياة ومنهم من يقول أعيان مودعة فى هذه القوالب ..

[**لطيفة**] أجرى الله العادة بخلق الحياة فى القالب ما دامت الأرواح فى الأبدان فالإنسان حى بالحياة ولكن الأرواح مودعة فى القوالب ولها ترق فى حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه وأن الإنسان هو الروح والجسد لأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة والمثاب والمعاقب الجملة

= لذيذ والنفرة عن كل كريه فالنفس فى طبعها تميل إلى الدنيا لكونها لا تعرف حسناً غيرها فإذا عرفت نقصها وحجبها عن الخيرات نفرت عنها فالذى كان لذيذا لها بما لها وطبعها لم يتغير وإنما تغير ظنها باللذيذ والكريه وكذلك من نظر للأعمال الصالحة ومشقة القيام بها يجد نفسه نافرة عنها فإذا عرف ما يترتب عليها من الفوائد مال إليها وكره تركها فالذى كان كارها له صار مائلا إليه والطبع هو هو لم يتغير .

والأرواح مخلوقة ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيما والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة . ومن ذلك (*السر*) يحتمل أنها لطيفة مودعة فى القالب كالأرواح وأصولها تقتضى أنها محل المشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة والقلوب محل للمعارف وقالوا السر مالك عليه إشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق وعند القوم على موجب مواضعاتهم ومقتضى أصولهم السر ألطف من الروح والروح أشرف من القلب ويقولون الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال ويطلق لفظ السر على ما يكون مصونا مكتوماً بين العبد والحق سبحانه فى الأحوال وعليه يحمل قول من قال أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ويقولون صدور الأحرار قبور الأسرار وقالوا لو عرف زرى سرى لطرحته فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شرط الإيجاز ..

ونذكر الآن أبواباً فى شرح المقامات التى هى مدارج أرباب السلوك ثم بعدها أبواباً فى تفصيل الأحوال على الحد الذى يسهله الله بفضله إن شاء الله تعالى..



بـــاب التوبـــة

قـال الله تـعالـــى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَـمِـيـعًا أَيُّهَـا الْمُـؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (أخبرنا) أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك قال أخبرنا أحمد بن محمود بن خراز قال حدثنا محمد بن فضل بن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن زكريا قال « حدثنا أبى قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « التـائب من الذنب كـمن لا ذنب له » وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [(١)] قيل يارسول الله وما علامة التوبة قال « الندامة » [(٢)] (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر أخبرنا الحكم بن موسى قال حدثنا غسان بن عبيد عن أبى عاتكة طريف بن سليمان عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما من شىء أحب إلى الله من شاب تائب » فالتوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة فى لغة العرب الرجوع يقال تاب أى رجع فالتوبة الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الندم التوبة » فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة فى الحال والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصى فهذه الأركان لابد منها حتى تصح توبته قال هؤلاء وما فى الخبر أن الندم توبة إنما نص على معظمه[(٣)] . كما قال صلى الله عليه وآله وسلم « الحج عرفة » أى معظم أركانه عرفة أى الوقوف بها لأنه لا ركن فى الحج

---

(١) (إن الله يحب التوابين) لأنه إذا أحب الشخص ألهمه التوبة من الذنب أو غفر له لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

(٢) (الندامة) أى على ماتاب منه وهى من شروط التوبة .

(٣) (على معظمه) أى ركنها والأولى معظمها أى معظم أركانها.

سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم أركانه الوقوف بها كذلك قوله « الندم توبة » أى معظم أركانها الندم ومن أهل التحقيق من قال يكفى الندم فى تحقيق ذلك لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ماهو مصر على مثله أو عازم على الإتيان بمثله وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال فأما على جهة الشرح والإبانة فإن للتوبة أسبابا وترتيبا وأقساما فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه فإنه جاء فى الخبر واعظ الله فى قلب كل امرئ مسلم وفى الخبر « إن فى البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن وإذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب » فإذا فكر بقلبه فى سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنح فى قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ فى جميل الرجعة والتأهب لأسباب التوبة فأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة[١] على المشاهدة التى تزيد رغبته فى التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال فيقف على تعاطى المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها فى الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقا وإن نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضا كثيرا فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل أجل كتاباً (***حكى عن أبى سليمان الدارانى***) أنه قال اختلفت إلى مجلس قاص فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شيء فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقى كلامه فى قلبى فى الطريق ثم زال ثم عدت

---

(١) (ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة .. إلخ) ومن ذلك خلطته بالصالحين وسماع أقوالهم وأفعالهم المرسومة فى الكتب عنهم

ثالثاً فبقى أثر كلامه فى قلبى حتى رجعت إلى منزلى فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركياً أراد بالعصفور ذلك القصاص وبالكركى أبا سليمان الدارانى (***ويحكى عن أبى حفص الحداد***) أنه قال تركت العمل [١] كذا وكذا مرة [٢] . فعدت إليه ثم تركنى العمل فلم أعد بعد إليه ، وقيل إن أبا عمرو بن نجيد فى ابتداء أمره اختلف إلى مجلس أبى عثمان فأثر فى قلبه كلامه فتاب ثم إنه وقعت له فترة فكان يهرب من أبى عثمان إذا رآه ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوماً فحاد أبو عمرو عن طريقه وسلك طريقا أخرى فتبعه أبو عثمان فما زال يقفو أثره حتى لحقه فقال له يا بنى لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً إنما ينفعك أبو عثمان فى مثل هذه الحالة قال فتاب أبو عمرو بن نجيد وعاد إلى الإرادة ونفذ فيها . سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتاً لو عاد إلى توبته كيف حكمه فهتف به هاتف يافلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلا الإرادة ونفذ فيها فإذا ترك المعاصى وحل عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لا يعود إلى مثله فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم فيتأسف على ما عمله ويأخذ فى التحسر على ما صنعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله فتتم توبته وتصدق مجاهدته واستبدل بمخالطته العزلة وبصحبته مع إخوان السوء التوحش عنهم والخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره فى التلهف ويعتنق فى عموم أحواله بصدق التأسف يمحو بصوب عبرته آثار عثرته ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته

---

(١) (العمل) أى الكسب .

(٢) (كذا وكذا مرة .. إلخ) يعنى ترك العمل فى الدنيا ليتفرغ للعبادة ثم غلبته محبته فعاد إليه ثم غلب عليه محبة تركه لشدة محبته فى الخير فتركه ثم غلب عليه محبه العمل فعاد إليه ثم قوى حاله فترك العمل ونفرت نفسه عنه ورغب فيما هو أفضل منه وربما كان سبب ترك العمل ما حكى أنه كان يعمل الحديد فى دكانه فغلب عليه حاله فأدخل يده فى الكير وأخذ الحديد بيده وجعل يطرقها وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه فى ذلك رجع إلى حاله وهرب من الشهرة وعلم أن المراد منه ترك ما هو فيه .

ويعرف من بين أمثاله بذنوبه ويستدل على صحة حاله بنحوله ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فإن أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أو سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله بصدق الابتهال والدعاء لهم (***وللتائبين صفات وأحوال***) هى من خصالهم بعد ذلك من جملة التوبة لكونها من صفاتهم لا لأنها من شرط صحتها وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ فى معنى التوبة سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبه فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتهما فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعاً فى الثواب فهو صاحب إنابة ومن تاب مراعاة للأمر لا للرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة ويقال أيضاً التوبة صفة المؤمنين قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ والإنابة صفة الأولياء والمقربين قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول التوبة على ثلاثة معان أولها الندم والثانى العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه والثالث السعى فى أداء المظالم وقال سهل بن عبد الله التوبة ترك التسويف . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عبد الله القرشى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث يقول ما قلت قط (اللهم إنى أسألك التوبة ولكنى أقول أسألك شهوة التوبة) أخبرنا أبو عبد الله الشيرازى قال سمعت أبا عبد الله بن مصلح بالأهواز يقول سمعت ابن زيرى يقول سمعت الجنيد يقول دخلت على السرى يوماً فرأيته متغيراً فقلت له مالك فقال دخل علىَّ شاب فسألنى عن التوبة فقلت له أن لا تنسى ذنبك فعارضنى وقال بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت إن الأمر عندى ما قال الشاب فقال لم قلت لأنى إذا كنت فى حال

الجفاء فنقلنى إلى حال الوفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء . فسكت . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الصوفى يقول سئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال أن لاتنسى ذنبك وسئل الجنيد عن التوبة فقال أن تنسى ذنبك قال أبو نصر السراج أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره قال وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة فقال هى التوبة من التوبة [1] . وسئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال أبو الحسين النورى التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات وقال الواسطى التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثرا من المعصية سراً ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا لا يبالى كيف أمسى وأصبح . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمى يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول إلهى لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقى ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفى ثم إنى أقول لا أعود لعلى أن أموت قبل أن أعود وقال ذو النون الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن يزدانيار يقول وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أى أصل يخرج فقال على أن لا يعود إلى ما منه خرج ولا يراعى غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه فقيل له هذا حكم من خرج عن وجود

(١) (التوبة من التوبة) أى من رؤية كونه تائباً فإنه لا يرى ذلك إلا إذا كان مفرق القلب ناظراً لنفسه وتوبته فينحجب بذلك فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد وقيل معنى كلام رُوَيم ما قالته رابعة أستغفر الله من قلة صدقى من قولى أستغفر الله إشارة إلى التوبة من التقصير فى الأعمال واستغفار عما عساه أن يقع فيها من ذهول أو إهمال أو نحوه مما لا يليق بحضرة الحق تعالى أو إذا لم تستوف شروط التوبة بأجمعها .

فكيف حكم من خرج عن عدم فقال وجود الحلاوة فى المستأنف عوضاً عن المرارة فى السالف . وسئل البوشنجى عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فهو التوبة وقال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ وقال ابن عطاء التوبة توبتان توبة الإنابة وتوبة الاستجابة فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه . وقيل لأبى حفص لم يبغض التائب الدنيا قال لأنها دار باشر فيها الذنوب فقيل له أيضاً هى دار أكرمه الله فيها بالتوبة فقال إنه من الذنب على يقين ومن قبول توبته على خطر . وقال الواسطى طرب داود عليه السلام وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه فى أنفاس متصاعدة وهو فى الحالة الثانية أتم منه فى وقت ما ستر عليه أمره. وقال بعضهم توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعنى قول أستغفر الله . وسئل أبو حفص عن التوبة فقال ليس للعبد فى التوبة شىء لأن التوبة إليه لا منه وقيل أوحى الله سبحانه إلى آدم يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعانى منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك يا آدم أحشر التائبين من القبور مستبشرين بى ضاحكين ودعاؤهم مستجاب . وقال رجل لرابعة إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على .. فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت واعلم أن الله تعالى قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين فإذا تاب فإنه من القبول على شك لاسيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقا لمحبة الحق وإلى أن يبلغ العاصى محلا يجد فى أوصافه أمارة محبة الله إياه مسافة بعيدة فالواجب إذاً على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار كما قالوا استشعار الوجل إلى الأجل وقال عز من قائل ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وكان من سنته صلى الله عليه

وآله وسلم دوام الاستغفار وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إنه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ». سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسين بن على يقول سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة(١). أقبح من سبعين قبلها . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول فى قوله عز وجل ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ قال رجوعهم وإن تمادى بهم الجولان فى المخالفات. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى متى تقولون من هذا من هذا ؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى عن الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها .



---

(١) (زلة واحدة بعد التوبة .. إلخ) لأن الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره ولهذا كان عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل وذكر السبعين هنا وفى الخبر السابق ليس للتقييد بل للمبالغة كما فى قوله تعالى : ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ أى حتى لو استغفر لهم أكثر من السبعين مرة وكذا ذكر المائة فى الرواية السابقة .

بـــاب المجـاهـدة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسين على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا العباس بن الفضل الإسقاطى قال أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عيينة عن على بن زيد عن أبى نصرة عن أبى سعيد الخدرى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الجهاد فقال « كلمة عدل عند سلطان جائر » فدمعت عينا أبى سعيد. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة .. قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ واعلم أن من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ظن أنه يفتح له شىء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شىء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو فى غلط . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة وسمعته أيضا يقول قولهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علوية يقول قال أبو يزيد البسطامى كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين كنت مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فإذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فإذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لى فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت وكان فى ذلك الوقت لا يلحقه الشباب فى العبادة

وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت عبد العزيز النجرانى يقول سمعت الحسن القزاز يقول بنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء أن لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام[١] . إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة[٢] سمعته يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثانى أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث أو يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول من كرمت عليه نفسه [٣] . هان عليه دينه وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها فى عموم الأوقات وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير انهماك فى الشهوات وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى وإذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما من منازلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن وتخمد نيرانه برفق فإذا استحلت شراب الرعونة فضاقت إلا عن إظهار منا قبها والتزين لمن ينظر إليها

(١) (ولا تنام) عن فعل الطاعات لا النوم الحقيقى فقط .
(٢) (عند الضرورة) لعموم خبر ، من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، والخبر ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإذا كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، ولقوله تعالى ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم ﴾ الآية .. وقال مالك رضى الله تعالى عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وفي الخبر ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ،وعمر الإنسان رأس ماله الذى فيه تجارته فإذا ضيعه فيما لا يعنيه فقد أتلفه فيما لا شيء .
(٣) (من كرمت عليه نفسه) ووافقها فيما تحب من الشهوات وترك مشقة الطاعات.

ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أصلها وقذارة فعلها وجهد العوام فى توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فإن مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الأخلاق والتنقى عن سفاسفها صعب شديد (***ومن غوامض آفات النفس***) ركونها إلى استحلاء المدح فإن من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفر من أشفاره وأمارة ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والفشل وكان بعض المشايخ يصلى فى مسجد فى الصف الأول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الإبكار إلى المسجد عائق فصلى فى الصف الأخير فلم ير بعد ذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت أقضى صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندى أنى مخلص فيها لله فداخلنى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس إياى فى الصف الأخير نوع خجل فعلمت أن نشاطى طول عمرى إنما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتى (ويحكى) عن أبى محمد المرتعش أنه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوبا بحظى وذلك أن والدتى سألتنى يوماً أن أستقى لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشوب لنفسى إذ لو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ماهو حق فى الشرع وكانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالتها فقالت كنت فى حال الشباب أجد من نفسى نشاطا وأحوالا أظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عنى فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا[١].
سمعت أبا على الدقاق يقول ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال إنها كانت منصفة. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبدا بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول ما هالنى شىء إلا ركبته وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى

---

(١) (أحوالا) إذ لو كانت عين اليقين والعرفان لدامت بدوامها فى كل زمان .

يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة وهو الخلاص من أمانى النفس[١] .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فسألته ما سقم الطبيعة فقال أكل الحرام فقلت ما ملازمة العادة فقال النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة قلت فما فساد الصحبة قال كلما هاجت فى النفس الشهوة تبعتها[٢] . وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول سجنك نفسك فإذا خرجت منها وقعت فى راحة أبدية وسمعته يقول سمعت محمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول كان أجل أحكامنا فى مبادئ أمرنا فى مسجد أبى عثمان الحيرى الإيثار بما يفتح علينا وأن لا نبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا بل نعتذر إليه ونتواضع له وإذا وقع فى قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول وقال أبو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق فمن لم يصحبه فى سره توفيق من ربه كان ظلمة كله (***قال الأستاذ الإمام القشيرى***) معنى قوله سراجها سرها يريد العبد الذى بينه وبين الله تعالى وهو محل إخلاصه وبه يعترف العبد أن الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه ليكون متبرئا من حوله وقوته على استدامة أوقاته ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه فإن من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه ولهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر فهو مصر .. وقال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الأحوال قال أبو حفص ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فإن المعاصى بريد الكفر.. وقال أبو سليمان ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبت به وقال السرى إياكم وجيران الأغنياء وقراء الأسواق وعلماء الأمراء وقال ذو النون

---

(١) (أمانى النفس) أى شهواتها واختياراتها فكمال الراحة فى الدين بلوغ العبد إلى قيام التوكل والرضا ولا يتم ذلك له إلا بعلمه أن الحق سبحانه أرحم به من أمه وأعلم بما يصلحه.
(٢) (تبعتها) فالصحبة النافعة معها التى بها نجاتها أن يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلبه منها ربها فحصل من مجموع ذلك أن الفساد دخل من أكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى .

المصرى إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم .



بـــاب الخلوة والعزلـة

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا عبد العزيز بن معاوية قال حدثنا القعنبى قال حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهنى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن من خير معايش الناس كلهم رجلا آخذا بعنان فرسه فى سبيل الله إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل فى مظانه أو رجلا فى غنيمة له فى رأس شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس فى الناس إلا فى خير » (١) . (قال الأستاذ) الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولابد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى

---

(١) (إلا فى خير) هذا الخبر روى بألفاظ مختلفة وكلها متفقة على أن البعد عن الناس للتفرغ للعباداتِ أفضلِ من الاختِلاط بهم على ما يأتى بيانه. والشعفة بفتح العين رأس الجبل وجمعها شعف وشعوف وشِعاف وشعفات ذكره الجوهرى فى صحاحه.

نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه [١] . ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه والثانى شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر ورؤى بعض الرهبان فقيل له إنك راهب فقال لا بل أنا حارس كلب إن نفسى كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها ومر إنسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه فقال الرجل لم تجمع عنى ثيابك ليست ثيابى نجسه فقال الشيخ وهمت فى ظنك ثيابى هى النجسة جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك لا لكى تنجس ثيابى .

(***ومن آداب العزلة***) أن يحصل من المعلوم ما يصحح به عقد توحيده لكى لا يستهويه الشيطان بوساوسه ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدى به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم والعزلة فى الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير لتبديل الصفات لا للتنائى عن الأوطان ولهذا قيل من العارف قالوا كائن بائن يعنى كائن مع الخلق بائن عنهم بالسر . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول البس مع الناس ما يلبسونه وتناول مما يأكلونه وانفرد عنهم بالسر وسمعته يقول جاءنى إنسان وقال جئتك من مسافة بعيدة فقلت ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافة ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة وفقد حصل مقصودك ، ويحكى عن أبى يزيد قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت كيف أجدك قال فارق نفسك وتعال . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغى أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه وخاليا من جميع الإرادات إلا رضا ربه وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن بهذه

---

(١) (لتحققه بأنسه) تعالى لأنها لم تجمع همته على مقصوده وانفراده بمحبوبه لتكمل مناجاته ويترقى فى درجات قربه وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق إلى الحق لأنه سفر من النفس إلى القلب وهو من القلب إلى الروح ومن الروح إلى السر ومن السر إلى واهب الكل وهكذا فعل صلى الله عليه وآله وسلم فى الغار حتى أتته الرسالة على لسان جبريل عليه السلام

الصفة فإن خلوته توقعه فى فتنة أو بلية وقيل الانفراد فى الخلوة أجمع لدواعى السلوة وقال يحيى بن معاذ انظر أنسك بالخلوة أو أنسك معه فى الخلوة فإن كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها وإن كان أنسك به فى الخلوة استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبى بكر الوراق فلما أراد أن يرجع قال له أوصنى فقال وجدت خير الدنيا والآخرة فى الخلوة والقلة وشرهما فى الكثرة والاختلاط وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الجريرى وقد سئل عن العزلة فقال هى الدخول بين الزحام وتمنع سرك أن لا يزاحموك وتعزل نفسك عن الآثام ويكون سرك مربوطاً بالحق وقيل من آثر العزلة حصل العزلة وقال سهل لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله وقال ذو النون المصرى لم أر شيئا أبعث على الإخلاص من الخلوة وقال أبو عبد الله الرملى ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة فإما أن تموت وإما أن تصل إلى الله سبحانه وقال ذو النون ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله . سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة أيسر [١] من مداراة الخلطة [٢] . وقال مكحول إن كان فى مخالطة الناس خير فإن فى العزلة السلامة [٣] . وقال يحيى بن معاذ الوحدة جليس الصديقين . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول سمعت الشبلى يقول الإفلاس الإفلاس ياناس فقيل له يا أبا بكر ما علامة الإفلاس قال من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس وقال يحيى بن أبى كثير من خالط الناس داراهم ومن داراهم رآهم

---

(١) (أيسر) على العبد .

(٢) (من مداراة الخلطة) لأن مكابدة العزلة اشتغال بالنفس خاصة وردها عما تشتهيه بخلاف مداراة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم وما يبدو منهم من الأذى وما يحتاج إليه من الحلم والصفح .

(٣) (فى العزلة السلامة) من الشر والسلامة من الشر آكد من تحصيل الخير إذ أن التخلية أهم من التحلية نعم إن وجبت الخلطة لتحصيل علم أو عمل لم تصح الخلوة .

وقال شعيب بن حرب دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة وهو فى داره وحده فقلت له أما تستوحش وحدك فقال ما كنت أرى أن أحدا يستوحش مع الله. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول قال أبو يعقوب السوسى الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء ولأمثالنا الاجتماع أوفر وأنفع يعمل بعضهم على رؤية بعض وسمعته يقول سمعت أبا عثمان سعيد بن أبى سعيد يقول سمعت أبا العباس الدامغانى يقول أوصانى الشبلى فقال الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال له ماجاء بك فقال أكون معك قال يا أخى إن العبادة لا تكون بالشركة ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشىء . حكى أن بعضهم قيل له ما أعجب ما لقيت فى سياحتك فقال لهم لقينى الخضر فطلب منى الصحبة فخشيت أن يفسد علىّ توكلى وقيل لبعضهم ههنا أحد تستأنس به فقال نعم ومد يده إلى مصحفه ووضعه فى حجره وقال هذا . وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى وفيها شفاء للذى أنا كاتم

وقال رجل لذى النون المصرى متى تصح لى العزلة فقال إذا قويت على عزلة نفسك وقيل لابن المبارك ما دواء القلب فقال قلة الملاقاة للناس وقيل إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة .

  

بـــاب التقــوي

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال أخبرنا محمد بن الفضل ابن جابر قال حدثنا ابن عبد الأعلى القرشى قال حدثنا يعقوب العمى عن ليث عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا نبى الله أوصنى فقال « عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله فإنه نور لك » (وأخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا عباس بن الفضل الإسقاطى قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا أبو هرمز نافع بن هرمز قال سمعت أنسا يقول قيل يا نبى الله من آل محمد قال « كل تقى » فالتقوى جماع الخيرات وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته يقال اتقى فلان بترسه وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم تدع بعده الفضلات كذلك سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول سمعته يقول ولكل قسم من ذلك باب وجاء فى تفسير قوله عز وجل ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ أن معناه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت أحمد بن عاصم يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لامعين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليه[1] وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وقال النصراباذى التقوى أن يتقى العبد ما سواه تعالى وقال سهل من أراد أن تصح له

---

(١) (الصبر عليه) أى على العمل لأن الله تعالى يبتلى عبده أى يختبره بالمرض والعافية والفقر والغنى وغير ذلك فإن صبر على المشق المؤلم أثابه وإن شكر على النعم أثابه.

التقوى فليترك الذنوب كلها وقال النصر اباذى من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تعقِلُونَ ﴾ وقال بعضهم من تحقق فى التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا وقال أبو عبد الله الروذبارى التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله وقال ذو النون المصرى التقى من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفا مع الله موقف الاتفاق. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والإخلاص وقال ذو النون :

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر(١)

سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات ، وقال طلق بن حبيب التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمدا الفراء يحكى عن أبى حفص أنه قال التقوى بالحلال المحض لاغير وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا الحسين الزنجانى يقول من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه وقال الواسطى التقوى أن يتقى من تقواه يعنى من رؤية تقواه والمتقى مثل ابن سيرين اشترى أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لا أدرى فصبها كلها على الأرض ومثل أبى يزيد اشترى بهمذان حب القرطم ففضل منه شيء فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين فرجع إلى همذان فوضع النملتين . ويحكى أن أبا حنيفة

---

(١) (للذكر) فى نسخة بالذكر لأن العيش الطيب إنما يكون مع حياة القلب وحياته بزوال الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له « وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون » ، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله وإن صلحا معاً ووجد القلب من يقصد مقصده تظافرت الهمم على نيل المطلوب فهؤلاء القوم إذا وجدوا حملوا الضعيف بقوتهم وعاشت همته برؤيتهم ورؤية مجاهدتهم.

كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول قد جاء فى الخبر « كل قرض جر نفعا فهو ربا » وقيل إن أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه تعلق الثوب فى جدار الكرم فقال لا لاتغرز الوتد فى جدار الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال لا إنه يكسر الأغصان فقال نبسطه على الأذخر فقال لا إنه علف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر وقيل إن أبا يزيد دخل يوما الجامع فغرز عصاه فى الأرض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه فى الأرض فألقتها فانحنى الشيخ وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله وقال كان السبب فى انحنائك تفريطى فى غرز عصاى حيث احتجت إلى أن تنحنى ورؤى عتبة الغلام بمكان يتصبب عرقا فى الشتاء فقيل له فى ذلك فقال إنه مكان عصيت الله فيه فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل بها ضيف لى يده ولم أستحل من صاحبه وقال إبراهيم بن أدهم بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر إبراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال لم قال لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال فلم يردها على صاحبها قال إبراهيم فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى رد الله مكانه ورفعت درجته وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخاصة تقوى المعاصى وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال إذ تقواهم منه إليه وعن أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه قال سادة الناس فى الدنيا الأسخياء وسادة الناس فى الآخرة الأتقياء (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسين البصرى قال أخبرنا بشر بن موسى قال حدثنا محمد ابن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد

عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره فى أول مرة أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول كان الجنيد جالسا مع رويم والجريرى وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا إلا بصدق اللجا قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ وقال رويم ما نجا من نجا إلا بصدق التقى قال الله تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ الآية وقال الجريرى ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ وقال ابن عطاء ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [1] . (*وقال الأستاذ الإمام*) ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية ، وقال أيضا ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء قال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .



(١) (الله يرى) أى ما صدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه وهذه الأقوال الأربعة ناظرة إلى أسباب النجاة المكتسبة من العبد والثانى منها وهو قول رويم مستلزم بقية الأسباب .

بـــاب الـــورع [١]

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة قال حدثنا أحمد بن أبى طاهر الخراسانى قال حدثنا يحيى بن العيزار قال حدثنا محمد ابن يوسف الفريابى عن سفيان عن الأجلح عن عبد الله بن بريدة عن أبى الأسود الدؤلى عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (***قال الأستاذ الإمام رضى الله تعالى عنه***) أما الورع فإنه ترك الشبهات كذلك قال إبراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك مالا يعنيك هو ترك الفضلات [٢] وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام [٣] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى هريرة « كن ورعا تكن أعبد الناس ».. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول كان أهل الورع فى أوقاتهم أربعة حذيفة المرتعش ويوسف بن أسباط وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل وسمعته يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت الشبلى يقول الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى وسمعته يقول أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال حدثنا إسحق بن خلف قال الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة

(١) (الورع) هنا هو ترك الشبهات .

(٢) (الفضلات) أى الحلال وما لا تدعو إليه حاجة دينية ويقال له الزهد .

(٣) (فى باب من الحرام) لا سيما فى المطعم لخبر كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به والمراد بالسبعين المبالغة لا أصل العدد فى كثرة ترك الحلال ويحتمل إرادة العدد المخصوص كما قيل فى قوله تعالى إن تستغفر لهم سبعين مرة فإنه حتى لو استغفر لهم أكثر. من سبعين مرة فلن يغفر الله تعالى لهم .

والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة وقال أبو سليمان الداراني الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا وقال أبو عثمان ثواب الورع خفة الحساب وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محممد بن داود الدينوري يقول سمعت عبد الله بن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت على بن موسى التاهرتي يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له في ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى(١) وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الورع على وجهين ورع الظاهر وهو أن لا يتحرك إلا لله تعالى وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سواه تعالى وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء (٢). وقيل من دق في الدين نظره جل(٣) في القيامة خطره (٤) وقال ابن الجلاء من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام وقال يونس بن عبيد الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة وقال سفيان الثوري ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقال معروف الكرخي احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقال بشر بن الحارث أشد الأعمال ثلاثة الجوع في القلة والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من

---

(١) (كان عليه اسم الله تعالى) فيه تنبيه على كمال تعظيمه لربه حتى عظم ما عليه اسمه ومن ذلك ما حكى أن بشر بن الحارث إنما رفعه الله على أقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشترى طيبا وطيبها ورفعه في موضع فرأى في منامه أنه قيل له لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة أى كما طيبت اسمي.

(٢) (إلى الجليل من العطاء) لأن العبد إنما يشرف عند مولاه بعلو همته في طلبه لما يرضاه فمن دق نظره فيما يخشاه نال من فضل الله أشرف عطاياه ومن لا فلاشيء له من الخير.

(٣) (جل) عظم .

(٤) (خطره) أى قدره ومنزلته .

يخاف منه ويرجى وقيل جاءت أخت بشر الحافى إلى أحمد بن حنبل وقالت إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله تعالى فقالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فى شعاعها وقال على العطار مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحون من هؤلاء المشايخ فقال صبى من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم . وقيل إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى وقت الرطب قال يا أهل البصرة هذا بطنى ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لى دلو لشربت ، سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال وقيل إن بشر الحافى دعى إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب الدعوة أن يدعو هذا الشيخ (أخبرنا) أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى قال سمعت عبد الله بن على بن يحيى التميمى قال سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول سئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافى فقال هو الذى لا يعصى الله تعالى فيه وقال سهل الحلال الصافى الذى لا ينسى الله تعالى فيه ودخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاما من أولاد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له ما ملاك الدين فقال الورع قال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة وأوحى الله إلى موسى عليه السلام لم يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع والزهد وقال أبو هريرة جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم

فقبض على مشامه وقال إنما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين وسئل أبو عثمان الحيرى عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح فى السراج فقيل له فى ذلك فقال إلى الآن كان الدهن له فى المسرجة ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا غيره . وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكى عليه منذ أربعين سنة وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لى حتى غسل يده ولم أستحله[١] وقيل كان رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله[٢] أن البيت بالكراء ثم إنه خطر بباله أنه خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفاً يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من طول الحساب [٣] ورهن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سطلا له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين وقال خذ أيهما هو لك فقال أحمد أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا أردت أن أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل عنده [٤] . وكان سيب ابن المبارك له دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة فى زرع قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك من مرو إلى الشام فى قلم استعاره فلم يرده على صاحبه . واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فأخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة إلى الموضع الذى سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال إنما استأجرتها لأمضى هكذا لا هكذا . وقال أبو بكر الدقاق تهت فى تية بنى إسرائيل

---

(١) (ولم أستحله) أى قبل أخذى له فبكاؤه على أخذه مع علمه بتحريمه وترك الاستحلال قبل أخذه وفى ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقرة عند الناس.

(٢) (بباله) هنا أى بقلبه .

(٣) (من طول الحساب) فى ذلك تنبيه على رفعة منزلة هذا الرجل عند الله تعالى لكونه نبه هذا العبد فى مثل ذلك .

(٤) (وترك السطل عنده) تورعاً وتعريفاً له بأن أهل الدِّين والزهد لا يلتفتون لشىء من الدنيا ليتأدب بذلك ولا يمتحن أحداً .

خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلنى جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى وتألمت ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة العدوية شقا فى قميصها فى ضوء مشعلة سلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها. ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن فقال أى شيء أشد عليكم قالوا الورع فقال ولا شيء أخف على منه فقالوا فكيف فقال لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة فرؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين وتعبد أربعين سنة وكان ابتداء أمره كيالا فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال خيرا غير أنى محبوس عن الجنة وقد أخرج على من غبار القفيز أربعين قفيزا ومر عيسى ابن مريهما عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منها فأحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لإنسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به منذ مت وتكلم أبو سعيد الخراز فى الورع فمر به عباس بن المهتدى فقال يا أبا سعيد أما تستحى أن تجلس تحت سقف أبى الدوانيق وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل بالدراهم المزيفة وتتكلم فى الورع .



بـــاب الــزهــد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى قال أخبرنا أبو الحسن عبيد الله ابن أحمد بن يعقوب المقرى ببغداد قال حدثنا جعفر بن مجاشع قال حدثنا زيد بن إسماعيل قال حدثنا كثير بن هشام قال حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن أبى فروه عن أبى خلاد وكانت له صحبة قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً فى الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة » (***قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رحمه الله***) اختلف الناس فى الزهد فمنهم من قال الزهد فى الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى فإذا أنعم الله سبحانه على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه له باختياره لا يقدم على إمساكه له بحق إذنه ومنهم من قال الزهد فى الحرام واجب وفى الحلال فضيلة فإن إقلال المال والعبد صابر فى حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه فى الدنيا وأن الله تعالى زهد الخلق فى الدنيا بقوله ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ وغير ذلك من الآيات الواردة[1] . فى ذم الدنيا والتزهيد فيها ومنهم من قال إذا أنفق العبد ماله فى الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه فى حال العسر فحينئذ يكون زهده فى المال الحلال أتم ومنهم من قال ينبغى للعبد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويرعى القسمة فإن رزقه الله سبحانه وتعالى مالا من حلال شكره وإن وقفه الله تعالى

---

(١) (من الآيات الواردة .. إلخ) كقوله تعالى ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ وكخبر « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » وخبر البخارى « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض » وباقى الحديث « تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وخبر الترمذى « ما الدنيا فى الآخره إلا مثل مايجعل أحدكم أصابعه فى اليم فلينظر بماذا يرجع » وهو يدل لمن قال الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر .

على حد الكفاية لم يتكلف فى طلب ماهو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال (***وتكلموا فى معنى الزهد***) فكل نطق عن وقته وأشار إلى حده . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدثنا أحمد بن إسماعيل الأزدى قال حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي قال حدثنا الدورقى قال حدثنا وكيع قال قال سفيان الثورى الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء وسمعته يقول سمعت سعيد بن أحمد يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى السقطى يقول إن الله سبحانه سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم . وقيل الزهد من قوله سبحانه : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها . وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالى بمن أخذها سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الزهد أن تترك الدنيا كما هى لا تقول ابنى بها رباطاً أو أعمر مسجداً وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينك فيسهل عليك الإعراض عنها وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك وقال أيضا الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدى من الأملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة وقيل من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة. ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدها . وقال الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد وقال أبو سليمان الدارانى الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقد اختلف السلف فى الزهد فقال سفيان الثورى وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم الزهد فى الدنيا إنما هو قصر الأمل وهذا الذى قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له وقال عبد الله بن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر

وبه قال شقيق البلخى ويوسف بن أسباط وهذا أيضا من أمارات الزهد فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله تعالى وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم.. وقال أبو سليمان الدارانى الزهد ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول وقد سأله رويم عن الزاهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وقال سرى لا يطيب عيش الزهد إذا اشتغل عن نفسه(١). ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وسئل الجنيد عن الزهد فقال خلو اليد من الملك والقلب من التتبع . وسئل الشبلى عن الزهد فقال أن تزهد فيما سوى الله تعالى ، وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة ، وقال أبو حفص الزهد لا يكون إلا فى الحلال ولا حلال فى الدنيا فلا زهد ، وقال أبو عثمان إن الله تعالى يعطى الزاهد فوق ما يريد ويعطى الراغب دون ما يريد ويعطى المستقيم موافقة ما يريد ، وقال يحيى بن معاذ . الزاهد يسعطك الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر ، وقال الحسن البصرى : الزهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها . وقيل لبعضهم : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : ترك ما فيها على من فيها .

وقال رجل لذى النون المصرى : متى أزهد فى الدنيا ؟ فقال إذا زهدت فى نفسك : وقال محمد بن الفضل : إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار الفتيان عند الحاجة ، قال الله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ، وقال الكتانى : الشىء الذى لم يخالف فيه كوفى ولا مدنى ولا عراقى ولا شامى الزهد فى الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة للخلق يعنى أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير

(١) (إذا اشتغل عن نفسه) بغيرها من شهواتها الدنيوية لأن شغله بنفسه إنما هو بإعراضها عن محبوباتها الدنيوية فإذا عدل عنها إلى غيرها فقد اشتغل عنها وعن أعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد فى شىء من الدنيا وبقى عليه شىء لم يزهد فيه لم يكمل زهده بل هو ناقص الزهد ولذلك لما سئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التنعم بمص نواة قال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم وأشار به إلى من بقى عليه ماذكر .

محمودة . وقال رجل ليحيى بن معاذ متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم وقال بشر الحافى الزهد ملك لا يسكن إلا فى قلب مخلى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت محمد بن محمد بن الأشعث البيكندى يقول من تكلم فى الزهد ووعظ الناس ثم رغب فى مالهم رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه وقيل إذا زهد العبد فى الدنيا وكل الله تعالى به ملكا يغرس الحكمة فى قلبه وقيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا فقال لزهدها فى . وقال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قيل لبعضهم لم زهدت فى الدنيا قال لما زهدت فى أكثرها أنفت من الرغبة فى أقلها وقال يحيى بن معاذ : الدنيا كالعروس المجلوة ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله تعالى لا يلتفت إليها ، سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب السامرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مارست كل شىء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد فى الناس فإنى لم أبلغه ولم أطقه وقيل ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم لأنهم تركوا النعيم الفانى للنعيم الباقى وقال النصراباذى الزهد حقن دماء الزاهدين وسفك دماء العارفين وقال حاتم اللأصم الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه .. سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا على بن الحسين الموصلى قال حدثنا أحمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد.

  

بـــاب الصمـــت[١]

أخبـرنا عـبد الله[٢] بن يوسف الأصبـهانـى قال حـدثنا أبو بكر مـحـمـد بن الحسين القطان قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفـه ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خـيرا أو ليصمت » (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بشر بن موسى الأسدى قال حدثنا محمد بن سعيد الأصبهانى عن ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن زحـر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامـة عن عـقبـة بن عـامر قـال قلت يارسول الله ما النجاة قال « احفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » ..

(***قال الأستاذ رحمه الله***) الصمت سلامة وهو الأصل وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجـر فالواجب أن يعتـبر فيـه الشرع والأمر والنهى والسكوت فى وقتـه صـفة الرجال كما أن النطق فى موضعه من أشرف الخصال . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس والصمت من آداب الحـضرة قـال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .. وقال تعالى خبـرا عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليـه وآله وسلم ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾ وكم بين عبد سكت تصاونا عن الكذب والغيبة وبين عبد سكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه

---

(١) (الصمت) يقال صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا أى سكت يسكت سكوتا وسكاتا.

(٢) (إخبرنا عبد الله .. إلخ) رواه الشيخان دل على أن المقصود من الكلام قول الخير فإن لم يعلم العبد أن فى كلامه خيرا فالصمت خير له وقد قال تعالى : ﴿ لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ . وسئل صلى الله عليـه وآله وسلم فيم النجاة فقال « فى حفظ اللسان » وروى الترمذى خبر « من صمت نجا» .

وفى معناه أنشدوا :

أفكر ما أقول إذا افترقنا ... وأحكم دائبا حجج المقال
فأنساها إذا نحن التقينا ... فأنطق حين أنطق بالمحال

وأنشدوا :

فيا ليل كم من حاجة لى مهمة ... إذا جئتكم لم أدر ياليل ماهيا

وأنشدوا :

كم حديث لك حتى إذا ... مكنت من لقياك أنسيته

وأنشدوا :

رأيت الكلام يزين الفتى ... والصمت خير لمن قد صمت
فكم من حروف تجر الحتوف ... ومن ناطق ود أن لو سكت

(***والسكوت على قسمين***) سكوت بالظاهر وسكوت بالقلب والضمائر فالمتوكل يسكت قلبه عن تقاضى الأرزاق والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق فهذا بجميل صنعه واثق وهذا بجميع حكمه قانع وفى معناه قالوا :

تجرى عليك صروفه ... وهموم سرك مطرقة

وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة فإنه إذا ورد كشف عن وصف البغتة خرست العبارات عند ذلك فلا بيان ولا نطق وطمست الشواهد هناك فلا علم ولا حس قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا ﴾ فأما إيثار أرباب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات ثم ما فيه من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق وغير هذا من آفات الخلق وذلك نعت أرباب الرياضات وهو أحد أركانهم فى حكم المنازلة وتهذيب الخلق وقيل إن داود الطائى لما أراد أن يعقد فى بيته اعتقد أن يحضر مجالس أبى حنيفة إذ كان تلميذا له ويعقد بين أقرانه من العلماء ولا يتكلم فى مسألة فلما قوى

نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك وآثر العزلة وكان عمر بن عبد العزيز إذا كتب كتابا فاستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول أخبرنا عبد الله بن محمد الرازى قال حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال سمعت أحمد بن الفتح يقول سمعت بشر بن الحارث يقول إذا أعجبك الكلام[١] فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم وقال سهل بن عبد الله لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت وقال أبو بكر الفارسى من لم يكن الصمت وطنه فهو فى الفضول وإن كان صامتاً[٢] والصمت ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت فإذا نطق نطق بلغو . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد الدينورى يقول الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر. وسئل أبو بكر الفارسى عن صمت السر فقال ترك اشتغال بالماضى والمستقبل وقال أبو بكر الفارسى إذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لا بد منه فهو فى حد الصمت ويروى عن معاذ بن جبل أنه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك تعالى كثيرا لعل قلبك يرى الله تعالى وقيل لذى النون من أصون الناس لنفسه قال أملكهم للسانه وقال ابن مسعود مامن شيء يطول السجن أحق من اللسان وقال على بن بكار جعل الله تعالى لكل شيء بابين وجعل للسان أربعة أبواب فالشفتان مصراعان والأسنان مصراعان وقيل إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان يمسك فى فيه حجرا كذا وكذا سنة ليقل كلامه وقيل إن أبا حمزة البغدادى كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فأحسنت بقى أن تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات ومات قريبا

---

(١) (إذا أعجبك الكلام .. إلخ) لأن فى ذلك مخالفة لهوى النفس وردا لها عن هواها وإعجابها بإحداهما يكون إما لاستحسانها للشيء ولو كان ما استحسنته لا يخالف الشرع لكنها يحملها الشرع به عما هو أولى منه أو لإضافة ما استحسنه إليها ألفها ومدحها عليه ونسى كونه من فضل الله.

(٢) (وإن كان صامتا) بلسانه لأنه تارة يشير إلى مقصوده بيده وتارة بعينه وتارة يغيرهما كما مر ولهذا قال والصمت .. إلخ .

من هـذه الحـالة على رأس أسبـوع أو أقـل أو أكـثـر وربمـا يكون السكوت يقـع علــى المتكلم [١] تأديباً له لأنه أساء أدبه في شيء كان الشبلى إذا قعد فى حلقته ولا يسألونه يقول ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وربما يقع السكوت على المتكلم لأن فى القوم من هو أولى منه بالكلام سمعت ابن السمـاك يقول كان بين شاه الكرمانى ويحيى ابن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له فى ذلك فقال الصواب هذا فمازالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ فلما أخذ يحيى فى الكلام سكت ثم قال ههنا من هو أولى بالكلام منى وارتج عليه فقال شاه قلت لكم الصواب أن لا أحضر مجلسه وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى فى الحاضرين وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم أن بعض الحاضرين كان معلوم الله تعالى من حاله أنه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أو لأنه يحمل نفسه ما لا يطيق [٢] . فيرحمه الله تعالى بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أوعصمة عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فإن جماعة من الجن قد استحلوا كلامك ويحضرون مجلسك فلأجلهم تجلس ههنا . وقال بعض الحكماء إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول [٣] . ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس أخذوا فى الغيبة فقال عندنا

(١) (يقع على المتكلم) أى يطلب من المتكلم .

(٢) (مالا يطيق) بأن يكون بحيث لو سمعه لثارت فى قلبه أحوال قد تكون سبب ضرره وهلاكه أضعفه عن حمل مايرد عليه .

(٣) (أكثر مما يقول) أى فينبغى أن يكون كلامه أقل من سماعه ورؤيته ولذلك حكمة احتاج إلى أن يسمع ويرى من جهتيه تفضل عليه الحق بعينين وأذنين وأما اللسان =

يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إلى قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ . وقال بعضهم الصمت لسان الحلم وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك . وقيل عفة اللسان صمته . وقيل مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ، وسئل أبو حفص أى الحالين للولى أفضل الصمت أو النطق فقال لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعفى عمر نوح حتى ينطق [١] وقيل صمت العوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم وقيل لبعضهم تكلم فقال ليس لى لسان فأتكلم فقيل له اسمع فقال ليس فى مكان فأسمع . وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لسانى إلا من قلبى ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى إلا من لسانى . وقال بعضهم لو سكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ولو صرت رميما لم تتخلص من حديث نفسك ولو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك لأنها كاتمة للسر . وقيل لسان الجاهل مفتاح حتفه وقيل المحب إذا سكت هلك والعارف إذا سكت ملك . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه [٢].



فترجمان عما فى الضمير فلا يحتاج إلى تعدده .

(١) (حتى ينطق) ليهتدى إلى الخير .

(٢) (إلا فيما يعنيه) أى يحتاج إليه حاجة شديدة.

بـــاب الخــوف

قـال الله تعالــى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (أخبرنـا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى العدل قال أخبرنا أبو بكر محمد بن دلوية الدقاق قال حدثنا محمــد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبى الفـرات قال حدثنا المسعودى عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبدا » . (حدثنا) أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجانى قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن الحسين بن الشرفى قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال حدثنا شعبة قال حدثنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » (قلت) الخوف معنى متعقله فى المستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكن هذا إلا لشىء يحصل فى المستقبل فأما ما يكون فى الحال موجودا فالخوف لا يتعلق به والخوف من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ ومدح المؤمنين بالخوف فقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ، سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول الخوف [1] . على مراتب الخوف الخشية والهيبة فالخوف من شرط الإيمان وقضيته قال الله تعالى ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ والخشية من شرط العلم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ والهيبة من شرط المعرفة قال الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [2] .

---

(١) (الخوف) أى مطلقه .

(٢) (ويحذركم الله نفسه) لما كان العارفون مشغولين بربهم عمن سواه حذرهم من نفسه ولم يذكر شيئاً من عذابه وبما قاله علم أن الخوف يطلق على الثلاثة وأن الخوف الثانى =

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على الحيرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقود به الشاردين عن بابه وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب (قال رحمه الله) ورهب وهرب يصح أن يقال إنهما واحد مثل جذب وجبذ فإذا هرب انجذب فى مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف .. سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول سمعت أبا عمر الدمشقى يقول الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلاد الخائف من تأمنه المخوفات وقيل ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه وقيل للفضل ما لنا لا نرى خائفا فقال لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين إن الخائف لا يرى إلا الخائفون وإن الثكلى هى التى تحب أن ترى الثكلى . وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة وقال شاه الكرمانى علامة الخوف الحزن الدائم وقال أبو القاسم الحكيم من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه .. وسئل ذو النون المصرى رحمه الله تعالى متى يتيسر على العبد سبيل الخوف فقال إذا أنزل نفسه منزلة السقيم يحتمى من كل شيء مخافة طول السقام وقال معاذ بن جبل إن المؤمن لا يطمئن قلبه

= أخص من الأول ونظيره الهبة تنقسم إلى هبة وهدية وصدقة كما هو مقرر فى محله وهذا لا ينافى قول بعضهم الخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم جامع لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وفسر بعضهم الخشية بأنها خوف مقترن بتعظيم وبذلك فسرت قراءة ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ برفع اسم الله ونصب العلماء بأن جعل اسم الله تعالى فاعلا والعلماء مفعولا فالخشية هنا بمعنى التعظيم أى إنما يعظمه الله من عباده العلماء لا الخشية المعروفة بمعنى الخوف.

ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه.. وقال بشر الحافى الخوف من الله ملك لا يسكن إلا فى قلب متق قال أبو عثمان الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفى وقال الواسطى الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد وهذا اللفظ فيه إشكال ومعناه أن الخائف متطلع لوقت ثان وأبناء الوقت لا تطلع لهم فى المستقبل وحسنات الأبرار سيئات المقربين . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن على النهاوندى يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت النووى يقول الخائف يهرب من ربه إلى ربه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب. سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن إبراهيم العكبرى يقول سمعت الجنيد يقول وسئل عن الخوف فقال هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول ما فارق الخوف قلبا إلا خرب وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول سمعت أبا عثمان يقول صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً وقال ذو النون الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الأصم لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف الأمل وقال رجل لبشر الحافى أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله عز وجل شديد.. وسمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول دخلت على الإمام أبى بكر بن فورك عائداً فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له إن شاء الله تعالى يعافيك ويشفيك فقال لن ترانى أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن عثمان قال حدثنا القاسم بن محمد قال حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عاشة رضى الله تعالى عنها قالت « يارسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » وقال ابن المبارك الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلوب دوام المراقبة فى السر والعلانية (١) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت

محمد بن الحسن يقول سمعت أبا القاسم بن أبى موسى يقول حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا على الرازى قال سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك ، وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الأحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب(٢) . وقال أبو سليمان الدارانى ينبغى للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب ثم قال يا أحمد بالخوف ارتفعوا فإن ضيعوه نزلوا . وقال الواسطى الخوف والرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعونتها . وقال الواسطى إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف (***قال الأستاذ أبو القاسم***) وهذا فيه إشكال ومعناه إذا اصطلمت شواهد الحق تعالى الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية وقال الحسين بن منصور من خاف من شىء سوى الله عز وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شىء وسلط عليه المخافة وحجبه بسبعين حجابا أيسرها الشك وإن مما أوجب شدة خوفهم فكرهم فى العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ فكم من مغبوط فى أحواله انعكست عليه الحال ومنى بمفارقة قبيح الأفعال فبدل بالأنس وحشة وبالحضور غيبة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله ينشد كثيراً :

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

---

(١) (دوام المراقبة فى السر والعلانية) إذ الحامل على دوامها إنما هو قوة الخوف من لحوق الضرر فيتوالى الخوف على القلب تحصل المراقبة وعلامة سكون الخوف فى القلب تواليه فيه حتى يصير كأنه ساكن فإن الأعراض لا بقاء لها .

(٢) (من جلال الرب) وعظمته فمتى استشعر القلب نظر الرب إليه فى حالته التى هو فيها وإن كانت أفضل عباداته اضطرب قلبه واقشعر جلده ووجل كما قال تعالى: ﴿ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ .

وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربى يقول كان رجلان اصطحبا في الإرادة برهة من الزمان ثم إن أحدهما سافر وفارق صاحبه وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه خبرا فبينا هذا الآخر كان فى غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح يطلب المبارزة فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومى ثم خرج آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج إليه هذا الصوفى وتطاردا فحسر الرومى عن وجهه فإذا هو صاحبه الذى صحبه فى الإرادة والعبادة سنين فقال له إيش الخبر فقال إنه ارتد وخالط القوم وولد له أولاد واجتمع له مال فقال له وكنت تقرأ القرآن بقراءات كثيرة فقال لا أذكر منه[١] . حرفا فقال له هذا الصوفى لا تفعل وارجع فقال لا أفعل فلى فيهم جاه ومال فانصرف أنت وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك فقال له هذا الصوفى اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة فى الانصراف فانصرف أنت وأنا أمهلك فرجع الرجل موليا فتبعه الصوفى وطعنه فقتله فبعد تلك المجاهدات ومقاسات تلك الرياضيات قتل على النصرانية وقيل لما ظهرعلى إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله تعالى إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب لا نأمن من مكرك فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكرى. ويحكى عن السرى السقطى أنه قال إنى لأنظر إلى أنفى فى اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد استود لما أخافه من العقوبة وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى أن الله تعالى ينظر إلى نظر السخط وأعمالى تدل على ذلك . وقال حاتم الأصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم عليه السلام فيها ما لقى ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام [٢] . كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى [٣]. ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينتفع

---

(١) (منه) بمعنى عنه إذ حروف الجر تتبادل.

(٢) (بلعام) ويقال بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيل .

(٣) (فانظر ماذا لقى) حيث كفر وصار مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه =

بلقائه أقاريه وأعدائه وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إنى اجترأت البارحة على الله عز وجل سألته الجنة [١] . وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحى بنى إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع غدا بينى وبين ذلك العاصى فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إنى قد استجبت دعاءهما جميعاً رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم . وقال ذو النون المصرى قلت لعليم لم سميت مجنوناً قال لما طال حبسى عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه فى الآخرة وفى معناه أنشدوا :

لو أن مابى على صخر لأنحله فكيف يحمله خلق من الطين

وقال بعضهم ما رأيت رجلا أعظم رجاء لهذه الأمة ولا أشد خوفا على نفسه من ابن سيرين [٢] . وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت أن فى الحنيفية مثله . وسئل الشبلى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لأنها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه لأنه يخاف المقام فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق . ويحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال سألت ربى عز وجل أن يفتح على بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلى فقلت يارب أعطنى على قدر ما أطيق فسكن ذلك عنى.

= يلهث مع اندلاع لسانه على صدره.

(١) (سألته الجنة) وأنا حقير فى نفسى ولا تصلح أحوالى لسؤالها وكان حقى أن أستعيذ به من النار .

(٢) (من ابن سيريين) حيث نظر إلى عمله بعين النقص وحسن ظنه بالمسلمين فرجا لهم العفو عما يقع منهم.

بـــاب الرجـــاء

قـال الله تعالــى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾ . أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال أحبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عمرو بن مسلم الثقفى قال: حدثنا الحسن بن خالد قال حدثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر يرحمك الله تعالى زودنى زودك الله تعالى قال نعم حدثتنى عمتى أم الدرداء عن أبى الدرداء عن نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام قال : « قال ربكم عز وجل عبدى ما عبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيئا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بمثلها مغفرة فأغفرلك ولا أبالى ». أخبرنا على بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا بسر بن موسى قال حدثنا خلف بن الوليد قال حدثنا مروان بن معاوية الفزارى قال حدثنا أبو سفيان طريف بن عبد الله بن الحارث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ، ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ثم يقول وعزتى وجلالى لا أجعل من آمن بى ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بى » الرجاء تعلق القلب بمحبوب[١] . سيحصل فى المستقبل[٢] .وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمنى أن التمنى يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود التمنى معلول وتكلموا فى

---

(١) (بمحبوب) من جلب نفع أو دفع ضر ودفع الضر أولا .

(٢) (فى المستقبل) وذلك بأن يغلب على القلب الظن بحصوله فى المستقبل .

(٣) (حسن الطاعة) ومن المعهود فى أعمال الدنيا أن من وضع حبة فى أرض طيبة قد رويت قوى رجائه وظنه بحصول مطلوبه وعكسه من وضع حبة فى أرض سبخة =

الرجاء فقال شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة[١] . وقال ابن خبيق الرجاء ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة والثالث الرجل الكاذب يتمادى فى الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغى أن يكون خوفه غالباً على رجائه وقيل والرجاء ثقة الجود من الكريم الودود وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل هو قرب القلب[١] من ملاطفة الرب وقيل سرور الفواد بحسن المعاد وقيل هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت. وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن أبى حاتم يقول سمعت على بن شهمرذان يقول قال أحمد بن عاصم الأنطاكى وسئل ما علامة الرجاء فى العبد قال أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله تعالى عليه فى الدنيا وتمام عفوه فى الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله وقال ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة . وسمعته يقول حدثنا أبو العباس البغدادى قال حدثنا الحسن بن صفوان قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك فقال ما أدرى ما أقول لكم غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على

= فى زمن الصيف وقال الله قادر على أن ينبته فيها وهذا القول وإن كان صحيحاً لكن المتبع ما أجراه الله من عادته فى خلقه فاتخذ فى الأسباب تسلم .

(١) (قرب القلب .. إلخ) هذا قريب مما قبله وفيه إشارة إلى الحضور ودوام العلم بتوالى نعم الله على العبد.

الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزع فقال لا تشغلونى فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى وقال يحيى بن معاذ إلهى أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك وأحب الساعات إلىّ ساعة يكون فيها لقاؤك وفى بعض التفاسير « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أصحابه من باب بنى شيبة فرآهم يضحكون فقال أتضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ثم مر ثم رجع القهقرى وقال نزل علىّ جبريل عليه السلام وأتى بقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ » (أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا عباس بن تميم قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسد عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبى وأمى يا رسول الله أو يضحك ربنا عز وجل فقال والذى نفسى بيده إنه ليضحك فقالت لا يعدمنا خيرا إذا ضحك »(١). واعلم أن الضحك فى وصفه من صفات فعله وهو إظهار فضله كما يقال ضحكت الأرض بالنبات وضحكه(٢). من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذى هو ضعف انتظارهم له وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال له إن أسلمت أضفتك فقال المجوسى إذا أسلمت فأى منة تكون لك علىّ فمر المجوسى فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم

---

(١) (لا يعدمناخيرا إذا ضحك) إذا ضحك علامة الرضا وبذلك علم أنه تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة فمن أطاعه فبركة طاعته عائدة عليه ومن عصاه فشؤم معصيته راجع إليه فإن تاب عنها فلا ييأس من رحمة الله فإن أيس منها فهو جاهل وضحك الله تعالى ممن ييأس لأنه أتى بشىء عجيب وهو غفلته عن سعة رحمة الله أو جهله واعتقاده أن معصيته يرجع إلى ربه منها شىء وذلك من المستحيلات فضحك ربه مقابلة له بضد حاله فإنه لما أيس من رحمته أسبغها عليه لاسيما بعد توبته .

(٢) (وضحكه) الأولى فضحكه تعالى .

لم تطعمه إلا بتغييره دينه ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا عليك فمر إبراهيم عليه السلام خلف المجوسى وأضافه فقال له المجوسى إيش كان السبب فى الذى بدا لك فذكر له ذلك فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى ثم قال أعرض علىّ الإسلام فأسلم . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاج فى النوم وكان يقول أبو عبد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا . سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة حسنة لا توصف فقلت له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنى بربى ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قدمت على ربى عز وجل بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى به تعالى . وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هو خير منهم وإن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا وإن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفراينى قال أخبرنا يعقوب بن إسحق قال حدثنا على بن حرب قال حدثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك وقيل كان ابن المبارك يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلا يقول ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ فأمسك فلما سلم المجوسى قال له لم أمسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال له المجوسى نعم الرب رب يعاتب وليه فى عدوه فأسلم وحسن إسلامه وقيل إنما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوا وقيل لو قال لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط كما أنه لما قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ لم يشرك مسلم قط ولكن لما قال ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ طمعوا فى مغفرته .

ويحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو

المطاف لى فكانت ليلة ظلماء فيهامطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول فيه اللهم أعصمنى اللهم أعصمنى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن أدهم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فإذا عصمتكم فمن أرحم . وقيل رأى أبو العباس[١] بن شريح فى منامه فى مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيم علمتم قال فقلنا يارب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت أى تغفر مادونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال . وقال كان رجل شريب[٢] . جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلام له [٣] أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع له الغلام الدراهم[٤] . فقال منصور ما الذى تريد أن أدعو لك به فقال لى سيد أريد أن أتخلص منه فدعا لى منصور وقال ما الأخرى فقال أن يخلف الله تعالى على دراهمى فدعا ثم قال وما الأخرى فقال أن يتوب الله على سيدى فدعا قال وما الأخرى فقال أن يغفر الله تعالى لى ولسيدى ولك وللقوم فدعا منصور بذلك فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال له وبم دعا فقال سألت لنفسى العتق فقال اذهب فأنت حر وإيش الثانى فقال أن يخلف الله على الدراهم فقال لك أربعة آلاف درهم فقال وإيش الثالث فقال أن يتوب الله عليك فقال تبت إلى الله تعالى فقال وإيش الرابع فقال أن يغفر الله تعالى لك ولىّ وللقوم فقال

(١) (وقيل رأى أبو العباس .. إلخ) فيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التى أشار إليها وعلى بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجى له المغفرةومن اعترف بذنبه واستغفر غفر له ربه .

(٢) (شريب) أى كثير الشرب للخمر .

(٣) (غلام له) وكان صالحا ينكر عليه ذلك .

(٤) (فدفع له الغلام الدراهم) لأنه رأى أن سيده يرضى بذلك أو رأى أن هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والألم من سيده حتى لا يقع فى هذا المنكر الشديد وظن منصور أنه مالك الدراهم .

هذا الواحد ليس إلى فلما بات رأى فى المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك ترانى لا أفعل ما إلى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين وقيل حج رياح القيسى حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب إلهى وهبت من حجاتى كذا وكذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعشرة منها لأصحابه العشرة وثنتين لوالدى والباقى للمسلمين ولم يحبس منها شيئاً لنفسه فسمع هاتفاً يقول هو ذا يتسخى علينا لأغفرن لك ولأبويك ولمن شهد شهادة الحق وروى عن عبد الوهاب ابن عبد المجيد الثقفى إنه قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك فقالت ابنى فقلت أو لم يكن لكم جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت مخنثاً قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لى فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى عز وجل باحتقار الناس إياى.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول مر أبو عمرو البيكندى يوما بسكة فرأى قوما أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل إنها أمه فرحمها أبو عمرو وتشفع له إليهم وقال هبوه منى هذه المرة فإن عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد إلى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لا تخبرى بموتى الجيران فلقد آذيتهم وإنهم يشمتون بى ولا يحضرون جنازتى وإذا دفنتينى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله فادفنيه معى فإذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى عز وجل قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم. وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم إنى لم أخلقهم لأربح عليهم وإنما خلقتهم ليربحوا على.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن

عبد الله بن شاذان يقـول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت إبراهيم الأطروش يقـول كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخى على الدجلـة إذ مر بنا قـوم أحداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقلنا لمعروف أما تراهـم كيف يعصون الله تعالـى مجاهرين ادع الله تعالى عليهم فرفع يده وقال إلهى كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة فقالوا [١] إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم .. سمعت أبا الحسن بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكى قال حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الأديب قال حدثنـا الفضـل بن صدقة قـال حدثـا أبو عـبـد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضى صديقاً لى وكان يودنى وأوده فمات يحيى فكنت أشتهى أن أراه فى المنام فأقول له ما فعل الله تعالى بك فرأيتـه ليلة فى المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك قال غفر لى إلا أنه وبخنى ثم قال لى يا يحيى خلطت على فى دار الدنيا فقلت أى رب اتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك قلت « إنى لأستحى أن أعذب ذا شيبة بالنار » فقال قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيى إلا أنك خلطت على فى دار الدنيـا .



(١) (فقالوا .. إلخ) وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهونه فيحصل مطلوبكـم من الدعـاء عليهم وهـذا من كمال المعرفة والسياسـة فى تغيير المنكر الذى لا يتمكن العبد من إزالته لقوة الجاه والسطوة فسـلك معروف فى إزالته مسلك السؤال وطلب الفضـل من الله بأن يغير أحوالهم عما هى عليه لأنه تعالـى الفاعل بهـم ماهم فيـه فقال اللهم كمـا فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة فأعلمهم بذلك أن التغيير فى هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة وما أمل ما فعل وهكذا يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خشونة ولا استعلاء.

بـــاب الحـــزن

قـال الله عــز وجــل : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾

(أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا على بن حبيش قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا أسامة بن زيد الليثى عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سمعت عطاء بن يسار قال سمعت أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ما من شيء يصيب العبد المؤمن من وصب أو نصب أو حزن أو ألم يهمه إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته». الحزن حال يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل السلوك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفى الخبر « إن الله تعالى يحب كل قلب حزين » وفى التوراة إذا أحب الله عبداً جعل فى قلبه نائحة وإذا أبغض عبداً جعل فى قلبه مزماراً وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان متواصل الأحزان دائم الفكره ، وقال بشر بن الحرث الحزن ملك فإذا سكن فى موضع لم يرض أن يساكنه أحد وقيل القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال أبو سعيد القرشي بكاء الحزن يعمي وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى .. قال الله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ وقال ابن خفيف الحزن حصر النفس عن النهوض فى الطرب وسمعت رابعة العدوية رجل يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس وقال سفيان بن عيينة لو أن محزونا بكى فى أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببكائه وكان داود الطائى الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل إلهى همك عطل على الهموم وحال بينى وبين الرقاد وكان يقول كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب فى كل وقت وقيل الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل فقال بكثرة أنينه .

و قال سرى السقطى وددت أن حزن كل الناس ألقى على وتكلم الناس فى الحزن فكلهم قالوا إنما يحمد حزن الآخرة وأما حزن الدنيا فغير محمود إلا أبا عثمان الحيرى فإنه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن مالم يكن بسببه معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً . وعن بعض المشايخ أنه إذا كان سافر واحد من أصحابه يقول له إن رأيت محزوناً فأقرئه منى السلام .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على محزون . وكان حسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة وقال وكيع لما مات الفضيل ذهب الحزن اليوم من الأرض وقال بعض السلف أكثر ما يجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات الهم والحزن ، سمعت أبا عبد الرحمن الشيرازى يقول سمعت على بن بكران يقول سمعت محمد بن على المروزى يقول سمعت أحمد ابن أبى روح يقول سمعت أبى يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف يقولون إن على كل شىء زكاة وزكاة العقل طول الحزن سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت أبا عثمان الحيرى يوماً عن الحزن فقال الحزين(١) لا يتفرغ إلى سؤال الحزن فاجتهد فى طلب الحزن ثم سل (٢).



---

(١) (فقال الحزين .. إلخ) أى وأنت تسأل عنه فأنت فارغ ولولا فراغك منه لما سألت عنه .

(٢) (ثم سل) أى ثم بعد اجتهادك فى طلبه سل عنه ثم بعد حصول كماله لاسؤال لأن كمال الحزن يشغلك عن السؤال عنه .

بـــاب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ثم قال فى آخر الآية : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ بشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع وقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١).

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبد الله بن أيوب قال حدثنا أبو الوليد الطيالسى قال حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفرانى قال حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك أنه حدثه قال « جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها بكسره خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الكسره يا فاطمة قالت قرصاً خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » وفى بعض الروايات جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها بقرص شعير ولهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة فى الجوع وكثرت الحكايات عنهم فى ذلك .. سمعت محمد بن أحمد ابن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت ابن سالم يقول أدب الجوع أن لا ينقص من عادته إلا مثل أذن السنور وقيل كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا فى كل خمسة عشر يوما فإذا أدخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع فى السوق لما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره ..

---

(١) (خصاصة) أى حاجة إلى ما يؤثرون به وفى ذلك مدح على الجوع وترك الشهوة فهما مطلوبان وقد طلبا صريحا فى الصوم وروى الترمذى خبر « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ومن ثم كان التقليل من الدنيا ممدوحا .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال حدثنا على بن الحسين الأرجانى قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصطخرى بمكة حرسها الله تعالى قال قال سهل بن عبد الله لما خلق الله تعالى الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل وجعل فى الجوع العلم والحكمة. وقال يحيى بن معاذ الجوع للمريد رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول دخل بعضهم على بعض الشيوخ فرآه يبكى فقال له مالك تبكى قال إنى جائع قال ومثلك يبكى من الجوع فقال اسكت أما علمت أن مراده من جوعى أن أبكى . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا داود بن معاذ قال سمعت مخلدا يقول كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله وسمعته يقول سمعت أبا بكر الغزالى يقول سمعت محمد بن على يقول سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول دخل أبو تراب النخشبى من بادية البصرة مكة حرسها الله تعالى فسألناه عن أكلة فقال خرجت من البصرة وأكلت بنباج (١) . ثم بذات عرق ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين وسمعته يقول حدثنا على بن النحاس المصرى قال حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت عبد العزيز بن عمير يقول تجوع صنف من الطير أربعين صباحا ثم طاروا فى الهواء فرجعوا بعد أيام فكان يفوح منهم رائحة المسك وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوى وإذا أكل شيئا ضعف . وقال أبو عثمان المغربى الربانى لا يأكل فى أربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على العلوى يقول سمعت على بن إبراهيم القاضى بدمشق يقول سمعت محمد بن على ابن خلف يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول

---

(١) (بنباج) بكسر النون قرية بالبادية أحياها عبد الله بن عامر قاله الجوهرى فى صحاحه.

مفتاح الدنيـا الشبع [١] . ومفتاح الآخرة الجوع [٢] . سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت على بن الحسين الأرجانى يقول سمعت أبا محمد الإصطخرى يقول سمعت سهل بن عبد الله وقيل له الرجل يأكل فى اليوم أكلة فقال أكل الصديقين قال فأكلتين قال أكل المؤمنين قال فثلاثة قال قل لأهلك يبنون لك معلفا [٣] . . وسمعته يقول حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا أبو بكر السائح قال سمعت يحيى بن معاذ يقول الجوع نور [٤] . والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول دخل يوماً رجل من الصوفية على شيخ فقدم إليه طعاما ثم قال له مذ كم يوماً تأكل فقال مذ خمسة أيام فقال له جوعك جوع بخل عليك ثياب وأنت تجوع ليس هذا جوع فقر .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازى يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول قال أبو سليمان الدارانى لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من أن أقوم الليل إلى آخره .. وسمعته يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازى يقول اشتهى أبو الخير العسقلانى السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه فذهبت فى ذلك يده فقال يارب هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوه إلى حرام . سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك يقول شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال فما ظنك بقضية شهوة الحرام . سمعت رستم الشيرازى الصوفى يقول كان أبو عبد الله بن خفيف فى دعوة فمد واحد من أصحابه يده إلى

---

(١) (مفتاح الدنيا الشبع) لأنه يحرك شهوته التى منها شهوة الفرج والعبد إذا تزوج وسلم من الفساد كثرت كلفته وإن جاءه أولاد فقد حصلت عنده الأعداء وتوالت جهات الفساد قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

(٢) (الجوع) لأن يحرك للطاعة .

(٣) (معلفاً) مكان علف الدواب شبهه بالدواب التى لا همة لها إلا فى كثرة الأكل والشرب التى هى سبب قلة الفهم .

(٤) (الجوع نور) لأنه يسوق إليه بتفرغ القلب للخيرات .

الطعام قبل الشيخ لما كان به من الفاقة فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكروا عليه لسوء أدبه حيث مد يده إلى الطعام قبل الشيخ فوضع شيئا بين يدى هذا الفقير فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه فاعتقد أن لا يأكل خمسة عشر يوما عقوبة لنفسه وتأديباً لها وإظهار التوبة من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث قال حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول من غلب شهوات الدنيا فذلك الذى فرق الشيطان من ظله . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول إذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن بعض المشايخ أنه قال إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم فلذلك افتضحوا [١] .. وسمعته يقول قيل لبعضهم ألا تشتهى فقال أشتهى ولكن أحتمى قال وقيل لبعضهم ألا تشتهى فقال أشتهى أن لا أشتهى وهذا أتم [٢] .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أحمد بن منصور قال أخبرنا ابن مخلد قال حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال سمعت أبا نصر التمار يقول أتانى بشر ليلة فقلت الحمد لله الذى جاء بك جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحما فتفطر عندنا فقال لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال إنى لأشتهى الباذنجان منذ سنين ولم يتفق لى أكله فقلت إن فيها الباذنجان من الحلال فقال حتى يصفو لى حب الباذنجان .. سمعت عبد الله بن باكويه الصوفى يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لإفطاره فليلة أشفقت عليه فحملت إليه خمسة عشر حبة

---

(١) (فلذلك افتضحوا) بارتكاب شهواتهم لأن حِمَى الله تعالى محارمه ومن حام حول الحمى كاد أن يقع فيه فمن غلبت شهواته تقواه افتضح ومن غلبت تقواه شهواته نجح

(٢) (وهذا أتم) مما قبله لأنه إخبار عن عدم شهوته وذاك إخبار عنها ولكن احتمى عنها .

فنظـر إلــى وقـال من أمرك بهـذا وأكل عشـر حبات وترك الباقى [(١)] .. سمعت محمد ابن عبد الله بن عـبيـد الله يقول سمعت أبا العباس أحـمد بن مـحمـد بن عبـد الله بن الفرغانى يقول سمعت أبا الحسين الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت أبا تراب النخشبى يقول ما تمنت نفسى من الشهوات إلا مرة واحدة تمنت خبزاً وبيضاً وأنا فى سفـر فـعدلت إلى قـرية فقام واحـد وتعلق بى وقـال هذا كـان مع اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفنى رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبى فاعتذروا إلى فحملنى رجل إلى منزله إكراماً لى وشفقة على وقدم إلى خبزاً وبيضاً فقلت لنفسى كلى [(٢)] . بعد سبعين درة .



بـــاب الخشوع والتواضع

قـال الله تعـالـى : ﴿ قَـدْ أَفْلَحَ الْمُـؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَـلاتِـهِمْ خَـاشِعُـونَ ﴾ (أخبرنا) أبو الحسن عـبد الرحمن بن إبراهيم بن مـحمـد بن يحيى المزكى قال أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهرى قال حدثنا على بن الحسين قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا شعبة عن أبان بن ثعلب عن فضل الفقيمى عن إبراهيم النخعى عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » ، قال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه

---

(١) (وترك الباقى) فيه دلالة على كمال محافظته على ما حصل له من الاستقامة فى أدب النفوس والاكتفاء باليسير واعتياد التقلل من الطعام وإن كان شهيا لذيذاً حيث اكتفى بعشر حبات زبيب فى وقت إفطاره قيل وربما كان يتسحر لصومه بمثلها .

(٢) (كلى .. إلخ) قال ذلك توبيخاً لنفسه .

حسنا.. فقال « إن الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق »[١]. وغمص الناس »[٢]. أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال حدثنا على بن مسهر عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه أكاف من ليف » . الخشوع الانقياد للحق . والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم[٣]. وقال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع . وسئل بعضهم عن الخشوع فقال الخشوع قيام القلب بين يدى الحق سبحانه بهم مجموع وقال سهل بن عبد الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان وقيل من علامات الخشوع للعبد أنه إذا أغضب أو خولف أو رد عليه أن يستقبل ذلك بالقبول وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون عن النظر وقال محمد بن على الترمذى الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم فى قلبه فماتت شهوته وحيى قلبه فخشعت جوارحه. وقال الحسن البصرى الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب وسئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول ما معناه متواضعين متخاشعين وسمعته يقول هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم إذا مشوا واتفقوا على أن الخشوع محله القلب

---

(١) (بطر الحق) بفتح الباء والطاء المهملة أى رده وإبطاله.

(٢) (وغمص الناس) بصاد مهملة أى احتقارهم ولأنه عبارة عن تعاظم العبد على غيره وما ذكر ليس كذلك بل فيه إظهار للنعمة وهو مطلوب والخبر رواه مسلم بلفظ « الكبر بطر الحق وغمط الناس » بطاء مهملة وهو بمعنى غمص والكبر ضد التواضع ومن تواضع لله رفعه ومن تكبر على خلق الله وضعه الله .

(٣) (وترك الاعتراض على الحكم) أى من الحاكم وهو أعم من الخشوع لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الرب بخلاف الثانى لا يستعمل إلا فى الثانى فلا يقال خشع العبد لمثله بل يقال تواضع له .

ورأى بعضهم رجلا منقبض الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال له يا فلان الخشوع ههنا وأشار إلى صدره لاههنا وأشار إلى منكبيه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يعبث فى صلاته بلحيته فقال « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقيل شرط الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله قال الأستاذ الإمام ويحتمل أن يقال الخشوع إطراق السريريه بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه وتعالى ويقال الخشوع ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب ويقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة ويقال الخشوع مقدمات غلبات الهيبة ويقال الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقال الفضيل بن عياض كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما فى قلبه وقال أبو سليمان الدارانى لو اجتمع الناس على أن يضعونى كوضعى عند نفسى لما قدروا عليه وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا أبو الحسن على بن يزيد الفرائضى قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصى عن هارون بن حيان عن حصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقال مجاهد لما أغرق الله تعالى قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودى فجعله الله تعالى قرارا لسفينة نوح عليه سلام وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يسرع فى المشى ويقول إنه أسرع للحاجة وأبعد عن الزهو وكان عمر بن عبد العزيز يكتب ليلة شيئا وعنده ضيف فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال لا ليس من الكرم استخدام الضيف قال فأنبه الغلام قال لا هى أول نومة نامها فقام إلى البطة وجعل الدهن فى المصباح فقال الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال له عمر ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان

لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتديا ولا يحتقر ما دعى إليه ولو إلى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول قراء الرحمن عز وجل أصحاب خشوع وقراء القضاء أصحاب عجب وتكبر وقال الفضيل بن عياض من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب. وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وقال الفضيل أوحى الله تعالى إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء(١) . فكلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام لتواضعه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم(٢) . وقال وهب مكتوب فى بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب إنى أخرجت الذر(٣) . من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام لذلك اصطفيته(٤) وكلمته(٥) وقال ابن المبارك التكبر على الأغنياء(٦) . والتواضع

---

(١) (وتواضع طور سيناء .. إلخ) فيه دلالة على جواز خلق الحياة والفهم والأخبار والحركات فى الجمادات والله قادر على كل شىء.

(٢) (ولين الجانب لهم) ليقربوا منه فينتفعوا به ويكون بحيث إنه إن آذاه غيره بأذية حملها فلا يؤاخذه بها .

(٣) (الذر) بالمعجمة أى بنى آدم .

(٤) (اصطفيته) أى اخترته من بين الناس نبيا .

(٥) (وكلمته) فما ميزه تعالى على أمته وخصه بكلامه إلا لما اختص به من كمال تواضعه .

(٦) (التكبر على الأغنياء .. إلخ) الغرض منه التنفير عن التواضع للأغنياء لدنياهم وإلا =

للفقراء من التواضع وقيل لأبى يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه وقيل التواضع نعمة لا يحسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة . وسمعته يقول سمعت الحسن الساوى يقول سمعت ابن الأعرابى يقول بلغنى أن سفيان الثورى قال أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج[١] فى كل أحد لكنه فى الفقراء أسمج وقال ابن عطاء التواضع قبول الحق ممن كان وقيل ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال عروة بن الزبير رأيت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغى لك هذا فقال لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول رؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقوا للأمير وقال عبد الله الرازى التواضع ترك التمييز فى الخدمة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول سمعت محمد بن العباس الدمشقى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى

= فالتكبر مذموم لكل أحد فقيرا كان أو غنيا والتواضع محمود لكل أحد فالمذموم منه التواضع للأغنياء لدنياهم والفقراء لفقرهم والمحمود التواضع لله سواء كان مع الأغنياء أم الفقراء وهذا هو التواضع المطلوب لا التكبر المذموم..

(١) (سمج) بإسكان الميم وكسرها أى قبيح .

يقول من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة[١] . وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع وقال الشبلى ذلى عطل ذل اليهود[٢] . وجاءه رجل فقال له الشبلى ما أنت فقال ياسيدى النقطة التى تحت الباء فقال أنت شاهدى ما لم تجعل لنفسك مقاما وقال ابن عباس من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه وقال بشر سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم وقال شعيب بن حرب بينا أنا فى الطواف إذ لكزنى إنسان بمرفقه فالتفت إليه فإذا هو الفضيل بن عياض فقال يا أبا صالح إن كنت تظن أنه شهد الموسم شر منى ومنك فبئسما ظننت وقال بعضهم رأيت فى الطواف إنسانا بين يديه شاكرية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئا فتعجبت منه فقال لى أنا تكبرت فى موضع يتواضع الناس هناك فابتلانى الله تعالى بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى فصا بألف درهم فكتب إليه عمر بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فإذا أتاك كتابى هذا فبع الخاتم وأشبع ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه . وقيل عرض على بعض الأمراء مملوك بألف درهم فلما أحضر الثمن استكثره فبدا له فى شرائه فرد الثمن إلى الخزانة فقال العبد يامولاى اشترنى فإن فىَّ بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوى أكثر من ألف درهم فقال وما هى فقال أقلها وأدناها ما لو اشتريتنى وقدمتنى على جميع مماليكك لا أغلط فى نفسى وأعلم أنى أنا عبدك فاشتراه . .وحكى عن رجاء بن حيوة أنه قال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثنى عشر درهما وكان قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة وقيل مشى عبد الله

(١) (لم يذق حلاوة الخدمة) إذ لا يذوقها من كمل إخلاصه ورأى توفيقه للخدمة من جملة النعم عليه وذلك معقود فيمن رأى لنفسه قيمة .

(٢) (عطل ذل اليهود) المذكور فى قوله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ﴾ فهم أذل الخلق والمعنى ذلى فى نفسى أعظم من ذل اليهود فى أنفسهم لأن ذلهم قهرى وذلى عن علم بما عليه نفسى من النقص وهذا لا يلزم منه جحده لفضل ربه عليه لأن ما ذكر من الذل بالنظر لنفسه وما هو فيه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل فى نفسه عزيز بالله .

ابن محمد بن واسع مشيا لا يحمد فقال له أبوه أتدرى بكم اشتريت أمك بثلثمائة درهم وأبوك لا أكثر الله تعالى فى المسلمين مثله أبا وأنت تمشى هذه المشية . سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون القصار يقول التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا فى الدين ولا فى الدنيا . وقال إبراهيم بن أدهم ما سررت فى إسلامى إلا ثلاث مرات مرة كنت فى سفينة وفيها رجل مضحاك كان يقول كنا نأخذ العلج فى بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر رأسى ويهزنى فيسرنى ذلك لأنه لم يكن فى تلك السفينة أحد أحقر فى عينه منى والأخرى كنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن وقال اخرج فلم أطق فأخذ برجلى وجرنى إلى خارج المسجد والثالثة كنت بالشام وعلى فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته فسرنى ذلك وفى حكاية أخرى عنه قال ما سررت بشىء كسرورى أنى كنت يوما جالساً فجاء رجل وبال على . وقيل تشاجر أبو ذر وبلال رضى الله تعالى عنهما فعير أبو ذر بلالا بالسواد فشكاه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا ذر إنه بقى فى قلبك من كبر الجاهلية شىء فألقى أبو ذر نفسه وحلف أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك . ومر الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونى ونحن نجد أكثر منه وقيل قسم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الحلل بين الصحابة من غنيمة فبعث إلى معاذ حلة يمانية فباعها واشترى ستة أعبد وأعتقهم فبلغ عمر ذلك فكان يقسم الحلل بعده فبعث إليه حلة دون تلك فعاتبه معاذ فقال له عمر لا معاتبة لأنك بعت الأولى فقال معاذ وما عليك ادفع إلى نصيبى وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر هذا رأسى بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ .

  

بـــاب مخالفة النفس وذكر عيوبها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا تمتام قال حدثنا محمد بن معاوية النيسابورى قال حدثنا على بن أبى على بن عتبة بن أبى لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى[١] الآخرة »[٢]. ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا ذبح النفس[٣] بسيوف المخالفة[٤]. واعلم أن من نجمت[٥]. طوارق نفسه[٦] أفلت[٧] شوارق أنسه[٨]. وقال ذو النون المصرى مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة مخالفة النفس عن الهوى ومخالفتهما ترك شهواتهما وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد

---

(١) (فينسى) أى صاحبه.

(٢) (الآخرة) لاشتغاله حينئذ عادة بالدنيا .

(٣) (ذبح النفس) وفى نسخة النفوس .

(٤) (بسيوف المخالفة) وهو أول الطريق وذلك لأن النفس إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ومن ثم سميت هذه الأمور سيوفا وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها إلى سواء الطريق .

(٥) (نجمت) أى طلعت .

(٦) (طوارق نفسه) أى آثار خواطرها.

(٧) (أفلت) أى غربت من قلبه .

(٨) (شوارق أنسه) بالله أى علاماته قال الله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ والدنيا والآخرة ككفتى الميزان فمتى مالت إحداهما ارتفعت الأخرى .

يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها فى فسادها.. سمعت الشيخ أبـا عبد الرحمـن السلمي يقـول سمعت أبا بكـر الـرازى يقول.. سمعت أبا عمر الأنماطـى يقول سمعت الجنيد يقول النفـس الأمـارة بالسوء فى الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمـة بأصناف الأسـواء وقال أبو حفص من لم يتهـم نفسه علـى دوام الأوقات ولـم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجرهـا إلى مكروهها فى سائر أيامه كان مغـرورا ومـن نظر إليها باستحسان شيء منهـا فقد أهلكها وكيـف يصح لعاقـل الرضا عن نفسـه والكريم ابن الكريـم ابن الكريم ابن الكريم يوسـف بن يعقـوب بن إسحـق بن إبراهيم الخليـل يقـول : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.. سمعـت محمد بن الحسين يقول سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقـول سمعت ابن عطاء يقول قال الجنيد أرقـت ليلـة فقمت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجـده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتى لربى فتحيرت فـأردت أن أنام فلم أقــدر عليه فقعدت فلم أطق القعـود ففتحت الباب وخرجـت فإذا رجل ملتف فـى عـباءة مطـروح على الطريق فلمـا أحس بى رفـع رأسـه وقـال يا أبـا القاسم إلى الساعة فقلت ياسيدى من غيـر موعد فقال بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك .. فـقلت : فقـد فعل.. فمـا حاجـتك فقال : مـتى يصير داء النفس دواءها .. فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فأقبل على نفسه وقال اسمعى قـد أجـبتك بهـذا الجـواب سبع مـرات فـأبيت إلا أن تسمعيـه من الجنيـد وقـد سـمعت وانصـرف عنى ولم أعـرفـه ولم أقــف عليه بعـــد وقـال أبو بكر الطمستـانى النعمة العظمى الخروج من النفس لأن النفـس أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل وقـال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفـس والهوى سمعت محمد بن الحسين يقـول.. سمعـت منصور بن عبد الله يـقول.. سمعت أبا عمـر الأنماطـى يقول سـمعت ابن عطاء وقد سئل عن أقـرب شيء إلى مـقت الله تعالى فـقــال رؤية النفـس وأحوالهـا وأشد من ذلك مطالعة الأغـراض على أفعالها وسمعـته يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت إبراهيم الخواص

يقول كنت فى جبل اللكام[١] . فرأيت رمانا [٢] . فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة[٣] . فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء[٤] . فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير[٥] . فقال وأنا أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد ألمه الإنسان فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا[٦] . فتركته ومضيت[٧] . وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال ما بت تحت سقف ولا فى موضع عليه غلق أربعين سنة وكنت أشتهى فى أوقات أن أتناول شبعة عدس فلم يتفق فكنت وقتا بالشام فحمل إلى غضارة فيها عدس فتناولت منه وخرجت فرأيت قوارير معلقة فيها شيء شبه نموذجات فظننته خلا فقال لى بعض الناس إيش تنظر هذه نموذجات الخمر وهذه الدنان خمر فقلت فى نفسى لزمنى فرض فدخلت حانوت الخمار ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنى أصبها بأمر السلطان فلما علم حملنى إلى ابن طولون فأمر بضربى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبقيت فيه مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربى أستاذى ذلك البلد فشفع لى فلما وقع بصره على قال إيش فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال لى نجوت مجانا[٨] .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى

---

(١) (جبل اللكام) بالشام .

(٢) (فرأيت رمانا) وكنت عزمت على تركه لله تعالى .

(٣) (فوجدتها حامضة) فلم يأكل منها شيئا أدب بذلك لمخالفته عزمه .

(٤) (لا يخفى عليه شيء) بأن ييسر الله له كل ما يريد تارة بالسؤال وتارة بغيره .

(٥) (من هذه الزنابير) التى تلدغك كان خيرا لك .

(٦) (ألمه فى الدنيا) وألم الدنيا أهون بكثيرمن ألم الآخرة .

(٧) (ومضيت) خشية أن أشتغل به فيفسد علىّ توكلى دل كلام المطروح الأول على أنه من العارفين وكلامه الثانى على أنه من المكاشفين .

(٨) (مجانا) أى بلا بدل يعنى بلا عقوبة فى الآخرة بل عجلت لك فى الدنيا =

يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى السقطى يقول وإن نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعتها وسمعته يقول سمعت جدى يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه وسمعته يقول .. سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت الحسين بن على القرمسينى يقول وجه عصام بن يوسف البلخى شيئا إلى حاتم الأصم فقبله منه فقيل له لم قبلته فقال وجدت فى أخذه ذلى وعزه وفى رده عزى وذله فاخترت عزه على عزى وذلى على ذله وقيل لبعضهم إنى أريد أن أحج على التجريد فقال له جرد أولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال أبو سليمان الدارانى من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها والله أءكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة لأجله . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة. ورؤى رجل جالسا فى الهواء فقيل له بم نلت هذا فقال تركت الهوى فسخر لى الهواء وقيل لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف وقيل لا تضع زمامك فى يد الهوى فإنه يقودك إلى الظلمة وقال يوسف بن أسباط لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق وقال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه فهو كاذب فى تركها وقال جعفر بن نصير دفع إلى الجنيد درهما وقال اشترى لى به التين الوزيرى فاشتريته له فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود إليها وأنشد وا :

نون الهوان من الهوى مسروقه وصريع كل هوى صريع هوان

واعلم أن للنفس أخلاقا ذميمة فمن ذلك الحسد[١] .

= لشهوتك الدنيوية .

(١) (حسد) هو تمنى العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها عليه أم لا وذلك =

بـــاب الحســـد

قال الله تعالـــى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * [١] مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ثـم قال ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ فختم السورة التى جعلها عوذة[٢] . بذكر الحسد .

(أخبرنا) أبو الحسن الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن مخلد قال حدثنا معافى بن عمران عن الحرث بن شهاب عن معبد عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص[٣] . فإن آدم حمله على الحرص على أن أكل من الشجرة وإياكم والحسد فإن بنى آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا » وقال بعضهم الحاسد جاحد لا يرضى بقضاء الواحد وقيل الحسود لا يسود[٤] . وقيل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ قيل ما بطن الحسد وفى بعض الكتب الحاسد عدو نعمتى وقيل أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين فى عدوك وقال الأصمعى رأيت أعرابيا أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقال ابن المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى قلب أميرى ما جعل فى قلب حاسدى وفى بعض الآثار إن فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد وله ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك قف فأنا ملك الحسد

= حرام لأن فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى وقد يطلق مجازا على الغبطة وتسمى بالمنافسة كما فى خبر « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا ورجل آتاه الله علما » الحديث وهو تمنى العبد أن يكون له مثل ما لغيره دون أن ينْزع الخير عن هذا الغير.

(١) (الفلق) أى الصبح .

(٢) (عوذة) بفتح العين وضمها أى تعويذا .

(٣) (وإياكم والحرص) أى أحذركم على اتباع الشهوات .

(٤) (لا يسود) لا دنيا ولا أخرى بل يعود عليه بيهما ضرر الحسد وهو ألم الهم والحزن فى الدنيا وألم العقوبة فى الآخرة فالحسود لا يسود .

أضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد وقال معاوية كل إنسان أقدر على أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وقيل من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة إذا نزلت وقال معاوية ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود وقيل أوحى الله عز وجل إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة لاتغتابن صالح عبادى ولا تحسدن أحدا من عبادى فقال سليمان يارب حسبى وقيل رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ماصفته فقيل كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل الحاسد إذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت وقيل إذا أردت أن تسلم من الحاسد فلبس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لاذنب له بخيل بما لا يملكه وقيل إياك أن تتمنى فى مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك وقيل إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا

وأنشدوا :

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس طعنة يا ظالماً وكأنه مظلوم

وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ومن الأخلاق المذمومة للنفس اعتياد الغيبة .



بـــاب الغيبـــة

قـال الله عـز وجل : ﴿ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ الآية ..

(أخبـرنــا) أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلى قال أخبـرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل قال حدثنا على بن الحسن قال حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبى هند قال حدثنا محمد بن أبى حميد عن موسى بن وردان عن أبى هريرة أن رجلا قـام وهو مع رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم قـبل ذلك جالس فقال بعض القوم ما أعجز فلانا فقال صلى الله عليه وآله وسلم « أكلتم أخاكم واغتبتموه » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة .. ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار [١]. وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج [٢] . فقال ابن سيرين إن الله تعالى حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج وإنك إذا لقيت الله عز وجل غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج [٣] . وقيل دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا إنه ثقيل فقال إبراهيم إنما فعل بى هذا نفسى حيث حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وقيل مثل الذى يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقاً يرمى به حسناته شرقاً وغرباً يغتاب واحداً خرانسانياً وآخر حجازياً وآخر تركياً فيفرق حسناته ويقوم ولا شىء معه وقيل يؤتى

---

(١) (أول من يدخل النار) فيه دلالة على شدة أمر الغيبة وعلى أن من دخل النار بسببها يطول مكثه فيها ومن تاب منها يتأخر دخوله الجنة لما تقدم له منها وللمقاصة بما عليه من الحقوق لمن اغتابه .

(٢) (فتناولت الحجاج)أخذته بالسوء أى اغتبته .

(٣) (من أعظم ذنب أصابه الحجاج) إذ لا تزر وازرة وزر أخرى فالأولى لكل شخص أن يشتغل بنفسه وإن عظم ذنوب غيره فإنه إنما يطالب بجرمه وإن قلَّ لا بجرم غيره وإن كثر.

العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول أين صلاتى وصيامى وطاعتى فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله تعالى له نصف ذنوبه وقال سفيان بن الحسين كنت جالساً عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان فقال لى هل غزوت العام الترك والروم فقلت لا فقال سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك المسلم [١] .. وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر . وسئل سفيان الثورى عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله يبغض أهل البيت اللحميين » فقال هم الذين يغتابون الناس يأكلون لحومهم . وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والدى لأنهما أحق بحسناتى وقال يحيى بن معاذ ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تسره فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه وقيل للحسن البصرى إن فلاناً اغتابك فبعث إليه طبق حلواء . وقال بلغنى أنك أهديت إلى حسناتك فكافأتك .

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أحمد بن عمرو القطوانى قال حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال حدثنا الربيع بن بدر عن أبان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الرقى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول قال الجنيد كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا على أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شيء من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عيناى فرأيت ذلك الفقير جاءوا

(١) (وما سلم منك أخوك المسلم) فيه تأديب حسن وإرشاد إلى تغيير المنكر فى الغيبة على الفور فإنه لو قال له إنك مغتاب ربما نفرت نفسه منه .

به على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته إنما قلت فى نفسى شيئا فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال يا أبا القاسم تعود فقلت لا فقال غفر الله تعالى لنا ولك . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا طاهر الإسفراينى يقول سمعت أبا جعفر البلخى يقول كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول فلان كذا وفلان كذا فرأيته يوماً عند المخنثين الغسالين خرج من عندهم فقلت يا فلان ما حالك فقال تلك الوقيعة فى الناس أوقعتنى إلى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هو ذا أخدمهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت فادع الله أن يرحمنى .

  

بـــاب القناعـــة (١)

قـال الله تعالـــى : ﴿ مَنْ عَـمِلَ صَـالِحًا مِّن ذَكَـرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُـؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال كثير من أهل التفسير الحياة الطيبة فى الدنيا القناعة .

(أخبرنـــا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنـا أبو عمرو محمد ابن جعفر بن مطر قال حدثنا محمد بن موسى الحلوانى قـال حدثنـا عبد الله بن إبراهيم الغفارى عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « القناعة كنز لا يفنى» (٢) .

(أخبرنـا) أبو الحسن الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا عبد الله بن أيوب المقرى قال حدثنا أبو الربيع الزهرانى قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن أبى رجاء عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قـال قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم « كن ورعـا تكن أعبد الناس(٣) . وكن قنعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » وقيل الفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة وقال بشر الحافى القناعة ملك لا يسكن إلا فى قلب مؤمن . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد

---

(١) (القناعة) هى الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما وهى ممدوحة ومطلوبة.

(٢) (كنز لا يفنى) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أى وهو ما لا حاجة له به وقال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وثمرة القناعة فى الدنيا السلامةمن المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب وفى الآخرة السلامة من طول الحساب .

(٣) (أعبد الناس) لأن الورع يجتنب ما يضره شرعا فيكون أعبد الناس أشكر الناس لأن القانع يكتفى بما فتح الله به عليه فتكثر نعم الله عليه فيكون أشكر الناس بخلاف الطامع لأنه لا يرى من النعم إلا العظائم فيقل شكره .

الشعرانى يقول سمعت إسحق بن إبراهيم بن أبى حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا أول الرضا وهذا أول الزهد وقيل القناعة السكون عند عدم المألوفات وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف وأمر الآخرة بالحرص والتجيل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد وقال أبو عبد الله بن خفيف القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود وقيل في معنى قوله ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يعنى القناعة وقال محمد بن على الترمذى القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق وقال القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بحاصل وقال وهب إن العز والغنى خرجا يجولان يطلبان رفيقاً فلقيا القناعة فاستقرا وقيل من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال رزقه الله القناعه وقيل مر أبو حازم بقصاب ومعه لحم سمين فقال خذ يا أبا حازم فإنه سمين فقال ليس معى درهم فقال أنا أنظرك فقال نفسى أحسن نظرة لى منك. وقيل لبعضهم من أقنع الناس فقيل أكثرهم للناس معونة وأقلهم عليهم مؤونة. وفى الزبور القانع غنى وإن كان جائعاً وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع: العز فى الطاعة.. والذل فى المعصية .. والهيبة فى قيام الليل.. والحكمة فى البطن الخالى.. والغنى فى القناعة.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت نصر بن محمد يقول سمعت سليمان ابن أبى سليمان يقول سمعت أبا القاسم بن أبى نزار يقول سمعت إبراهيم المارستانى يقول انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقيل من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل وقال الكتانى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة وقيل من تبعت عيناه ما فى أيدى الناس طال حزنه وأنشدوا :

وأحسن بالفتى من يوم عــــار يــنال به الغنى كرم وجـــوع

وقيل رأى رجلا حكيما يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى

خدمة السلطان وقيل العقاب عزيز فى مطاره لا يسمو إليه طرف صياد ولا طمعه فإذا طمع فى جيفة علقت على حبالة نزل من مطاره فتعلق فى حباله (١) . وقيل نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ قال الخضر له ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِك ﴾.. وقيل لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدى موسى والخضر عليهما السلام ظبى وكانا جائعين الجانب الذى يلى موسى عليه السلام غير مشوى والجانب الذى يلى الخضر مشوى وقيل فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ هو القناعة فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾(٢) هو الحرص فى(٣) . الدنيا(٤) . وقيل فى قوله﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ أى فكها من ذل الطمع وقيل فى قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ يعنى البخل والطمع ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ بالسخاء والإيثار وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ أى مقاماً فى القناعة أنفرد به من أشكالى وأكون راضياً فيه بقضائك وقيل فى قوله تعالى: ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يعنى لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعنى أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك وقيل لأبى يزيد بم وصلت إلى ما وصلت فقال جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها فى منجنيق الصدق ورميت بها فى بحر اليأس فاسترحت .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان بسامرة يقول سمعت خالى عبد الوهاب يقول كنت جالسا عند الجنيد أيام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء إنسان

---

(١) (فتعلق فى حباله) أى فى شباكه فكذلك القنوع لا يزال عزيز النفس سالما من المذلة حتى يلوح له شيء من الدنيا فيطمع فى نيلها فيزول عزه ويحل به ذلك ولهذا لما دخل الحسن البصرى مكة ورأى رجلا من أولاد فاطمة قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يعظ الناس فسأله ما ملاك الدين فقال الورع فقال وما فساده فقال الطمع فقال له مثلك يصلح أن يعظ الناس .

(٢) (وهو) أى الجحيم .

(٣) (الحرص فى) وفى نسخة على .

(٤) (الدنيا) هذا تفسير باللازم لأن من قنع باليسير استراح سره وقَلَّ تعبه وكان منعَّما ومن اشتد حرصه كثر تعبه وقلت راحته وكان معذبا .

بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال تفرقها على هؤلاء الفقراء فقال ألك غيرها قال نعم لى دنانير كثيرة فقال أتريد غير ما تملك فقال نعم فقال الجنيد خذها فإنك أحوج إليها منا ولم يقبلها .



بـــاب التـوكل

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ..

(أخبرنا) عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أريت الأمم بالموسم فرأيت أمتى قد ملؤوا السهل والجبال فأعجبنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت فقلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة ابن محصن الأسدى فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم « سبقك بها عكاشة ».. سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول حدثنى أبو بكر الوجيهى يقول قال أبو على الروذبارى قلت لعمرو بن سنان احك لى عن سهل بن عبد الله حكاية فقال إنه قال علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا موسى الديبلى يقول قيل لأبى يزيد ما التوكل فقال لى ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون

لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل ، وقال سهل بن عبد الله أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله تعالى .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخى يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقال ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى وإن تعسر شىء فبتقديره وإن اتفق شىء فبتيسيره .

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال حدثنا إسماعيل بن مسعود الجحدرى قال حدثنا خالد ابن يحيى قال حدثنى عمى المغيرة بن أبى قره عن أنس بن مالك قال « جاء رجل على ناقة فقال يارسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل »[(١)] . قال إبراهيم الخواص من صح توكله فى نفسه صح توكله فى غيره وقال بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله تعالى ويكذب على الله تعالى لو توكل على الله تعالى لرضى بما يفعل الله تعالى به . وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال إذا رضى بالله تعالى وكيلا .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الصامت يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول بينما أنا أسير فى البادية وإذا بهاتف يهتف فالتفت إليه فإذا أعرابى يسير فقال لى يا إبراهيم التوكل عندنا أقم عندنا حتى يصح توكلك ألم تعلم أن

---

(١) (اعقلها وتوكل) فيه دلالة على أن السبب لكونه فعل الجارحة لا ينافى التوكل لكونه فعل القلب بل قد يجد السبب .

رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك [١]. اقطع رجاءك [٢] عن البلدان وتوكل وسمعته يقول سمعت محمد بن أحمد الفارسي يقول سمعت ابن عطاء وقد سئل عن حقيقة التوكل فقال أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشبى وهو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر وكما قال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت أحمد بن محمد القرمسينى يقول سمعت الكتانى يقول سمعت أبا جعفر بن أبى الفرج يقول رأيت رجلا يعرف بجمل عائشة من الشطار يضرب بالسياط فقلت له أى وقت يكون ألم الضرب عليك أسهل فقال إذا كان من ضربنا لأجله يرانا .. وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص ماذا صنعت فى هذه الأسفار وقطع هذه المفاوز قال بقيت فى التوكل أصحح نفسى عليه فقال الحسين أفنيت عمرك فى عمران باطنك فأين الفناء فى التوحيد سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول التوكل ما قاله أبو بكر الدقاق وهو رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد قال وهو كما قال سهل ابن عبد الله التوكل الاسترسال مع الله تعالى على مايريد .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبا بكر البرذعى يقول سمعت أبا يعقوب النهرجورى يقول التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة ماوقع

---

(١) (يحملك) أى على الإقامة فيه .

(٢) (اقطع رجاءك..إلخ)ليس المراد أن الأسباب تنافى التوكل على الله بل المراد أنه ينبغى للعبد أن يمتحن نفسه في دعوى التوكل عليه والإعراض عن الأسباب فى الأماكن التى يغلب فيها الانقطاع عن الأسباب بخلاف غيرها كالبلدان لأن النفس ساكنة فيه إلى المعتاد والمعارف فإن رأى نقصا كملها أو صحة شكر .

لإبراهيم [١] . عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام أما إليك فلا لأنه غابت نفسه بالله تعالى فلم ير مع الله غير الله عز وجل . وسمعته يقول سمعت سعيد ابن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصرى سأله رجل فقال ما التوكل فقال خلع الأرباب[٢] وقطع الأسباب فقال السائل زدنى فقال إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية. وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول سمعت حمدون القصار وسئل عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيه عنك . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال متعلق بالله تعالى فى كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته وقال أبو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب وقيل التوكل أن يستوى عندك الإكثار والتقلل وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام لجريان القضاء والأحكام . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه وسمعت محمد بن محمد بن غالب يحكى عن الحسين بن منصور قال المتوكل المحق لا يأكل وفى البلد من هو أحق به منه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت منصور بن أحمد الحربى يقول حكى لنا ابن أبى شيخ قال سمعت عمر بن

---

(١) (ما وقع لإبراهيم .. إلخ) وهو مكتف مربوط فى كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى إلى نار لم يتمكنوا من إيصاله إليها إلا بكفة المنجنيق من شدة حرها كما أشار إلى ذلك بقوله فى الوقت إلى ...إلخ .

(٢) (خلع الأرباب) وهو ما سوى الله تعالى لما يملك القلب عادة ويصير مسخرا له من درهم ودينار وغيرهما كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة » تعس وانتكس وإن شيك فلا إن تقش فجعله عبدا وجعلها أرباً .

سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب ما رأيته من أسفارك فقال لقينى الخضر عليه السلام فسألنى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى بسكونى إليه ففارقته. وسئل سهل عن التوكل فقال هو قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وسمعته يقول التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية . وسئل الدقاق عن التوكل فقال الأكل بلا طمع وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام فى الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض وهذه كلها علاقات . وجاء رجل إلى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله فاطرده عنك .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان .. وسمعته يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول قال إبراهيم الخواص كنت فى طريق مكة فرأيت شخصاً وحشياً فقلت جنى أو إنسى فقال جنى فقلت إلى أين فقال إلى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضاً من يسافر على التوكل فقلت إيش التوكل فقال الأخذ من الله تعالى .. وسمعته يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول كان إبراهيم الخواص مجردا فى التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته(١) . وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته (٢) . فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه فى كمال

---

(١) (تفسد عليه صلاته) وإذا كان معه تدارك ذلك بهما .

(٢) (تفسد عليه طهارته) وإذا كانت معه تدارك ذلك وإذا لم يكن معه مقراض فيطول =

صلاته[١] . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الأولياء والتفويض صفة الموحدين فالتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خواص الخواص . . وسمعته يقول التوكل صفة الأنبياء والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول مكثت بضع عشر سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل فى السوق وآخذ كل يوم أجرتى ولا أنتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام ولكن أجىء بها إلى الفقراء فى الشونيزية وأكون على حالى . وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الخواص يقول سمعت الحسين أخا سنان يقول حججت أربع عشر حجة حافيا على التوكل فكان يدخل فى رجلى الشوك فأذكر أنى اعتقدت على نفسى التوكل فأحكها فى الأرض وأمشى وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول سمعت خيرا النساج يقول سمعت أبا حمزة يقول إنى لأستحيى من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيى على الشبع زاد أتزود به. وسئل حمدون عن التوكل فقال تلك درجة لم أبلغها بعد وكيف يتكلم فى التوكل من لم يصح له حال الإيمان وقيل المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا ثدى أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه تعالى (وعن بعضهم) قال كنت فى البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحداً فتسارعت حتى أدركته فإذا هى امرأة بيدها عكاز تمشى على التؤدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدى فى جيبى فأخرجت عشرين درهماً فقلت خذيها وامكثى حتى تلحقك القافلة فتكترى بها ثم ائتينى الليلة حتى أصلح أمرك فقالت بيدها هكذا فى الهواء فإذا فى كفها دنانير فقالت

= شاربه فيفوت قصه المأمور به فالأمور المذكورة محتاج إليها فى تحصيل العبادة المأمور بها .

(١) (فاتهمه فى كمال صلاته) صفة الموحدين لأن المتوكل يرى السبب ويعتمد على الله تعالى فى أموره والولى مسلم إلى الله تعالى فى سائر أموره والموحد صارت نفسه محلا لجريان قدر الله تعالى فيه لكمال تفويضه الأمور له سبحانه وتعالى.

أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب .. ورأى أبو سليمان الدارانى رجلا بمكة شرفها الله تعالى لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام فقال أبو سليمان يوماً أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله تعالى خيراً حيث أرشدتنى فإنى كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى . وقال إبراهيم الخواص رأيت فى طريق الشام شاباً حدثاً حسن المراعاة فقال لى هل لك فى الصحبة فقلت إنى أجوع فقال إن جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشيء فقلت هلم فقال اعتقدت أني لا آخذ بواسطة فقلت ياغلام دققت فقال يا إبراهيم لا تتبهرج فإن الناقد بصير مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات[1] .. وقيل التوكل[2] . نفى الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك .. وقيل دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال إن علمتم أى موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة فقال ترك الحيلة. وقال أبو سليمان الدارانى لأحمد بن أبى الحوارى يا أحمد إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإنى ما شممت منه رائحة. وقيل التوكل الثقة بما فى يد الله تعالى واليأس عما فى أيدى الناس وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر فى التقاضى فى طلب الرزق .. وسئل الحارث المحاسبى عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا يضره شيئا ويقويه على إسقاط الطمع اليأس عما فى أيدى الناس .. وقيل جاع النورى فى البادية فهتف به هاتف أيما أحب إليك سبب أو كفاية فقال الكفاية فليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوما لم يأكل. وقال أبو على الروذبارى إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه

---

(١) (إلا إلى من إليه الكفايات) وهو الله تعالى وفى ذلك دلالة على أن الله تعالى رأى إبراهيم مع كمال قوته ورفعة حاله أقوى من حاله ليتزايد فى حاله ويتأدب مع ربه وفيه دلالة على أن الله أن يؤدب الكبار بالصغار فى السن كما مر نظيره فى حكاية المرأة .

(٢) (وقيل التوكل) على التفويض كما يطلق على التسليم وإن كان أعلى منه كما مر لأنهما من ثمراته واعتبر نفى الشك لأن التوكل إنما يكون عن قوة اليقين وهو بعيد عن الشك.

بالسوق ومروه بالعمل والكسب . وقيل نظر أبو تراب النخشبى إلى صوفى مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق . وقال أبو يعقوب الأقطع البصرى جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثتنى نفسى فخرجت إلى الوادى لعلى أجد شيئا يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فإذا أنا برجل أعجمى جلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذا لك فقلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم أنا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشىء ونذرت أنا إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصرى عليه من المجاهدين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فإذا فيها كعك سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى إلى صبيانك هو هدية منى لكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول كنت عند ممشاد الدينورى فجرى حديث الدين فقال كان على دين فاشتغل قلبى فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصاباً ولا غيرهم.. ويحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة حرسها الله تعالى أجىء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول حتى يجىء صاحبه فآخذ منه شيئاً ثم رمت لى شيئاً من الدراهم وقالت أنفقها فاكتفيت بها إلىّ قريب من مكة ويحكى أن بناناً احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه فجمعوا ثمنها وقالوا هو ذا يجىء النفر فنشترى ما يوافقك فلما ورد

النفر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبدون قال حدثنا الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافى فجاء نفر فسلموا عليه فقال من أين أنتم قالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله تعالى لكم فقالوا تخرج معنا فقال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئا ولا نسأل أحداً شيئاً وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبل قالوا أما أن لا نحمل فنعم وأما أن لا نسأل فنعم وأما أن لا نقبل إن أعطينا فهذا لا نستطيعه فقال خرجتم متوكلين على زاد الحجيج(١) ثم قال يا حسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين(٢) وفقير لا يسأل وإن أعطى قبل فذاك توضع له موائد فى حظائر القدس(٣) . وفقير يسأل وإن أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته(٤) . صدقه(٥) . وقيل لحبيب العجمى لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة . وقيل كان فى الزمن الأول رجل فى سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه حتى مات ولم يأكله وبقى عنده القرص . وقيل من وقع فى ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها والفرق بين التضييع

---

(١) (متوكلين على زاد الحجيج) لأنهم إذا رأوكم لا تحملون زادا علموا حاجتكم فأعطوكم.

(٢) (الروحانيين) بضم الراء وهم من ارتفعت همتهم عن الخلق وعاشوا بدوام ذكرهم لمولاهم .

(٣) (القدس) أى الطهر فقلبه مطهر من التدنس بالأغيار ناظر الى ما يجريه الله عليه بحسن الاختيار .

(٤) (فكفارته) أى كفارة سؤاله .

(٥) (صدقه) بأن لا يسأل حتى يصدق فى جوعه واحتياجه وعلامة صدقه فيهما أن يأخذ ما تندفع به ضرورته فى وقته فقط وفيما قاله دليل على اختلاف مقامات المتوكلين .

والتفويض أن التضييع فى حق الله تعالى وذلك مذموم والتفويض فى حقك وهو محمود . وقال عبد الله بن المبارك من أخذ فلساً من حرام فليس بمتوكل .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول سمعت عليا ابن محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأنى وصلت ثم فكرت فى نفسى أنى سكنت واتكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعوا صوتا فى نصف الليل عالياً يا أهل المرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاءنى جماعة فأخرجونى وحملونى إلى القرية .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينما أنا أمشى فى الطريق إذ وقعت فى بئر فنزعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعالى حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا بقصب وبارية وطمو رأس البئر فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى أصيح إلى من هو أقرب منهما وسكنت فبينما أنا بعد ساعة إذا أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة له كنت أعرف ذلك منه فتعلقت به فأخرجنى فإذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول :

أهابك أن أبدى إليك الذى أخفى … وسرى بيدى ما يقول له طرفى

نهانى حيائى منك أن أكتم الهوى … وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف

تلطفت فى أمرى فأبديت شاهدى … إلى غائبى واللطف يدرك باللطف

تراءيت لى بالغيب حتى كأنما … تبشرنى بالغيب إنك فى الكف

أراك وبى من هيبتى لك وحشـة ... فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحيى محبا أنت فى الحب حتفـه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف[1]

سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعدان التاهرتى يقول سمعت حذيفة المرعشى يقول وقد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكـر ... أنا جائع أنا نائع أنا عـارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفهـا ... فكن الضمين لنصفها يـا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتهـا ... فأجر عبيدك من دخول النـار
والنار عندى كالسؤال فهل ترى ... أن لا تكلفنى دخول النـــار

ثم دفـع إلى الرقعة وقال اخـرج ولا تعلق قلبك بغيـر الله تعالـى وادفع الرقعـة إلى أول من يلقاك قـال فخـرجت فـأول من لقينى رجل كـان على بغلـة فدفعتها إليه فأخذها وبكـى وقـال ما فعل صاحـب هذه الرقعة فقلـت فـى المسجد الفلانـى فدفـع إلى صرة بها ستمائة دينار ثم لقيت رجـلا آخر فقلت من صاحب

---

(١) (الحتف) أى الموت فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الأبيات أن الله تعالى يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكرته وكشفه ومن الحكاية السابقة أن المتوكل يرى أن الأفعال كلها من الله فإنه المحرك له والمسكن وقد كان قادرا على أن يحفظ هذا من الواقعة فى البئر لكنه أوقعه فيها ليظهر تحقيق توكله عليه ولهذا لم يصح فى البئر حين سد رأسها مع أنه كان متمكنا من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة إذ تعين عليه الطلوع .

هذه البلغة فقال نصرانى فجئت إلى إبراهيم بن أدهم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجيء الساعة فلما كان بعد الساعة وافى النصرانى وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم.



بـــاب الشكـــر

قال الله عز وجل : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾..

(حدثنا) أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا الإسقاطى قال حدثنا منجاب قال حدثنا يحيى بن على عن أبى خباب عن عطاء قال دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها مع عبيد بن عمير فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا إنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا بنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت إنى أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل على ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ».. الآية ..

(قال الأستاذ) حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعاً ومعناه أنه يجازى

العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً كما قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾.
وقيل شكره تعالى إعطاءه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العباد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى والشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة ويقال شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون نوعان من أفعالهم وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له فى عموم أحوالهم وقال أبو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة أن ترى نفسك فيه طفيليا وقال الجنيد الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على حظ نفسه وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر ويقال الشكر على الشكر أتم من الشكر وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلا ما يتناهى وقيل الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة . وقال الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة(١) . وقال رويم الشكر استفراغ الطاقة . وقيل الشاكر الذى يشكر على الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود . ويقال الشاكر الذى يشكر على الرفد والشكور الذى يشكر على الرد و يقال الشاكر الذى يشكر على النفع والشكور الذى يشكر على المنع ويقال الشاكر الذى يشكر على العطاء والشكور الذى يشكر على البلاء ويقال الشاكر الذى يشكر عند البذل والشكور الذى يشكر عند المطل . سمعت الشيخ أبا

---

(١) (لا ترى نفسك أهلا للنعمة) لأن من يرى ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر فهو يتبرأ من أن يكون شاكراً أبدا .

عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدى السرى ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت أن لا تعصى الله بنعمة فقال يوشك أن يكون حظك من الله تعالى لسانك قال الجنيد فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقيل الشكر قيد الموجود(١) . وصيد المفقود(٢) . وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعانى وقيل قال داود عليه السلام إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله إليه الآن قد شكرتنى وقيل قال موسى عليه السلام فى مناجاته إلهى خلقت آدم بيدك فعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى . وقيل كان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فأرسل إليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب إليه فقال اشكر الله تعالى فجىء بمجوسى مبطون وقيد وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا وحلقة على رجل المجوسى فكان يقوم المجوسى بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ فكتب إلى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى تقول وأى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ماذا كنت تصنع وقيل دخل رجل على سهل بن عبد الله فقال إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع . وقيل شكر العينين أن تستر عيباً تراه بصاحبك وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه وقيل الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه. سمعت السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفراً يقول سمعت الجنيد يقول كان السرى إذا أراد أن

---

(١) (قيد الموجود) أى حفظه .

(٣) (وصيد المفقود) الممكن الموعود به من الزيادة فى قوله « لئن شكرتم لأزيدنكم »من توفيقى وطاعتى وهذا من ثمرات الشكر لا نفسه أما إن كفرتم فإن عذابى شديد .

ينفعنى يسألنى فقال لى يوماً يا أبا القاسم إيش الشكر فقلت ألا يستعان بشىء من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من مجالستك وقيل التزم الحسن بن على الركن وقال إلهى نعمتنى[١] . فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابراً فلا أنت سلبت النعمة بتركى الشكر ولا أدمت الشدة بتركى الصبر إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم . وقيل إذا قصرت يدك عن المكافأة[٢] فليطل[٣] لسانك بالشكر[٤]. وقيل أربعة لا ثمرة لأعمالهم مسارة الأصم وواضع النعمة عند من لا يشكر والباذر فى السبخة والمسرج فى الشمس . وقيل لما بشر إدريس عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة فقيل له فيه فقال لأشكره فإنى كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء . وقيل مر بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى معه فقال مذ سمعت الله تعالى يقول ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وأنا أبكى من خوفه قال فدعا ذلك النبى أن يجير الله ذلك الحجر فأوحى الله تعالى إليه أنى أجرته من النار فمر ذلك النبى فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك فعجب منه فأنطق الله تعالى ذلك الحجر معه فقال له لم تبك وقد غفر الله تعالى لك فقال ذلك كان بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقيل الشاكر مع المزيد لأنه فى شهود النعمة قال الله عز وجل ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾والصابر مع الله تعالى لأنه بشهود المبتلى قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبر الكبر فقال له الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان

---

(١) (إلهى نعمتنى .. إلخ) ضمن لك كمال الثناء على الله حيث اعترف فيه بالنعمة وبالتقصير عن الشكر وبأنه غير صابر على البلاء وبأن الله لا غيره هو الفاعل للخير والشر ثم اعترف بفضل الله فى حالة نقصه فقال فلا أنت سلبت إلخ .

(٢) (عن المكافأة للناس) بأن عجزت عنها .

(٣) (فليطل) لسانك .

(٤) (بالشكر)لأنه الممكن والشكر الكامل عند الإمكان يكون بالثلاثة بالقلب واللسان والأفعال.

فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك فقال فمن أنتم فقال وفد الشرك جئناك نشكرك وننصرف وأنشدوا :

ومن الرزية أن شكرى صامت　　　عما فعلت وأن برك ناطق

وأرى الصنيعة منك ثم أسرها　　　إنى إذاً ليد الكريم لسارق

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أرحم عبادى المبتلى والمعافى فقال ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتى إياهم وقيل الحمد لله على الأنفاس والشكر على نعم الحواس الحمد ابتداء منه والشكر اقتداء منك ، وفى الخبر الصحيح « أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله تعالى على كل حال » وقيل الحمد لله على مادفع والشكر على ما صنع . وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فى بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال إنى كنت فى ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى لى كذلك تهوانى فاتفق أنها تزوجت منى فليلة زفافها قلنا تعال حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ .



بـــاب اليقـــين

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

(حدثنا) الأستاذ الإمام أبو بكرمحمد بن الحسن بن فورك قال حدثنا أبو بكر

أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازى قال حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال حدثنا خالد يعنى ابن يزيد قال حدثنا سفيان الثورى وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمى عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا ترضين أحدا بسخط الله تعالى ولا تحمدن أحدا على فضل الله عز وجل ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله تعالى فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره وإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط .

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى قال حدثنا عياش بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال أبو عبد الله الأنطاكى إن أثقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نورا[١] . وينفى عنه كل ريب ويمتلئ القلب به شكرا ومن الله تعالى خوفا . ويحكى عن أبى جعفر الحداد قال رآنى أبو تراب النخشبى وأنا فى البادية جالس على بركة ماء ولى ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب فقال لى ما جلوسك فقلت أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه يعنى إن غلب العلم شربت وإن غلب اليقين مررت فقال لى سيكون لك شأن[٢] . وقال أبو عثمان الحيرى اليقين قلة الاهتمام[٣] لغد[٤] . وقال سهل بن عبد الله اليقين من زيادة الإيمان ومن تحقيقه وقال سهل أيضاً اليقين شعبة من الإيمان وهو دون التصديق وقال بعضهم اليقين هو العلم المستودع فى القلوب يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب وقال سهل ابتداء اليقين المكاشفة ولذلك قال بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ثم المعاينة والمشاهدة وقال أبو عبد الله بن خفيف

---

(١) (يملأ القلب نورا) أى يصير القلب به على بصيرة من الأمور بحيث يصير به المعلوم مشاهدا أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية وامتناع العلائق الطبيعية .

(٢) (شأن) أى ارتفاع ومن شأنه مواصلته ستة عشر يوما ولم يأذن له فى الشرب بل انتظر ما يفعل الله به ليتقوى يقينه بالخوارق من العادات .

(٣) (قلة الاهتمام) بالمطعم ونحوه .

(٤) (لغد) هذا من جملة اليقين وإلا فلليقين متعلقات كثيرة غيره .

اليقين تحقق الأسرار بإحكام المغيبات وقال أبو بكر بن طاهر العلم بمعارضة الشكوك واليقين لا شك فيه أشار إلى العلم الكسبى وما يجرى مجرى البديهى وكذلك علوم القوم فى الابتداء كسبى وفى الانتهاء بديهى سمعت محمد بن الحسين يقول قال بعضهم أول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة والإيمان اسم يجمع هذا كله أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب ثم إذا توالت الأدلة وحصل البيان صار بتوالى الأنوار وحصول الاستبصار كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ثم تصديق الحق سبحانه فيما أخبر عنه عند إصغائه إلى إجابة الداعى فيما يخبر من أفعاله سبحانه فى المستأنف لأن التصديق إنما يكون فى الإخبار ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيما أمر به والتجرد عما زجر عنه وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك فيما سمعته يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض بها القلب . وقال سهل بن عبد الله حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى. وقال ذو النون المصرى اليقين داع إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر فى العواقب . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ثلاثة من أعلام اليقين قلة مخالطة الناس فى العشرة وترك المدح لهم فى العطية[١] والتنزه[٢] عن ذمهم عند المنع وثلاثة من أعلام يقين اليقين النظر إلى الله تعالى فى

---

(١) (وترك المدح لهم فى العطية) وإن أمر الآخذ منهم بشكرهم والدعاء لهم ولا يلزم منهما المدح لأنهما يحصلان بنحو جزاك الله خيرا وأكرمك الله وأعاننا الله تعالى على مكافأتك والمدح ذكر المحاسن التى تقرن غالباً بدخول العجب على الممدوح .

(٢) (والتنزه .. إلخ) أى منعهم من الإعطاء لأن المانع فى الحقيقة هنا غيرهم وهو الله تعالى ولا يليق الذم بغير الفاعل وذم الفاعل مجازا يخشى منه ذم الفاعل حقيقة وبالجملة من تيقن أن الله هوالرزاق فى سائر أحواله حصلت له الثلاثة .

كل شيء والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وقال الجنيد اليقين هو استقرار العلم الذى لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب وقال ابن عطاء على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين وأصل التقوى مباينة النهى ومباينة النهى مباينة النفس فعلى قدر مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين وقال بعضهم اليقين هو المكاشفة والمكاشفة على ثلاثة أوجه مكاشفة بالإخبار ومكاشفة بإظهار القدرة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان واعلم أن المكاشفة في كلامهم عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائى بين اليقظة والنوم وكثيرا ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة بالثبات .. سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول سألت أبا عثمان المغربي فقلت ماهذا الذى تقول قال الأشخاص أراهم كذا وكذا فقلت تراهم معاينة أو مكاشفة فقال مكاشفة وقال عامر بن عبد قيس لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقيل اليقين رؤية العيان بقوة الإيمان وقيل اليقين زوال المعارضات وقال الجنيد اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب. سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى ابن مريم عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء قال رحمه الله تعالى أنه أشار بهذا إلى حال نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج لأن في لطائف المعراج أنه قال « رأيت البراق قد بقى ومشيت ».. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول وقد سئل عن اليقين فقال اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيا.. وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول سمعت على بن سهل يقول الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات واليقين خطرات كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور والحضور دوام ذلك فكأنه جوز حصول اليقين خالياً من الحضور وأحال جواز الحضور بلا يقين ولهذا قال النورى اليقين المشاهدة يعنى أن في المشاهدة يقيناً لا شك فيه لأنه لا يشاهده تعالى من لا يثق بمأمنه وقال أبو بكر الوراق اليقين ملاك القلب وبه كمال

الإيمان وباليقين عرف الله تعالى وبالعقل عقل عن الله تعالى وقال الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفراً يقول قال إبراهيم الخواص لقيت غلاماً فى التيه كأنه سبيكة فضة فقلت إلى أين ياغلام فقال إلى مكة حرسها الله تعالى فقلت بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة فقال لى يا ضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر على أن يوصلنى إلى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة حرسها الله تعالى إذا أنا به فى الطواف وهو يقول :

يا عين سحى أبدا يا نفس موتى كمدا
ولا تحبى أحدا إلا الجليل الصمدا

فلما رآنى قال ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة وقال أبو بكر الوراق اليقين على ثلاثة أوجه يقين خبر[١] ويقين دلاله[٢] . ويقين مشاهدة وقال أبو تراب رأيت غلاماً فى البادية يمشى بلا زاد فقلت إن لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام فى مثل هذا الموضع بلا زاد فقال يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل فقلت الآن اذهب حيث شئت .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت محمد بن عيسى يقول قال أبو سعيد الخراز العلم ما استعملك واليقين ما حملك[٣] . وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان الآدمى يقول

---

(١) (خبر) وهو العلم الحاصل عن خبر الأنبياء بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار وغيرهما من أحوال يوم القيامة أو ما يسمى بالغيبات أو ما وراء الطبيعة .

(٢) (ويقين دلالة) وهو ماحدث بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه وكماله وكمال صفاته .

(٣) (ما حملك) وهو العلم بأنه لافاعل إلا الله فلا معين إلا الله ولا معين سواه ولا يجرى =

سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدت السمك فيوماً وقعت فى الشبكة سمكة فأخرجتها وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت أخرى فيها فرميت بها ثم عدت فهتف بى هاتف لم تجد معاشاً إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتلهم(١). قال فكسرت القصبة وتركت الاصطياد .



بـــاب الصـبر (٢)

قـال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾

(أخبرنـا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أحمد بن على الخراز قال حدثنا أسيد بن زيد قال حدثنا مسعود بن سعد عن الزيات عن أبى هريرة عن عائشة رضى الله عنها رفعته قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الصبر عند الصدمة الأولى » .

(وأخبرنـا) على بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبيد الله قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا محمد بن مرداس قال حدثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن أبى ميمونة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الصبر عند الصدمة الأولى » . ثم الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى عنه وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة ما يتصل

= عليك إلا ما سبق لك عنده .

(١) (فتقتلهم) نزل السمك منزلة من يعقل فعبر عنه بما يعبر عمن يعقل ولم يقل فتقتلها .

(٢) (الصبر) هو حبس النفس على كريه تتحمله أو لذيذ تفارقه وهو ممدوح ومطلوب .

به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الله تعالى شديد والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله عز وجل أشد فسئل عن الصبر [1] . فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله تعالى وما صبرك إلا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال صلى الله عليه وآله وسلم « بك أحيا وبك أموت ». سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عياشاً يقول سمعت أحمد يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب فكيف على ما نكره وقال ذو النون الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقيل هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذى عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال أبو عثمان أحسن الجزاء على عبادة الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله عز وجل﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾وقال عمرو بن عثمان الصبرهو الثبات مع الله سبحانه تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشد :

الصبر يجمل فى المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يجمـــل

وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله تعالى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الصبر كإسمه وأنشدنى الشيخ

(١) (الصبر) يعنى من قام به الصبر ففى الكلام مجاز مرسل.

أبوعبد الرحمن السلمى قال أنشدنى أبو بكر الرازى قال أنشدنى ابن عطاء لنفسه :

سأصبر كى ترضى وأتلف حسرة وحسبى أن ترضى ويتلفنى صبرى

وقال أبو عبد الله بن خفيف الصبر على ثلاثة أقسام متصبر وصابر وصبار وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الصبر مطية لاتكبو (١) .. سمعت محمد ابن الحسن يقول سمعت على بن عبد الله البصرى يقول وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله عز وجل فقال لا فقال الصبر لله تعالى قال لا قال الصبر مع الله تعالى قال لا قال فأى شىء قال الصبر عن الله عز وجل قال فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه أن تتلف وسمعته يقول سمعت محمد ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبرى وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى إلى دمعتى سرا فتجرى ولا أدرى

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله تعالى معيته قال الله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ وقيل فى معنى قوله تعالى ﴿ اصْبِرُوا (٢) وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم عن البلوى فى الله تعالى ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله تعالى وقيل اصبروا فى الله تعالى وصابروا بالله تعالى ورابطوا مع الله تعالى وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق

---

(١) (لاتكبوا) لخبر من تأنى أصاب أوكاد ولا يمكنه التأنى وترك العجلة إلا بالصبر فمن جعل الصبر مطيته استقام فى سيره وبعد خطؤه فى علمه وعمله .

(٢) (اصبروا) وهو الصبر على تغير الأخلاق المذمومة والاتصاف بالأخلاق المحمودة والاشتغال بأنواع الطاعات .

بأخلاقى وإن من أخلاقى أننى أنا الصبور وقيل تجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيدا وإن أحياك أحياك عزيزا وقيل الصبر لله (١) تعالى عناء والصبر بالله تعالى بقاء والصبر فى الله تعالى بلاء والصبر مع الله (٢) تعالى وفاء والصبر عن الله تعالى جفاء وأنشدوا :

والصبر عنك فمذموم عواقبـــه   والصبر فى سائر الأشياء محمود

وأنشدوا :

وكيف الصبر عــمن حل منى   بمنزلة اليمين من الشمال

إذا لعب الرجـــال بـــكل شيء   رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج سمعت منصور بن خلف المغربى يقول جرد واحد للسياط فلما رد إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فسئل فقال كان فى فمى درهمان وكان على حاشية الحلقة لى عين فلم أرد أن أصيح لرؤيته إياى فكنت أعض على الدرهمين فتكسرا فى فمى وقيل حالك التى أنت فيها رباطك وما دون الله تعالى أعداؤك فأحسن المرابطة فى رباط حالك . وقيل المصابرة هى الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر فى الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصـــ   ـــبر فصاح المحب بالصبر صبرا

وقيل حبس الشبلى وقتا فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحباؤك جاءوك زائرين فأخذ يرميهم بالحجر وأخذوا يهربون فقال يا كذابون لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى وفى بعض الأخبار بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى وقال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقال بعضهم كنت

---

(١)(الصبر لله) وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله فكل منه تعالى وهو متأدب معه حال ما يرد منه راض بذلك

(٢)(الصبر مع الله) وهوالصبر على ذلك من التبرى من الحول والقوةفلا حول ولا قوةإلا بالله

بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثله فيوما من الأيام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقيل رؤى حدث يضرب وجه شيخ بنعله فقيل له ألا تستحى تضرب حروجه شيخ مثل هذا فقال جرمه عظيم فقيل وما ذاك .. فقال هذا الشيخ يدعى أنه يهوانى ومنذ ثلاث ما رآنى وقال بعضهم دخلت بلاد الهند فرأيت رجلا بفرد عين يسمى فلانا الصبور فسألت عن حاله فقيل هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج فى وداعه فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى فقال لعينه التى لم تدمع لِمَ لم تدمعى على فراق صاحبى لأحرمنك النظر إلي الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه وقيل فى قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وآله سلم سئل عن الإيمان فقال الصبر والسماحة(١) .

(أخبرنا)الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفى قال حدثنا محمد بن على التيجانى قال حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى قال حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا سويد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن عبيد عن عمير عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وسئل السرى عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدب على رجله عقرب وهى تضربه بإبرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لِم لم تنحها قال استحييت (٢)من الله

---

(١) (والسماحة) بالقربات ولذلك قيل الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالصبر على البلايا والشكر على النعم وفيه دليل على أن الإيمان يطلق على أعمال الجوارح لا على الإيمان بالقلب فقط .

(٢) (قال استحييت .. إلخ) فيه أن العبد لا يتكلم فى شىء من علوم المقامات والأحوال =

تعالى أن أتكلم فى الصبر ولم أصبر. وفى بعض الأخبار الفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فما طلته بالإجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شيء به أرحمك وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ قال لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء. سمعت الأستاذ أبا على يقول إن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال تعالى فى قصة أيوب: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ ﴾ مع ما أخبرعنه أنه قال ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ وسمعته يقول استخرج الله منه هذه المقالة يعنى قوله﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ لتكون متنفسا لضعفاء هذه الأمة وقال بعضهم إنا وجدناه صابراً ولم يقل صبوراً لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر بل كان فى بعض أحواله يستلذ البلاء ويستعذبه فلم يكن فى حالة الاستلذاذ صابرا فلذلك لم يقل صبورا . سمعت الأستاذ أبا على يقول حقيقة الصبر الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال فى آخر بلائه ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ولم يصرح بقوله ارحمنى . واعلم أن الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفى معناه أنشدوا:

تبين يوم البين أن اعتزامه ... على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفى هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أى فشأنى صبر جميل ثم لم يمس حتى قال ﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾.

= الصالحات حتى يكون متخلقاً به ليسلم من الدخول فى ذم الله لمن يقول مالا يفعل فيسلم من مقته كما قال تعالى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ لكن هذا المقت إنما يكون للمرائى فى كلامه الذى يوهم الناس أنه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم وللكذاب المستشبع بما لم ينل هو المدعى لمقام لم يبلغه .

بــــاب المراقبـــة

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ ..

(أخبرنــا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسين بن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى قال جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى صورة رجل فقال يا محمد ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وحلوه ومره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسأله ويصدقه قال فأخبرنى ما الإسلام قال الإسلام أن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت فأخبرنى ما الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت الحديث قال الشيخ هذا الذى قاله صلى الله عليه وآله وسلم فإن لم تكن تراه فإنه يراك إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير له لا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق أو أحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الأنفاس وراقب الله تعالى فى عموم أحواله فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم بينه وبين الله تعالــى التقوى والمراقبة [1]. لم

---

(١) (المراقبة) فى لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحا فى عرف السادة الصوفية دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى ويراقب ما يبدو من أفعاله وأحكامه ويعبر عنه باستشعارك =

يصل إلى الكشف والمشاهدة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان لبعض الأمراء وزير وكان بين يديه يوما فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير فى تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم لريبة فجعل ينظر إليه كذلك فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير وهو أبدا ينظر إلى جانب حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه وحول فيه فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده . سمعت بعض الفقراء يقول كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له فى ذلك فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فيوما من الأيام كان راكبا ومعه الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ومعه شيء من الثلج فقال له الأمير ما أدراك إنى أردت الثلج فقال الغلام لأنك نظرت إليه ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح فقال الأمير إنما أخصه بإكرامى وإقبالى لأن لكل أحد شغلا وشغله مراعاة لحظاتى ومراقبة أحوالى وقال بعضهم من راقب الله تعالى فى خواطره عصمه الله تعالى فى جوارحه وسئل أبو الحسين ابن هند متى يهش الراعى غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكه فقال إذا علم أن عليه رقيبا وقيل كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنم فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال إنها ليست لى فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة فقال العبد فأين الله [١] فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة

= نظر الله إليك فى حركاتك وسكناتك وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه وثمرتها حسن الآداب والسلامة من شدائد الحساب والتحلى بحلية الأولياء ذوى الألباب وهى ممدوحة مطلوبة .

(١) (فأين الله) فإنه يعلم ذلك ويؤاخذنى به .

قال ذلك العبد فأين الله [١] . وقال الجنيد من تحقق [٢] . فى المراقبة خاف على فوت حظه من ربه عز وجل لاغير [٣] . وكان بعض المشايخ له تلامذة فكان يخص واحدا منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك فقال أبين لكم ذلك فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراه أحد ودفع إلى هذا أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره وجاء هذا بالطائر حيا فقال هلا ذبحته فقال أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ولم أجد موضعا لا يراه فيه أحد فقال لهذا أخصه بإقبالى عليه وقال ذو النون علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله تعالى وتصغير ماصغر الله تعالى وقال النصراباذى الرجاء يحركك إلى الطاعات والخوف يبعدك عن المعاصى والمراقبة تؤديك إلى طرق الحقائق . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال مراعاة السر لملاحظة الحق سبحانه مع كل خطرة وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم عن ظاهرك قائما وسمعته يقول سمعت أبا القاسم البغدادى يقول سمعت المرتعش يقول المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال إبراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة

---

(١) (فأين الله) لأنه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا وروى أنه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم فأعتقه ووهبها له رضى الله تعالى عنه.

(٢) (تحقق) أى ثبت .

(٤) (لاغير) لأن المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرفع عنه الحجاب وقد يراقبها ليكون من الأحباب فإذا وصل إلى هذا الحال الشريف راقب ربه ودام نظره لما يتفضل به عليه تعالى ليسلم من الغفلات التى يفوت بسببها حظه من مولاه تعالى.

وسياسة عمله بالعلم وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لى بعض مشايخى عليك بمراعاة- سرك والمراقبة قال فبينا أنا يوما أسير فى البادية إذا أنا بخشخشة خلفى فهالنى ذلك وأردت أن ألتفت فلم ألتفت فرأيت شيئا واقفا على كتفى فانصرف وأنا مراع لسرى ثم التفت فإذا أنا بسبع عظيم وقال الواسطى أفضل الطاعات حفظ الأوقات وهو أن لا يطالع العبد غير حده ولا يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته .



بـــاب الرضـــا

قـال الله تعالى عز وجل : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية ..

(أخبرنـــا) على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا الكريمى قال حدثنا يعقوب بن إسماعيل السلال قال حدثنا أبو عاصم العبادانى عن الفضل بن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا روسهم فإذا الرب تعالى قال أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى فقالوا نسألك الرضا عنا قال تعالى رضاى قد أحلكم دارى وأنالكم كرامتى هذا أوانها فاسألونى قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر

أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار وتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبؤس[١] ونحن الخالدات [٢] فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر الله عز وجل بكثبان[٣] من مسك أبيض أذفر[٤] فتثير عليهم ريحا[٥]. يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة [٦]. فتقول الملائكة ياربنا قد جاء القوم فيقول مرحباً بالصادقين مرحباً بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا [٧]. يقول أرجعوهم إلى القصور بالتحف قال فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله : ﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾وقد اختلف العراقيون والخراسيون فى الرضا هل هو من الأحوال أو من المقامات فلأهل خراسان قالوا الرضا من المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه أنه يؤول إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه أما العراقيون فإنهم قالوا الرضا من جملة الأحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ويمكن الجمع بين اللسانين [٨] فيقال بداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة[٩]. وتكلم الناس فى الرضا فكل عبر عن حاله وشربه فهم فى العبارة عنه مختلفون كما أنهم فى الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فأما شرط العلم الذى هو لابد منه

(١) (فلا نبؤس) أى فلا تجد عندنا شدة ،من بؤس الرجل يبؤس بأسا إذا كان شديد البأس أى الشدة .

(٢) (الخالدات) أى دائمات البقاء .

(٣) (بكثبان) أى تلال .

(٤) (أذفر) بالذال المنقوطة أى بين الذفر بفتح الفاءء الرائحة الطيبة .

(٥) (ريحا) أى رائحة .

(٦) (قصبة الجنة) أى وسطها .

(٧) (لا يبصر بعضهم بعضا) لاشتغال كل بتمتعه بذلك

(٨) ((اللسانين) أى قول الفريقين .

(٩) (بمكتسبة) له كالنوازل الضرورية كالرعشة والرعدة بالحمى .

فالراضى بالله تعالى هو الذى لا يعترض على تقديره .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء. واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضا به إذ ليس كل ماهو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصى وفتون محن المسلمين وقال المشايخ الرضا باب الله الأعظم يعنون أن من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحاب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى. سمعت محمد بن الحسين يقول أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا بن أبى الحوارى قال قال عبد الواحد ابن زيد الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا واعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه لأن الله عز وجل قال ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال تلميذ لأستاذه هل يعرف العبد أن الله تعالى راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال التلميذ الولى يعلم ذلك فقال وكيف قال إذا وجدت قلبى راضيا عن الله تعالى علمت أنه راض عنى فقال الأستاذ أحسنت يا غلام وقيل قال موسى عليه السلام إلهى دلنى على عمل إذا عملته رضيت به عنى فقال إنك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران إن رضاى فى رضاك بقضائى..

(أخبرنا) الشيخ عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا أبو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول من أراد أن يبلغ محل الرضا فيلزم ماجعل الله رضاه فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه فالرضا به أن يرضاه مدبراً والرضا عنه فيما يقضى.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول طريق السالكين أطول وهو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك بالقضاء. وقال رويم الرضا أنه لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره وقال أبو بكر بن طاهر الرضا إخراج الكراهية من القلب حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور وقال

الواسطى استعمل الرضا جهدك ولاتداع الرضا يستعملك فتكون محجوباً بلذاته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع . واعلم أن هذا الكلام الذى قاله الواسطى شيء عظيم وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية فإن السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محول الأحوال فإذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه[١] . ولقد قال الواسطى أيضا إياكم واستحلاء الطاعات فإنها سموم قاتلة وقال ابن خفيف الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره له. وسئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضيا فقالت إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة وقيل قال الشبلى بين يدى الجنيد لا حول ولا قوة إلا بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء فسكت الشبلى وقال أبو سليمان الدارانى الرضا أن تسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيذ به من النار . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ثلاثة من أعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب فى حشو البلاء[٢] . وسمعته يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادى يقول سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد ابن يزيد المبرد يقول قيل للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما أن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة فقال رحم الله تعالى أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله عز وجل له وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا

---

(١) (شهود حقه) أى ربه تعالى أو حقه الذى فوق حاله فلا ينبغى للنفس أن تسكن إلى حال وتقف معه بل حقها أن تعرف النعم وتشكر عليها وترتقب المزيد من الحق ناظرة إليه فسكت الشبلى إما لما فهمه الجنيد أو لأنه كان راضياً ولكنه تبرأ من دعوى هذا المقام ورآه إنما هو بحول الله وقوته وعونه فإن كل مقام لا قوة للعبد على القيام به إلا بعون ربه تعالى.

(٢) (فى حشو البلاء) لأن الراضى بحسن ما يجريه الله عليه لا اختيار له وإنما هو مذعن لما يختاره الله له لعلمه بفضل ربه عليه وحسن اختياره له فيما يجريه عليه ومتى كان اختيار فى نفسه فهو مع نفسه راض بحكمها لا بحكم ربه .

لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته . وسئل أبو عثمان عن قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « أسألك الرضا بعد القضاء » فقال لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا والرضا بعد القضاء هو الرضا. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت ابن أبى حسان الأنماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول أرجو أن أكون عرفت طرفاً من الرضا لو أنه أدخلنى النار لكنت بذلك راضياً وقال أبو عمر الدمشقى الرضا ارتفاع الجزع فى أى حكم كان وقال الجنيد الرضا رفع الاختيار وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط وقال رويم الرضا استقبال الأحكام بالفرح وقال المحاسبى الرضا سكون القلب تحت مجارى الأحكام وقال النورى الرضا سكون القلب بمر القضاء .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول من رضى بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته وسمعته يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قال أبو تراب النخشبى ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن شترويه قال حدثنا بشر بن الحكم قال حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن يزيد بن الهادى عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً » . وقيل كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إلى أبى موسى الأشعرى أما بعد فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر وقيل إن عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح إن تعذبنى فأنا لك محب وإن ترحمنى فأنا لك محب.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإنسان خزف وليس للخزف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحق تعالى وقال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله عز وحل فى حال فكرهته وما نقلنى إلى غيره فسخطته . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول غضب رجل عبد له فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً فعفا عنه فأخذ العبد يبكى فقال له الشفيع لم تبك وقد عفا عنك سيدك فقال له السيد إنه يطلب الرضا منى ولا سبيل إليه فإنما أبكى لأجله .

بـــاب العبوديـة

قال الله عز وجل : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ..

(أخبرنا) أبو الحسن الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادلة وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول العبودية (١) أتم من العبادة فأولا عبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخاص (٢) . وسمعته يقول العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين وسمعته يقول العبادة لأصحاب المجاهدات والعبودية لأرباب المكابدات والعبودة صفة أهل المشاهدات فمن لم يدخر عنه نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضمن عليه بقلبه فهو صاحب

---

(١) (العبودية) هى تذلل وتبرم من الحول والقوة فى عبادته ويقال غير ذلك كما سيأتى وأصلها العبادة وهى القيام بالفعل المطلوب شرعا وهى ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (والعبودة لخاص الخاص) لكمال معرفته بربه حيث أتى بما طلب منه ورأى نفسه محلا لجريان قضاء الله فيه ولتوقيعه له فى فعل ما طلب منه فقلبه أقرب إلى مقام الجمع وهو إفراد الحق بالفعل من الثانى لأن الثانى شاهد لنفسه كسباً واختيارا وإن كان مفتقراً لعون ربه فيما يختاره والأول أقرب إلى مقام التفرقة لكونه يرى نفسه عابداً محسناً مطيعاً ويطلب الجزاء على عمله.

عبودية ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة ويقال العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير ويقال العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار ويقال العبودية التبرؤ من الحول والقوة والإقرار بما يعطيك ويوليك من الطول والمنة ويقال العبودية معانقة ما أمرت به ومفارقة ما زجرت عنه. وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية فقال إذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصح التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء من الجوع والعرى والفقر والذل وقيل العبودية أن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك وقيل من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير وقال ذو النون المصرى العبودية أن تكون أنت عبده فى كل حال كما أنه ربك فى كل حال وقال الجريرى عبيد النعم كثير عديدهم وعبيد المنعم عزيز وجودهم. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول أنت عبد من أنت فى رقة وأسره فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبد نفسك وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة » ورأى أبو رزين رجلا فقال له ما حرفتك فقال خربندة فقال أمات الله تعالى حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت جدى أبا عمرو ابن نجيد يقول لا تصفو لأحد قدم فى العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى(١) . وسمعته يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادما فإذا طلب لنفسه خادما فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول

(١) (وأحواله دعاوى) مع سلامتهما فى الواقع من ذلك بأن يتبرأ من إضافتهما إليه فإنه إن أضاف إليه الأعمال كان مرائيا لكونه نظر فيها لغير الله أو الأحوال مدعيا لما لا يملكه فإذا شاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى كان مخلصا بإضافته ذلك إلى الله كما مر .

سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة فى العدم ولا أثر الغنى فى الوجود وقيل العبودية شهود الربوبية (١) .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول سمعت النصراباذى يقول قيمة العابد بمعبوده كما أن شرف العارف بمعروفه وقال أبو حفص العبودية زينة العبد فمن تركها تعطل من الزينة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عباس بن حمزة يقول أخبرنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت النباجى يقول أصل العبادة فى ثلاثة أشياء لا ترد من أحكامه شيئا ولا تدخر عنه شيئا ولا يسمعك تسأل غيره حاجة وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول العبودية فى أربع خصال الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر عن المفقود وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الكتانى يقول سمعت عمر بن عثمان المكى يقول ما رأيت أحدا من المتعبدين فى كثرة من لقيت بمكة حرسها الله تعالى وغيرها ولا أحدا ممن قدم علينا فى المواسم أشد اجتهادا ولا أدوم على العبادة من المزنى رحمه الله تعالى ولا رأيت أحداً أشد تعظيما لأوامر الله تعالى منه وما رأيت أحداً أشد تضييقا على نفسه وتوسعة على الناس منه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ولذلك قال سبحانه فى وصف النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته فى الدنيا ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به وفى معناه أنشدوا :

---

(١) (شهود الربوبيةِ) وهو سبب عظيم فى دوام العبودية لأن العبد إذا توالت عليه مراقبته لجلال مولاه ذل فى نفسه بالنظر لما هى عليه من جهة طبعها هى لا بالنظر لما خصها به ربها من كرامته .

يا عمرو ثأرى عند زهرائى   يعرفه السـامع والرائـى
لا تدعنى إلا بيا عبدهـا   فإنـه أشـرف أسمائى

وقال بعضهم إنما هو شيئان سكونك إلى اللذة واعتمادك على الحركة فإذا أسقطت عنك هذين فقد أديت العبودية حقها كما قال الواسطى احذروا لذة العطاء فإنها غطاء لأهل الصفاء قال أبو على الجوزجانى الرضا دار العبودية والصبر بابه والتفويض بيته فالصوت على الباب والفراغة فى الدار والراحة فى البيت . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كما أن الربوبية نعت للحق سبحانه لا يزول فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام وأنشد بعضهم :

فإن تسألونى قلت ها أنا عبده   وإن سألوه قال هذاك مولايا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء عليها وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول العبودية إسقاط رؤية التعبد فى مشاهدة المعبود وسمعته يقول سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول العبودية ترك الأشغال والاشتغال بالشغل الذى هو أصل الفراغة .



بــاب الإرادة[١].

قال الله عز وجل : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا هشام بن على قال حدثنا الحكم بن أسلم قال أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله فقيل له كيف يستعمله يارسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت » والإرادة بدء طريق السالكين وهى اسم لأول منزلة القاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله فلما كان أول الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سمى إرادة تشبيها بالقصد فى الأمور الذى هو مقدمتها والمؤيد على موجب الاشتقاق من له إرادة كما أن العالم من له علم لأنه من الأسماء المشتقة ولكن المريد فى عرف هذه الطائفة من لا إرادة له[٢] . فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريدا كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً وتكلم الناس فى معنى الإرادة فكل عبر على حسب ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا الإرادة ترك ماعليه العادة[٣] . وعادة الناس فى الغالب التعريج فى أوطان الغفلة والركون إلى اتباع الشهوة والإخلاد إلى ما دعت إليه المنية والمريد منسلخ عن هذه الجملة [٤] . فصار خروجه أمارة ودلالة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة

(١) (الإرادة) هى عند السادة الصوفية التجرد لله فى السلوك إلى كمال التوحيد وهى ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (من لا إرادة له) أى لا اختيار له فى نفسه ولا تمييز لمراده وإنها تجرد من مراده الحق تعالى .

(٣) (ترك ما عليه العادة) لأن من اجتهد فى طلب الحق أعرض عن عاداته إذ هما لا يجتماعان.

(٤) (هذه الجملة) أى التعريج الركون والإخلاد إلى ما ذكر .

إرادة [١]. وهى خروج عن العادة فإذن ترك العادة أمارة الإرادة فأما حقيقتها فهى نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال إنها لوعة تهون كل روعة . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول حاكيا عن ممشاد الدينورى أنه قال مذ علمت أن أحوال الفقراء جد كلها لم أمازح فقيراً وذلك أن فقيرا قدم على فقال أيها الشيخ أريد أن تتخذ لى عصيدة فجرى على لسانى إرادة وعصيدة فتأخر الفقير [٢]. ولم أشعر به فأمرت باتخاذ عصيدة وطلبت الفقير فلم أجده فتعرفت خبره فقيل لى إنه انصرف من فوره وكان يقول فى نفسه إرادة وعصيدة إرادة وعصيدة وهام على وجهه حتى دخل البادية ولم يقول هذه الكلمة حتى مات وعن بعض المشايخ قال كنت بالبادية وحدى فضاق صدرى فقلت يا إنس كلمونى يا جن كلمونى فهتف بى هاتف إيش تريد فقلت أريد الله تعالى فقال متى تريد يعنى أن من قال للجن والإنس كلمونى متى يكون مريدا لله عز وجل . والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار فهو فى الظاهر ينعت المجاهدات وفى الباطن يوصف المكابدات فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب وعالج الأخلاق ومارس المشاق وعانق الأهوال وفارق الأشكال كما قيل :

ثم قطعت الليل فى مهمه لا أسدا أخشى ولا ذيبا

يغلبنى شوقى فأطوى السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإرادة لوعة فى الفؤاد لدغة فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن نيران تتأجج فى القلوب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر السباك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول كان بين أبى سليمان وأحمد بن أبى الحوارى عقد لا يخالفه أحمد فى شىء يأمره به فجاء يوما وهو يتكلم فى مجلسه فقال إن التنور قد سجر فما

(١) (إرادة) أى تشتهى إرادة .

(٢) (فتأخر الفقير) أى فلما سمع منه الفقير ذلك أخذته غيرة وقوَى حاله وتأخر وانصرف.

تأمر فلم يجبه فقال مرتين أو ثلاثة فقال أبو سليمان اذهب فاقعد فيه كأنه ضاق به قلبه وتغافل عنه أبو سليمان ساعة ثم ذكر فقال أدركوا أحمد فإنه فى التنور لأنه آلى على نفسه أن لا يخالفنى فنظروا فإذا هو فى التنور لم تحترق منه شعرة (١) وسمعت الأستاذ أبا على يقول كنت فى ابتداء صباى محترقا فى الإرادة وكنت أول فى نفسى ليت شعرى ما معنى الإرادة وقيل من صفات المريدين التحبب إليه بالنوافل والخلوص فى نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمره والحياء من نظره و بذل المجهود فى محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل إليه والقناعة بالخمول (٢) . وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب وقال أبو بكر الوراق آفة المريد ثلاثة أشياء التزويج وكتبة الحديث والأسفار وقيل له لم تركت كتابة الحديث فقال منعتنى عنها الإرادة (٣) وقال حاتم الأصم إذا رأيت المريد يريد غير مراده فاعلم أنه قد أظهر بذالته . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء نومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة وسمعته يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول إذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة الفقراء وسمعته يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الدقاق يقول سمعت الدقاق يقول نهاية الإرادة أن تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة قلت فأى شيء يستوعب الإرادة فقال أن تجد الله تعالى بلا إشارة. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عباس بن أبى الصحو يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة وقال أبو عثمان

---

(١) (لم تحترق منه شعرة) كأنه كان يعلم من حال أحمد أن العادة انخرقت له فى أن النار لا تؤثر فيه فأمره بذلك وامتثل أحمد وفائدة حكاية ذلك تعريف الناس منزلة أحمد ورفعة مقامة ليقتدى به من بعده وطلب كمال الحد والامتثال لأوامر المشايخ فى السلوك .

(٢) (والقناعة بالخمول) ليسلم من آفات الشهرة وما يدخل عليه من تشويش الخلق وتعلقهم به إذا عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه .

(٣) (منعتنى عنها الإرادة) لما بينهما من المنافاة فهما لا يجتمعان كما علم مما مر .

الحيرى من لم تصح إرادته بدارا لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدبارا وقال أبو عثمان المريد إذا سمع شيئاً من علوم القوم فعمل به صار حكمة فى قلبه إلى آخر عمره ينتفع به ولو تكلم به انتفع به من سمعه ومن سمع شيئا من علومهم ولم يعمل به كان حكاية يحفظها أياماً ثم ينساها وقال الواسطى أول مقام المريد إرادة الحق بإسقاط إرادته وقال يحيى بن معاذ أشد شىء على المريدين معاشرة الأضداد . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شىء وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر الخلدى يقول سئل الجنيد ما للمريدين فى مجاراة الحكايات فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين قيل له فهل لك فى ذلك شاهد فقال نعم قوله عز وجل ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾. وسمعته يقول سمعت محمد بن خالد يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول المريد الصادق غنى عن علم العلماء فأما الفرق بين المريد والمراد فكل مريد على الحقيقة مراد إذ لو لم يكن مراد الله عز وجل بأن يريده لم يكن مريدا إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى وكل مراد مريد لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد فالمريد عندهم هو المبتدئ والمراد هو المنتهى والمريد الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد الذى كفى بالأمر من غير مشقة فالمريد متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة فأكثرهم يوافقون للمجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتى إلى سنى المعانى وكثير منهم يكاشفون الابتداء بجليل المعانى ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات إلا أن أكثرهم يردون إلى المجاهدات بعد هذه الأرفاق ليستوفى منها ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة (١) . سمعت الأستاذ أبا

---

(١) (من أحكام أهل الرياضة) ليس مراده أنهم يردون إلى ما خرجوا منه من الأخلاق الذميمة والأعمال الشاقة بل مراده أنهم يلقون فى مقاماتهم العالية من المجاهدات وملازمة الآداب والامتحان فى ذلك ما لقيه أرباب البدايات فى بدايتهم فإن كل مقام عالٍ لابد له =

على الدقاق يقول المريد متحمل والمراد محمول . وسمعته يقول كان موسى عليه السلام مريدا فقال ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مرادا فقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وكذلك قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ وقال لنبينا صلى الله عليه واله وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وكان أبو على يقول إن المقصود قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وقوله ﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ستر للقصة وتحصيل للحالة . وسئل الجنيد عن المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم (١) . والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر وقيل أرسل ذو النون إلى أبى يزيد رجلا وقال له قل له إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال أبو يزيد قل لأخى ذى النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح فى المنزل قبل القافلة وقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا .



بـــاب الاستقامــة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ الآية ..

(أخبرنـا) الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال أخبرنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن

= من مواضع تسد عنه .

(١) (سياسة العلم) بأن يجاهد نفسه ويروضها فى أعمال قلبه وجوارحه بعلم الشريعة فيجمع بين الحسنيين وبذلك يكون محفوظاً عن الزيغ .

ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن النبى صلى الله عليه واليه وسلم قال «استقيموا ولن تحصوا[١] . واعلموا أن خير دينكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » (قال الأستاذ) الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ ومن لم يكن مستقيما فى صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره ولم يبن سلوكه على صحة فمن شرط المستأنف الاستقامة فى أحكام البداية كما أن من حق العارف الاستقامة فى آداب النهاية فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لاتشوب معاملتهم فترة ومن أمارات استقامة أهل الوسايط أن لا يصحب منازلتهم وقفة ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لا تتداخل مواصلتهم حجبه.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الإقامة ثم الاستقامة فالتقويم من حيث تأديب النفوس والإقامة من حيث تهذيب القلوب والاستقامة من حيث تقريب الأسرار وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى معنى قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾لم يشركوا وقال عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب فقول الصديق محمول على مراعاة الوصول فى التوحيد وقول عمر محمول على ترك طلب التأويل والقيام بشرط العهود وقال ابن عطاء استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى وقال أبو على الجوزجانى كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك عز وجل يطالبك بالاستقامه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا على الشبوى[٢] . يقول رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت له روى عنك أنك قلت « شيبتنى هود » فما الذى شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ وقيل إن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسول

---

(١) (ولن تحصوا) أى تستطيعوا الإقامة أى المخالفة للمعتاد .
(٢) (الشبوى) بفتح الشين المعجمة وبضم الباء الموحدة وكسر الواو المشددات .

والعادات[١] . والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « استقيموا ولن تحصوا » وقال الواسطى الخصلة التى بها كملت المحاسن وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة وحكى عن الشبلى أنه قال الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة ويقال الاستقامة فى الأقوال بترك الغيبة وفى الأفعال بنفى البدعة وفى الأعمال بنفى الفترة وفى الأحوال بنفى الحجبة سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول السين فى الاستقامة سين الطلب أى طلبوا من الحق أن يقيمهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم (قال الأستاذ) واعلم أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ لم يقل سقيناهم بل قال أسقيناهم يقال أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام[٢] .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت أبا العباس الفرغانى يقول قال الجنيد لقيت شاباً من المريدين فى البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت ما أجلسك ههنا فقال مال افتقدته فمضيت وتركته فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة فقلت ما جلوسك ههنا فقال وجدت ما كنت أطلبه فى هذا الموضع فلزمته قال الجنيد فلا أدرى أيهما كان أشرف لزومه لافتقاد حاله أو لزومه للموضع الذى نال فيه مراده .



(١) (العادات) من حظوظ النفس والقيام بين أيدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « استقيموا ولن تحصوا » وتقدم بيانه .

(٢) (فهو يشير إلى الدوام) أى دوام الخير من المطر وما يترتب عليه وما قاله جارٍ على قول من فرق بين سقاه وأسقاه والمشهور أنهما بمعنى إلا أن أسقاه فيه زيادة فى حروف الكلمة ويقول أهل اللغة أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ويقال سقيته لنفسه وأسقيته لماشيته وأرضه إذا هنا فرق حسب هذا القول .

بــــاب الإخـــلاص

قـال الله تعالى : ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنـا جعفر بى محمـد الفريابى قال حدثنا أبو طالـوت قـال حـدثنى هانئ بن عبد الرحمن بن أبى عقبة عن إبراهيم بن أبى عبلة العقيلى قال حدثنى عطية بن وشاح عن أنس بن مـالك قـال قـال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم « ثلاث لا يغل[1] . عليـهن قلب مسلم إخلاص العمل لله تعالى ومناصـحة ولاة الأمر ولزوم جمـاعة المسلمين » (قال الأستاذ) والإخلاص إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعتـه التقرب إلى الله سبحـانه دون شىء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب به إلى الله تعالى ويصح أن يقال الإخـلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ويصح أن يقال الإخـلاص التوقى عن ملاحظة الأشخـاص وقد ورد خبر مسند « أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم أخبـر عن جبريل عليه السلام عن الله سبحـانه وتعالـى أنه قال الإخـلاص سر من سرى استودعتـه قلب من أحببته من عبادى » .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول وقد سألته الإخـلاص ماهو فقال سمعت على بن سعيد وأحمد بن محمد بن زكريا وقد سألتهما عن الإخلاص فقالا سمعنا على بن إبراهيم الشقيقى وقد سألناه عن الإخلاص فقال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وقد سألته عن الإخـلاص فقال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشريطى عن الإخـلاص مـاهو قـال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو قال سألت الحسن عن الإخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن الإخلاص ماهو قال سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن

---

(١) (لا يغل) بفتح الياء مع ضم الغين أى لا يخون ومع كسرها أى لا يحقد .

الإخلاص ما هو قال « سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الإخلاص ماهو قال سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى ». سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الإخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق(١). والصدق التنقى من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له وقال ذو النون المصرى الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه وقال أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص(٢). وقال ذو النون ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وأما إخلاص الخواص فهو مايجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص الخواص وقال أبو بكر الدقاق نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاصه سقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلَصاً لا مخلِصاً وقال سهل لا يعرف الرياء إلا مخلص(٣). سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول قال لى رويم قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين وقال ذو النون

---

(١) (عن ملاحظة الخلق) بأن لا يفرح برؤيتهم لما هو فيه من العمل ليمدحوه ويصلوه أو لئلا يستنقصوه فلا تحلية ولا تخلية.

(٢) (احتاج إخلاصهم إلى خلاص) فحق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليه فمتى خالف ذلك لم يكمل خلاصه بل سماه بعضهم رياء فقال رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

(٣) (لا يعرف الرياء إلا مخلص) لأن الإخلاص ضد الرياء فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه وهو يشعر ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه لمعرفته به .

الإخلاص ما حفظ من العدو أن يفسده وقال أبو عثمان الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وقال حذيفة المرعشى الإخلاص أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن وقيل الإخلاص ما أريد به الحق سبحانه وقصد به الصدق وقيل الإغماض عن رؤية الأعمال . سمعت محمد بن الحسين قول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عبد الحميد يقول سمعت السرى يقول من تزين للناس بما ليست فيه سقط من عين الله تعالى وسمعته يقول سمعت على بن بندار الصوفى يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد ابن عبد ربه يقول سمعت الفضيل يقول ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقال الجنيد الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله. وقال رويم الإخلاص من العمل هو الذى لا يريد صاحبه عليه عوضا من الدارين ولا حظا من الملكين وقيل لسهل بن عبد الله أى شيء أشد على النفس فقال الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب . وسئل بعضهم عن الإخلاص فقال أن لا تشهد على عملك غير الله عز وجل .. وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة بيتا فرأيت فى البيت حية فجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى فقال ادخل لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه ثم قال هل لك فى صلاة الجمعة فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدى فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل .

(أخبرنا) حمزة بن يوسف الجرجانى قال حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا المقدسى قال حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلانى قال حدثنا زكريا بن نافع قال حدثنا محمد بن يزيد القراطيسى عن إسماعيل بن أبى خالد عن مكحول قال ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن

السلمي يقول.. سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت عبد الرازق يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول أعز شيء فى الدنيا الإخلاص وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى فكأنه ينبث على لون آخر وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول سمعت أبا الجهم يقول سمعت ابن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء.



بـــاب الصدق (١)

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(أخبرنا) الإمام أبو بكر محمد بن فورك رحمه الله قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله تعالى صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

(قال الأستاذ) والصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه وهو تالى درجة النبوة قال الله تعالى ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ الآية والصادق الاسم اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو الكثير الصدق الذى

---

(١) (الصدق) هو الحكم المطابق للواقع ويقال غير ذلك كما سيأتى ومحله اللسان والقلب والأفعال وكل منها يحتاج إلى لفظ يخصه فهو فى اللسان الإخبار عن الشيء على ماهو عليه وفى القلب العزم الأكيد وفى الأفعال إيقاعها على وجه النشاط والجد وسببه الوثوق بخبر المتصف به وثمرته مدح الله والخلق للمتصف به .

الصدق غالبه كالسكير[١]. والخمّير[٢]. وبابه وأقل الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فإن الله تعالى قال: ﴿ إن الله مع الصادقين ﴾[٣]. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الصادق يتقلب فى اليوم أربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة وقال أبو سليمان الدارانى لو أراد الصادق أن يصف ما فى قلبه مانطق به لسانه وقيل الصدق القول بالحق فى مواطن الهلكة وقيل الصدق موافقة السر النطق وقال القناد الصادق منع الحرام من الشدق وقال عبد الواحد بن زيد الصدق الوفاء لله عز وجل بالعمل. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق عبد مداهن نفسه أو غيره وقال أبو سعيد القرشى الصادق الذى يتهيأ له أن يموت ولا يستحى من سره لو كشف قال الله تعالى: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان أبو على الثقفى يتكلم يوماً فقال له عبد الله ابن منازل يا أبا على استعد للموت فلابد منه فقال أبو على وأنت يا عبد الله استعد للموت فلابد منه فتوسد عبد الله زراعه ووضع رأسه وقال قد مت فانقطع أبو على لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل لأنه كان لأبى على علاقات وكان عبد الله مجرداً لاشغل له .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم فصاحت عجوز فى المجلس صيحة فقال لها أبو العباس موتى فقامت وخطت خطوات ثم التفتت إليه وقالت قدمت ووقعت ميتة .. وقال الواسطى الصدق صحة التوحيد مع القصد وقيل نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل بدنه

---

(١) (كالسكير) الكثير السكر من شرب المسكر .

(٢) (والخمير) الكثير شرب الخمر.

(٣) (مع الصادقين) أى بالعون والحفظ لأنهم صدقوا فيه وفى القيام بحقه ومع هذا فالتلاوة إن الله مع الصابرين انظر الآية ١٥٣ من سورة البقرة .

فقال ياغلام أتديم الصوم فقال ولا أديم الإفطار فقال أتديم القيام بالليل فقال ولا أديم النوم فقال ما الذى أنحلك فقال هوى دائم وكتمان دائم عليه فقال عبد الواحد اسكت فما أجرأك فقام الغلام وخطى خطوتين وقال إلهى إن كنت صادقاً فخذنى فخر ميتا .. وحكى عن أبى عمرو الزجاجى أنه قال ماتت أمى فورثت منها دارا فبعتها بخمسين دينارا وخرجت إلى الحج فلما بلغت بابل استقبلنى واحد من القناقنة[١] . وقال إيش معك فقلت فى نفسى الصدق خير ثم قلت خمسون ديناراً فقال ناولنيها فناولته الصرة فعدها فإذا هى خمسون دينارا فقال خذها فلقد أخذنى صدقك ثم نزل عن الدابة وقال اركبها فقلت لا أريد فقال لابد وألح على فركبتها فقال وأنا على إثرك فلما كان للعام المستقبل لحق بى ولازمنى حتى مات . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفرا الخواص يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول الصادق لا تراه إلا فى فرض يؤديه أو فضل يعمل لربه فيه وسمعته يقول سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول سمعت جعفرا الخواص يقول سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق أن تصدق فى مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب وقيل ثلاثة لا تخطئ الصادق[٢] الحلاوة[٣] والهيبة[٤] والملاحة[٥] وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود من صدقنى[٦] . فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته.. (وقيل) دخل إبراهيم ابن دوحة مع إبراهيم بن ستنبة البادية فقال إبراهيم بن ستنبة اطرح ما معك من

---

(١) (القناقنة) جمع قنقن وهو الدليل الهادى .

(٢) (لاتخطئ الصادق) أى لا تتجاوزه إلى غيره كما جرت عادة الله تعالى به .

(٣) (الحلاوة) فى منطقه لإتيانه بالحق فى رفق وسهولة .

(٤) (والهيبة) أى الحرمة له على الدوام توقفه عما يكرهه مولاه وإنكاره المنكر ولو كان فاعله إياه .

(٥) (والملاحة) له لضياء الطاعة على وجهه وقد قيل من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار .

(٦) (من صدقنى .. إلخ) لخبر من أَسَرَّ سريرة ألبسه الله رداءها والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص أن تجرى حركته وسكناته على حسب ما فى قلبه فيظهر الصدق فى أحواله وأفعاله والظاهر عنوان الباطن .

العلائق قال فطرحت كل شيء إلا دينارا فقال يا إبراهيم لا تشغل سرى اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت الدينار ثم قال يا إبراهيم اطرح ما معك من العلائق فتذكرت أن معى شسوعا للنعل فطرحتها فما احتجت فى الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدى فقال إبراهيم بن ستنبة هكذا من عامل الله تعالى بالصدق وقال ذو النون الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه وقال سهل بن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم . وسئل فتح الموصلى عن الصدق فأدخل يده فى كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق وقال يوسف بن أسباط لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلى من أن أضرب بسيفى فى سبيل الله تعالى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الصدق أن تكون مع الناس كما يرى من نفسك أو ترى أن من نفسك كما تكون . وسئل الحارث المحاسبى عن علامة الصدق فقال الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج على قدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من عمله فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت قيل ما الفرض الدائم قال الصدق وقيل إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقيل عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك وقيل كل شيء شيء ومصادقة الكذاب لا شيء وقيل علامة الكذاب جوده باليمين بغير مستحلف وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقيل ما أملق تاجر صدوق.

  

بـــاب الحيـــاء (١)

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ..

(أخبرنــا) أبو بكر محمد بن أحمــد عبدوس الحيرى المزكى قــال أخبرنا أبو سهل أحمد بن زياد النحوى ببغداد قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال حدثنا موسى بن حيان قال حدثنا المقدسى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الحياء من الإيمان » ..

(أخبرنـــا) أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلى قال حدثنا أبو عثمان ابن عمرو بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهـاب قال حدثنـا يعلى بن عبيد قال حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم لأصحابه « استحيوا من الله حق الحيـاء قالوا إنا نستحى يانبى الله والحمد لله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيـاء » .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول أخبرنا أبو نصر الوزيرى قال حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال حدثنا الغلابى قال حدثنا محمد ابن مخلد عن أبيه قال قال بعض الحكماء أحيوا الحياء(٢) . بمجالسة من يستحيا منه

---

(١) (الحيـاء) هو ما يمنعك عما يضرك ويقال تعظيم يمنع من الانبساط ويقال غير ذلك كما سيأتى وسببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم والأدب وثمرته الأمن من المقت والعذاب وخفة الحساب وعدم الدعوى وكثرة الثواب ويكفى فى ذلك خبر الحياء لا يأتى إلا بخير وهو ممدوح ومطلوب والحياء علامة من علامات الإيمان .

(٢) (أحيوا الحياء .. إلخ) واحذروا أن يمازجه رياء كأن يمر بأخيه وهو محتاج إلى من يساعده فى شغل له فيقف ليساعده حياء لحسن خلقه ثم يعزم على المضى فيقول له الشيطان الآن يذمك فى كونك لم تثبت معه حتى يفرغ من شغله فيساعده رياء بعد أن كان حياء.

وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت ابن عطاء يقول العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيها خير وسمعته يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول حدثنى محمد بن عبد الملك قال سمعت ذا النون المصرى يقول الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى وقال ذو النون الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال أبو عثمان من تكلم فى الحياء ولا يستحى من الله عز وجل فيما يتكلم به فهو مستدرج . سمعت أبا بكر بن شكيب يقول دخل الحسن الحداد على عبد الله بن منازل فقال من أين تجىء فقال من مجلس أبى القاسم المذكر فقال فى ماذا كان يتكلم فقال فى الحياء فقال عبد الله واعجباه من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم فى الحياء .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت أحمد بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال السرى إن الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا وإلا رحلا وسمعته يقول سمعت محمد ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريرى يقول تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ البرهان أنها ألقت ثوباً على وجه صنم فى زاوية البيت فقال يوسف ماذا تفعلين فقالت أستحيى منه قال يوسف عليه السلام أنا أولى منك أن أستحيى من الله تعالى وقيل فى قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ قيل إنما استحيت منه لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة فاستحيت أن لا يجيب موسى عليه فصفة المضيف الاستحياء وذلك استحياء الكرم ، سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذرى يقول سمعت أبا عبد الله العمرى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول قال الله تعالى: عبدى إنك ما استحييت[1]. منى

---

(١) (ما استحييت) ما مصدرية ظرفية أى مدة استحيائك.

أنسيت الناس عيوبك[١] وأنسيت بقاع[٢] الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب[٣]. زلاتك[٤]. ولا أناقشك الحساب يوم القيامة ، وقيل رؤى رجل يصلى خارج المسجد فقيل له لم لا تدخل المسجد فتصلى فيه فقال أستحيى منه أن أدخل بيته[٥]. وقد عصيته وقيل من علامات المستحيى أن لا يرى بموضع يستحيا منه وقال بعضهم خرجنا ليلة فمررنا بأجمة فإذا رجل نائم وفرس عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له ألا تخاف أن تنام فى مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع فرفع رأسه وقال وأنا أستحيى منه أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام[٦]. وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى أن تعظ الناس وقيل الحياء على وجوه حياء الجناية[٧]. كآدم عليه السلام لما قيل له أفراراً منا فقال لا بل حياء منك وحياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وحياء الإجلال كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحه حياء من الله عز وجل وحياء الكرم كالنبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يستحى من أمته أن يقول اخرجوا فقال الله عز وجل : ﴿وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ وحياء حشمة[٨]. كعلى رضى الله تعالى عنه حين سأل المقداد ابن الأسود حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم المذى لمكان فاطمة رضى الله تعالى عنهما وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال إنى لتعرض لى الحاجة من الدنيا فأستحيى أن أسألك يارب فقال الله عز وجل سلنى حتى ملح عجينك وعلف شاتك وحياء الإنعام هوحياء الرب سبحانه يدفع إلى العبد كتابا مختوماً بعدما

(١) (أنسيت الناس عيوبك)فسترتك لئلا يفضحوك.
(٢) (وأنسيت بقاع. إلخ) لئلا تشهد عليك يوم القيامة فهناك أشياء كثيرة تشهد على الخلق يوم القيامه.
(٣) (أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ .
(٤) (زلاتك) ولم أطلع عليها أحداً من خلقى .
(٥) (أن أدخل بيته ..إلخ) لأن العادة أن من كمل حياؤه من غيره لم يقرب له موضعاً
(٦) (ونام) فيه دلالة على كمال حيائه من ربه حيث لم يخامر قلبه خوف من غيره حتى من الأماكن التى يخشى منها الأذية .
(٧) (الجناية) بالإخلال بالأمر والنهى .
(٨) (وحياء حشمة) هو قد يرجع إلى إحياء الإجلال .

عبر الصراط وإذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت أن أظهره عليك فاذهب فإنى قد غفرت لك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى هذا الخبر إن يحيى بن معاذ قال سبحان من يذنب العبد فيستحى هو منه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول سمعت زنجويه اللباد يقول سمعت على بن الحسين الهلالى يقول سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل وفى بعض الكتب ما أنصفنى عبدى يدعونى فأستحى أن أرده ويعصينى فلا يستحيى منى وقال يحيى بن معاذ من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله تعالى منه وهو مذنب ، قال الأستاذ واعلم أن الحياء يوجب التذويب فيقال الحياء ذوبان الحشا لاطلاع المولى ويقال الحياء انقباض القلب لتعظيم الرب وقيل إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك وإلا فاستحيى من سيدك فإنه يراك وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء وقال الواسطى لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حد أو نقض عهد وقال الواسطى أيضاً المستحى يسيل منه العرق وهو الفضل الذى فيه وما دام فى النفس شيء فهو مصروف عن الحياء .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الحياء ترك الدعوى بين يدى الله عز وجل سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزنى يقول سمعت محمد بن أحمد الجوزجانى يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول ربما أصلى لله تعالى ركعتين فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء .

  

بـــاب الحـــريـــة [١]

قـال الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ قال إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه[٢] وآثروا به [٣].

(أخبرنـا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا ابن أبى قماش قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثنا نعيم بن مورع بن توية عن إسماعيل المكى عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر[٤]. وإنما يرجع الأمر إلى آخره » قال الأستاذ الحرية أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض ، قال حارثة رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزفت[٥]. نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها [٦].. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من دخل الدنيا وهو عنها حر ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر .. سمعت محمد

---

(١) (الحرية) هى كما سيأتى أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ويقال الإغراض عن الكل والإقبال على الله تعالى ، من له الكل ويقال إن لا يدخل قلبك سوى الله وكلها متقاربة وهى ممدوحة ومطلوبة .

(٢) (عما خرجوا منه) أى من الدنيا .

(٣) (وآثروا به) غيرهم .

(٤) (إلى أربعة أذرع وشبر) أى إلى قبر عمقه ذلك .

(٥) (عزفت) بالزاى المنقوطةأى زهدت .

(٦) (فاستوى عندى حجرها وذهبها) ويكفى فى الزهد عنها خبر تعس عبد الدينار والدرهم والخميصةفمن تحرز عن رقتها شغلا بربه وإعراضاً عنها فهو الحر عن غير الله والعبد فى الحقيقة لله .

ابن الحسين يقول سمعت أبا محمد المراغى يحكى عن الرقى عن الدقاق أنه كان يقول من كان فى الدنيا حراً منها كان فى الآخرة حراً منها قال الأستاذ واعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عذار العبودية ويحيد بلحظة عن حد الأمر والنهى وهو مميز فى دار التكليف فذلك إنسلاخ من الدين قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ يعنى الأجل وعليه أجمع المفسرون وأن الذى أشار إليه القوم من الحرية أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من الخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيكون فردا الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا أجل منى ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولاحظ وقيل للشبلى ألا تعلم أنه تعالى رحمن فقال بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمنى ومقام الحرية عزيز .. سمعت الشيخ أبا على رحمه الله تعالى يقول كان أبو العباس اليسارى يقول لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت :

أتمنى على الزمـــان محالا   أن ترى مقلتاى طلعة حــر

أمـا أقـاويل المشـايخ فى الحـرية فـقـال الحـسين بن منصـور من أراد الحـرية فليصل العبودية وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيــا إلا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية وقال بشر الحافى من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى وقال الحسين ابن منصور إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حرا من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة وذلك مقام الأنبياء والصديقين يعنى يصير محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحلياً بها شرعاً أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال أنشدنا أبو بكر الرازى قال أنشدنى منصور الفقيه لنفسه :

ما بقى فى الإنس حـــر لا ولا فى الجـــن حـر
قد مضى حـر الفريقين فحلـــو العيش مـــر

واعلم أن معظم الحرية فى خدمة الفقراء . سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً وقال صلى الله عليه وآله وسلم « سيد القوم خادمهم » . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار وسمعته يقول سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت يوسف بن موسى يقول سمعت ابن خيبق يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها (١) . وقال إبراهيم بن أدهم لا تصحب إلا حراً كريماً يسمع ولا يتكلم (٢) .



بـــاب الذكـــر

قال الله عز وجل : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ..
(أخبرنا) أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشرا ببغداد قال أخبرنا

---

(١) (قبل أن يخرج منها) عبارة عن المال والجاه وما يتبعهما فإن زهد فيها خلص من ضررها وخرج عنها وإن أقام معها وأحبها أُخرج منها قهراً ما بالزوال أو بالموت الأول أشرف من الأخير.

(٢) (ولا يتكلم) أى يحمل الأذى ولا يكافئ عليه ولا يحقد ليجازى فى وقت آخر هذا كله مدح لمن حسنت أخلاقه وتحرز عن رق الشهوات .

أبو على الحسين بن صفوان البرعى قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قال حدثنا هارون ابن معروف قال حدثنا أنس بن عياض قال حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبى هند عن زياد بن أبى زياد عن أبى بحرية عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم [١]. وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا ماذاك يارسول الله قال ذكر الله تعالى » ..

(أخبرنا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا الديرى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله » ..

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا معاذ قال حدثنا أبى قال حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله » .. قال الأستاذ الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب [٢]. فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وقيل إن الشبلى كان فى ابتداء أمره ينزل كل يوم سربا ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسى فكان يضرب بيديه ورجليه على

(١) (مليككم) ملككم .

(٢) (ذكر اللسان وذكر القلب) فإن اقتصر على أحدهما فالثانى أفضل ثم لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعا ويقصد وجه الله لا غير .

الحائط وقيل ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم وبه يدافعون الآفات التى تقصدهم وإن البلاء إذا أظل العبد فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه فى الحال كل مايكرهه ، وسئل الواسطى عن الذكر فقال الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب له. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت بعبد الله بن الحسين يقول سمعت أبا محمد البلاذرى يقول سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول سمعت ذا النون المصرى يقول من ذكر الله تعالفى ذكرا على الحقيقة(١). نسى فى جنب ذكره كل شىء وحفظ الله تعالى عليه كل شىء وكان له عوضا عن كل شىء(٢). وسمعته يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت أحمد المسجدى يقول سئل أبو عثمان فقيل له نحن نذكر الله تعالى ولا نجد فى قلوبنا حلاوة فقال احمدوا الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته(٣). وفى الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل له وما رياض الجنة فقال مجالس الذكر » .

(أخبرنا) أبو الحسن على بن بشران ببغداد قال حدثنا أبو على بن صفوان قال حدثنا الحسين بن أبى الدنيا قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة قلنا يارسول الله ما رياض الجنة قال مجالس الذكر قال اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من

---

(١) (على الحقيقة) أى الذكر الكامل وهو الاستغراق التام فى المذكور .
(٢) (كل شىء) حتى كونه ذاكراً .
(٣) (بطاعته) أى بالذكر فإذا شكرتموه على ذلك نقلكم إلى ما هو أعلى فى درجات الذكر وهو وجود اللذة به إلى ماهو أرفع من ثم وجودها وهذا إرشاد بالغ ، وفاء بقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

نفسه(١) . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت الشبلى يقول أليس الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى ما الذى استفدتم من مجالسة الحق سبحانه . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول سمعت الشبلى ينشد فى مجلسه :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر اللسان

وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام علىّ القلب بالخفقان

فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بغير عيان

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى إما فرضاً وإما ندباً والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات . قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾. سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول قياماً بحق الذكر وقعوداً عن الدعوى فيه . وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يسأل الأستاذ أبا على الدقاق قال الذكر أتم أم الفكر فقال الأستاذ أبو على ما الذى يقول للشيخ فيه فقال الشيخ أبو عبد الرحمن عندى الذكر أتم من الفكر لأن الحق سبحانه يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر وما وصف به الحق سبحانه أتم مما اختص به الخلق فاستحسنه الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول لولا أن ذكره فرض علىّ لما ذكرته إجلالا له مثلى يذكره ولم يغسل فمه بألف

---

(١) (حيث أنزله من نفسه) قال تعالى ﴿ اذكرونى أكركم ﴾ وقال ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ والكل من فضله وفى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ، لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم

توبة متقبلة عن ذكره . وسمعت الأستاذ أبا على رحمه الله ينشد لبعضهم :

ما إن ذكرتك إلا هم يزجرنى قلبى وسرى وروحى عند ذكراكا

حتى كأن رقيبا منك يهتف بى إياك ويحك والتذكار إياك

ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلة الذكر قال الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وفى خبر « أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى يقول أعطيت أمتك ما لم أعط من الأمم فقال وماذاك ياجبريل فقال قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة » وقيل إن الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه. وفى بعض الكتب أن موسى عليه السلام قال يارب أين تسكن(١) . فأوحى الله تعالى فى قلب عبدى المؤمن ومعناه سكون الذكر فى القلب فإن الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون وحلول وإنما هو إثبات ذكر وتحصيل . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد عبد الله بن على يقول سمعت فارساً يقول سمعت الثورى يقول سمعت ذا النون المصرى قد سألته عن الذكر فقال غيبة الذاكر عن الذاكر ثم أنشد يقول :

لا لأنى أنساك أكثر ذكرا ك ولكن بذاك يجرى لسانى(٢)

وقال سهل بن عبد الله ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى عبدى ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك إلىّ وتذهب إلى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا إذا جئتنى . وقال سليمان الدارانى إن فى الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الأشجار فيها فربما

= = الله فيمن عنده صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) (أين تسكن) أى يسكن ذكرك فحذف المضاد .

(٢) (يجرى لسانى) أى لم يحملنى على كثرة الذكر بلسانى زوال غفلتى ونسيانى لك عن قلبى بل أنا ذاكرك بقلبى بكل حال ولكل امتلاء قلبى بك جرى ذكرك على لسانى فإن من الطبيعى أن من أحب شيئا أكثر من ذكره .

يقف بعض الملائكة فيقال له لم وقفت فيقول فتر صاحبى[١] وقال الحسن تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق وقال حامد الأسود كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال اذكر الله تعالى فذكرت فرجعت ثم عادت فصحت به فقال مثل ذلك فلم أزل إلى الصباح فى مثل تلك الحالة فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة وقد تطوقت به فقلت ما أحسست بها فقال لا منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة وقال أبو عثمان من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبيانى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مكتوب فى بعض الكتب التى أنزلها الله تعالى إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته وبإسناده أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بى فافرحوا وبذكرى فتنعموا وقال الثورى لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر وفى الإنجيل اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فإن نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك وقيل لراهب أنت صائم فقال صائم بذكره فإذا ذكرت غيره أفطرت وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الإنس وقال سهل ماأعرف معصية أقبح من نسيان الرب تعالى وقيل الذكر الخفى لا يرفعه الملك لأنه لا اطلاع له عليه فهو سر بين العبد وبين الله عز وجل وقال بعضهم وصف لى ذاكر فى أجمة فأتيته فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة

---

(١) (فتر صاحبى) عن العمل فجوزى بذلك لقوله تعالى : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ ولخبر « إنما هى أعمالكم ترد عليكم » وهؤلاء الملائكة يحتمل أنهم يطلعون على أعمال العباد ويحتمل أن تكون الملائكة الموكلون بالعباد ينقلون إليهم أحوالهم والله أعلم أى الحالين يكون .

واستلب منه قطعة فغشى عليه وعلىّ فلما أفاق قلت ما هذا فقال قيض الله هذا السبع علىّ فكلما دخلتنى فترة عضنى عضة كما رأيت سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول السلمى سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم فاكتتب على الأرض الله الله ..



بـــاب الفتـوة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

(قال الأستاذ) أصل الفتوة أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخية المسلم » ..

(أخبرنا) به على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثنا به ابن أبى حازم عن عبد الله بن عامر الأسلمى عن عبد الرحمن هرمز الأعرج عن أبى هريرة عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه المسلم » .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول هذا الخُلق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كل أحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول أمتى أمتى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول الفتوة بالشام واللسان بالعراق والصدق بخراسان .. وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ يقول سمعت ابن مرديه الصائغ يقول سمعت الفضيل يقول

الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان وقيل الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك وقال أبو بكر الوراق الفتى من لا خصم له .. وقال محمد بن على الترمذى الفتوة أن تكون خصما لربك على نفسك ويقال الفتى من لا يكون خصما لأحد سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول سمعت النصراباذى يقول سمى أصحاب الكهف[١] فتية لأنهم آمنوا بالله تعالى بلا واسطة وقيل الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ وصنم كل إنسان نفسه فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة وقال الحارث سبى الفتوة أن تنصف وتنتصف وقال عمرو بن عثمان المكى الفتوة حسن الخلق[٢] وسئل الجنيد عن الفتوة فقال أن لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا وقال النصراباذى المروءة شعبة من الفتوة وهو الإعراض عن الكونين والأنفة[٣] منهما وقال محمد بن على الترمذى الفتوة أن يستوى عندك المقيم والطارئ.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن عمر الحافظ يقول سمعت أبا سهل بن زياد يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سئل أبى ما الفتوة فقال ترك ما تهوى لما تخشى وقيل لبعضهم ما الفتوة فقال أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولى أو كافر. سمعت بعض العلماء يقول استضاف مجوسى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال بشرط أن تسلم فمر المجوسى فأوحى الله تعالى إليه منذ خمسين سنة نطعمه على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه فمضى إبراهيم عليه السلام على أثره حتى أدركه واعتذر إليه فسأله عن السبب فذكر ذلك له فأسلم المجوسى وقال الجنيد الفتوه كف الأذى وبذل الندى وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع السنة وقيل الفتوة الوفاء والحفاظ[٤]. وقيل الفتوة فضيلة تأتيها ولا

---

(١) (سمى أصحاب الكهف..إلخ) وقيل لكونهم فتيانا فارقوا أهلهم وخرجوا إلى ربهم فارين إليه معرضين عن حظوظهم الدنيوية فمدحوا بكونهم تركوها لله ولذلك خرقت لهم العادة لكونهم أولياء لله تعالى فلبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يتغير لهم حال .

(٢) (حسن الخلق) لاشتماله على جميع الصفات الحميدة .

(٣) (والأنفة) أى الاستنكاف .

(٤) (والحفاظ) أى وحفظك الحدود بأن لا تتعداها ولا تتجاوزها.

ترى نفسك فيها وقيل الفتوة أن لا تهرب إذا أقبل السائل وقيل أن لا تحتجب من القاصدين وقيل أن لا تدخر ولا تعتذر وقيل إظهار النعمة وإسرار المحنة وقيل أن تدعو عشرة أنفس[١] . فلا تتغير إن جاء تسعة أو أحد عشر وقيل الفتوة ترك التمييز[٢] . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول قال أحمد بن خضرويه لا مرأته أم على أريد أن أتخذ دعوة أدعو عيارا شاطرا كان فى بلدهم رأس الفتيان فقالت امرأته إنك لا تهتدى إلى دعوة الفتيان فقال لابد فقالت إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحمر وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك فقال أما الأغنام والبقر فأعلم فما بال الحمر فقالت تدعو فتى إلى دارك فلا أقل من أن يكون لكلاب المحلة خير وقيل اتخذ بعضهم دعوة وفيهم شيخ شيرازى فلما أكلوا وقع عليهم النوم فى حال السماع فقال الشيخ الشيرازى لصاحب الدعوة إيش السبب فى نومنا فقال لا أدرى اجتهدت فى جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان فلم أسأل عنه فلما أصبحوا سألوا بياع الباذنجان فقال لم يكن لى شىء فسرقت الباذنجان من الموضع الفلانى فبعته فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله فى حل فقال تسألون منى ألف باذنجانه قد وهبته تلك الأرض ووهبته ثورين وحمارا وآلة الحرث لئلا يعود إلى مثل مافعل . وقيل تزوج رجل بامرأة فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدرى فقال الرجل اشتكت عينى ثم قال عميت فزفت إليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل عينيه فقيل له ذلك فقال لم أعم ولكن تعاميت حذار أن تحزن فقيل له سبقت الفتيان وقال ذو النون المصرى من أراد الظرف فعليه بسقاء الماء ببغداد فقيل له كيف هو فقال لما حملت إلى الخليفة فيما نسب إلىّ من الزندقة رأيت سقّاء عليه عمامة وهو مترد بمنديل مصرى وبيده كيزان خزف رقاق فقلت هذا ساقى السلطان فقالوا لا هذا ساقى العامة فأخذت الكوز وشربت وقلت لمن معى أعطه دينارا فلم يأخذه وقال أنت أسير وليس من الفتوة أن نأخذ منك شيئا وقيل ليس من الفتوة

---

(١) (عشرة أنفس) أى مثلا .

(٢) (ترك التمييز) فى طعامك بين آكليه من حبيب ومبغض ومستحق وغيره لزهدك فى الدنيـــاوأنها لا تساوى عندك شيئا .

أن تربح على صديقك قاله بعض أصدقائنا رحمه الله تعالى كان فتى[(١)] يسمى أحمد بن سهل التاجر وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمن رأس ماله فقلت ألا تأخذ ربحا فقال أما الثمن فآخذه ولا أحملك منة لأنه ليس له من الخطر ما أتخلق به معك ولكن لا آخذ الربح إذ ليس من الفتوة أن تربح على صديقك وقيل خرج إنسان يدّعى الفتوة من نيسابور إلى نسا [(٢)]. فاستضافه رجل ومعه جماعة من الفتيان فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض النيسابورى عن غسل اليد وقال ليس من الفتوة[(٣)]. أن تصب النسوان الماء على أيدى الرجال فقال واحد منهم أنا منذ سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امـرأة تصب الماء على أيدينا أم رجـلا .. سمعت منصورا المغربى يقول أراد واحد أن يمتحن نوحا العيار[(٤)]. النيسابورى فباع منه جارية فى زى غلام وشرط إنه غلام وكانت وضيئة الوجه فاشتراها نوح على أنها غلام ولبثت عنده شهورا كثيرة فقيل للجارية هل علم أنك جارية فقالت لا إنه ما مسنى ويتوهم أنى غلام وقيل إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان فأبى فضرب ألف سوط فلم يسلم فاتفق أنه احتلم تلك الليلة وكان بردا شديدا فلما أصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك فقال استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله وقيل قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعى الفتوة فقال الرجل يا غلام قدم السفرة فلم يقدم فقال الرجل ثانيا وثالثا فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا ليس من الفتوة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه فى تقديم السفرة كل هذا التعاصى[(٥)]. فقال

---

(١) (وكان فتى) أى وكان هذا البعض فتى .. إلخ .

(٢) (نسـا) اسم لبلدة .

(٣) (وقال ليس من الفتوة .. إلخ) كل منهما كلامه يقتضى أنه متصف بالفتوة وإن كان الثانى أكمل فيها لتركه فضول النظر لا حاجة إليه إذ من فضول تمييز العبد ما فى دار غيره من متاع وخادم وغيرهما مما لا حاجة به إليه .

(٤) (العيار) أى الشجاع .

(٥) (كل هذا التعاصى) إذ من أخلاق الخادم أنه يبادر لما لم يؤمر به من الخير فكيف =

الرجل لم أبطأت بالسفرة فقال الغلام كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع النمل ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفرة فلبثت حتى دب النمل فقالوا دققت يا غلام مثلك من يخدم الفتيان. وقيل إن رجلا نام بالمدينة من الحاج فتوهم أن هميانه[١]. سرق فخرج فرأى جعفرا الصادق فتعلق به وقال له أنت أخذت هميانى فقال إيش كان فيه فقال ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هميانه فى بيته وقد كان توهم أنه سرق فخرج إلى جعفر معتذرا[٢]. ورد عليه الدنانير فأبى أن يقبلها وقال شىء أخرجته من يدى لا أسترده فقال الرجل من هذا فقيل جعفر الصادق . وقيل سأل شقيق البلخى جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال شقيق إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا قال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن بنت رسول الله ما الفتوة عندكم فقال إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول دعانا أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته فاستقبلنا صديق لنا فقلنا له ارجع معنا فنحن فى ضيافة الشيخ فقال إنه لم يدعنى فقلنا نحن نستثنى كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها فرددناه فلما بلغ باب الشيخ أخبرنا بما قال وقلنا فقال جعلت موضعى من قلبك أن تجىء إلى منزلى من غير دعوة على كذا وكذا إن مشيت إلى الموضع الذى تقعد فيه إلا على خدى وألح عليه ووضع خده على الأرض وحمل الرجل فوضع قدمه على خده من غير أن يوجعه وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه (قال الأستاذ) واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان يقول النصراباذى كثيرا إن عليا القوال يشرب بالليل ويحضر

= لما أُمر به .

(١) (هميانه) أى كيسه الذى يحفظ فيه نقوده .

(٢) (معتذرا) مستغفرا مماجرى منه .

مجلسك بالنهار وكان لا يسمع فيه ما يقال فاتفق أنه كان يمشى يوما ومعه واحد ممن يذكر عليا بذلك فوجد عليا مطروحا فى موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه فقال الرجل إلى كم تقول للشيخ ولا يسمع هذا على الوصف الذى تقول فنظر إليه النصر اباذى وقال للعذول احمله على رقبتك وانقله إلى منزله فلم يجد بدا من طاعته فيه . وسمعته يقول سمعت أبا على الفارسى يقول سمعت المرتعش يقول دخلنا مع أبى حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال للمريض أتحب أن تبرأ فقال نعم فقال لأصحابه تحملوا عنه فقام العليل وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد .



بـــاب الفراســـة (١)

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ قيل للمتفرسين ..

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد ابن على بن الحسين الرازى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن السكن قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا محمد بن كثير الكوفى قال حدثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » قال الأستاذ الفراسة خاطر يهجم على القلب فينفى ما يضاده وله على القلب حكم اشتقاقا من فريسة السبع وليس فى مقابلة الفراسة مجوزات للنفس وهى

(١) (الفراسة) بكسر الفاء من التفرس وهو التثبت والنظر يقال تفرست فيه الخير إذا تثبت فيه ونظرت إليه والتفرس يطلق أيضا على التوسم من السمة وهى العلامة والفراسة قد تكون عادة تعرف بقرائن الأحوال وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله فى القلب وهى المراد غالباً عند السادة الصوفية وعرفت بأنها الاطلاع على ما فى ضمائر الناس وبغير ذلك كما سيأتى فى كلامه وهى ممدوحة وممن عرف بها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه.

على حسب قوة الإيمان فكل من كان أقوى إيمانا كان أحد فراسة وقال أبو سعيد الخراز من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد وقوله(١). نظر بنور الحق يعنى بنور خصمه به الحق سبحانه وقال الواسطى إن الفراسة سواطع أنوار لمعت فى القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر فى الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها فيتكلم على ضمير الخلق . ويحكى عن أبى الحسن الديلمي أنه قال دخلت أنطاكية لأجل أسود قيل لى إنه يتكلم على الأسرار فأقمت فيها إلى أن خرج من جبل لكام ومعه شيء من المباح يبيعه وكنت جائعا منذ يومين لم آكل شيئا فقلت له بكم هذا وأوهمت أنى أشترى ما بين يديه فقال اقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك ما تشترى به شيئا فتركته وسرت إلى غيره أوهمه أنى أساومه ثم رجعت إليه وقلت له إن كنت تبيع هذا فقل لى بكم فقال إنما جعت يومين اقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك ما تشترى به شيئا فقعدت فلما باعه أعطانى شيئاً ومشى فتبعته فالتفت إلى وقال إذا عرض لك حاجة فأنزلها بالله تعالى إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتحجب عن الله تعالى . وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول الفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب وهى من مقامات الإيمان . وقيل كان الشافعى ومحمد بن الحسن رحمهما الله تعالى فى المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد بن الحسن أتفرس أنه نجار وقال الشافعى أتفرس أنه حداد فسألاه فقال كنت قبل هذا حدادا والساعة أنجر وقال أبو سعيد الخراز المستنبط من يلاحظ الغيب أبدا ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شيء وهو الذى دل عليه قوله تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾والمتوسم هو الذى يعرف الوسم وهو العارف بما فى سويداء القلوب بالاستدلا والعلامات قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أى للعارفين بالعلامات التى يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه والمتفرس ينظر بنور الله تعالى وذلك سواطع أنوار لمعت فى قلبه فأدرك بها المعانى وهو من

(١) (وقوله) أى أبى سعيد رضى الله تعالى عنه .

خواص الإيمان والذين هم أكثر منه حظا الربانيون قال الله تعالى﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ يعنى علماء حكماء متخلقين بأخلاق الحق نظرا وخلقا وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق والنظر إليهم والاشتغال بهم وقيل كان أبو القاسم المنادى مريضاً وكان كبير الشأن من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجى والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحا فى الطريق نسيئه وحملاه إليه فلما قعدا قال أبو القاسم ماهذه الظلمة(١) . فخرجا وقالا إيش فعلنا وتفكرا فقالا لعلنا لم نؤد ثمن التفاح فأعطياه الثمن وعادا إليه فلما وقع بصره عليهما قال أيمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبرانى عن شأنكما فذكرا له القصة(٢) . فقال نعم كان يعتمد كل واحد منكما على صاحبه فى إعطاء الثمن والرجل يستحى منكما فى التقاضى فكان يتقى التبعة وأنا السبب إنما رأيت ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادى هذا يدخل السوق كل يوم ينادى(٣) . فإذا وقع بيده ما فيه كفايته من دانق إلى نصف درهم خرج وعاد إلى رأس وقته ومراعاة قلبه . وقال الحسين بن منصور الحق إذا استولى على سر ملكه الاسرار فيعاينها ويخبر عنها . وسئل بعضهم عن الفراسة فقال أرواح(٤) . تتقلت فى الملكوت(٥) فتشرف على معانى الغيوب فتنطق(٦)عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان . وقيل كان بين زكريا الشختنى(٧) وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوماً واقفاً على رأس أبى عثمان الحيرى بعد ما صار من خواص تلامذته فتفكر فى شأنها فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال أما تستحيى ، قال الأستاذ الإمام رحمه الله كنت فى ابتداء وصلتى بالأستاذ أبى على رضى الله تعالى

(١) (ما هذه الظلمة) أى التى عليكما .
(٢) (القصة) أى قصة شراء التفاح نسيئة أى إلى أجل أوكيفية القضاء .
(٣) (ينادى) أى يدلل على الأمتعة .
(٤) (أرواح) أى نفوس بمعنى خواطر.
(٥) (تتقلب فى الملكوت) أى لاشغل لأربابها إلا النظر فى كمال الله وجلاله وفى أمره ونهيه ووعده ووعيده ومراقبته وكل ما يقرب إلى الله تعالى .
(٦) (فينطق) أى ينطق أربابها .
(٧) (الشختنى) نسبة إلى شختن قرية بنيسابور .

عنه عقد لى المجلس فى مسجد المطرز[١] . فاستأذنته وقتاً للخروج إلى نسا فأذن لى فيه فكنت أمشى معه يوماً فى طريق مجلسه فخطر ببالى ليتة ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى فالتفت إلى وقال أنوب عنك أيام غيبتك فى عقد المجالس فمشيت قليلا فخطر ببالى أنه عليل يشق عليه أن ينوب عنى فى الأسبوع يومين فليته يقتصر على يوم واحد فى الأسبوع فالتفت إلى وقال إن لم يمكنى فى الأسبوع يومان أنوب عنك فى الأسبوع مرة واحدة فمشيت معه قليلا فخطر ببالى شىء ثالث فالتفت إلى وصرح بالإخبار عنه على القطع . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كان شاه الكرمانى حاد الفراسة لا يخطئ ويقول من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته . وسئل أبوالحسن النورى من أين تولدت فراسة المتفرسين فقال من قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت مشاهدته أحكم وحكمه بالفراسة أصدق ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه السجود له بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ، قال الأستاذ وهذا الكلام من أبى الحسن النورى فيه أدنى غموض وإبهام بذكر نفخ الروح لا لتصويب من يقول بقدم الأرواح ولا كمال يلوح لقلوب المستضعفين فإن الذى يصح عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير وذلك من سمات الحدوث وأن الله سبحانه وتعالى خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرسون وهى فى الحقيقة معارف وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « فإنه ينظر بنور الله » أى بعلم وبصيرة يخصه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله وتسمية العلوم والبصائر أنوار غير مستبدع ولا يعدو صف ذلك بالنفخ والمراد منه الخلق . وقال الحسين بن منصور المتفرس هو المصيب[٢] . بأول مرماه إلى

---

(١) (مسجد المطرز) بنيسابور .

(٢) (المتفرس هو المصيب .. إلخ) لأن الفراسة مما يخلقه الله فى قلب العبد من غير كسب منه وهو من ثمرات الإيمان الكامل فلابد أن يكون متعلقه معلوماً لأن موهبه يدركه البعد قطعاً فأين هو من الظن والحسبان الذى من آثار المنجمين عياذا بالله تعالى.

مقصده ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان وقيل فراسة المريدين تكون ظنا يوجب تحقيقا وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت الخلدى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول الفراسة أول خاطر بلا معارض فإن عارض معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس. ويحكى عن أبى عبد الله الرازى نزيل نيسابور قال كسانى ابن الأنبارى صوفاً ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعا لى فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلىَّ فتبعته وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىَّ فلما دخل داره دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فأحرقهما ، وقال أبو حفص النيسابورى ليس لأحد أن يدعى الفراسة ولكن يتقى الفراسة من الغير لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا فراسة المؤمن » ولم يقل تفرسوا وكيف يصح دعوى الفراسة لمن هو فى محل اتقاء الفراسه، وقال أبو العباس بن مسروق دخلت على شيخ من أصحابنا أدعوه فوجدته على حال رثة فقلت فى نفسى من أين يرتزق هذا الشيخ فقال يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر[1] الدنيئة فإن لله ألطافاً خفية. ويحكى عن الزبيدى قال كنت فى مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشىء أياماً فأتيت الخواص لأسأله شيئاً فلما وقع بصره علىَّ قال الحاجة التى جئت لأجلها يعلمها الله تعالى أم لا فقلت بلى فقال اسكت ولا تبدها لمخلوق فرجعت ولم ألبث إلا قليلا حتى فتح علينا بما فوق الكفاية وقيل كان سهل بن عبد الله يوماً فى الجامع فوق حمام فى المسجد من شدة ما لحقه من الحر والمشقة فقال سهل إن شاها الكرمانى مات الساعة إن شاء الله تعالى فكتبوا ذلك فكان كما قال . وقيل خرج أبو عبد الله

---

(١) (دع عنك هذه الخواطر.. إلخ)أى فلا تنظر لظاهر الحال فقد تكون نعم الله على بعض عبيده فى قلوبهم وإن كانت خفية عن الخلق أعظم من نعمه الظاهرة .

التروغنذى [١] . وكان كبير الوقت إلى طوس فلما بلغ خر وقال لصاحبه [٢] . اشتر الخبز فاشترى ما يكفيهما فقالب اشتر أكثر فاشترى صاحبه ما يكفى عشرة أنفس تعمداً فكأنه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقاً قال فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم اللصوص لم يأكلوا منذ مدة فسألونا الطعام فقال قدم إليهم السفرة وقال الأستاذ الإمام رضى الله تعالى عنه كنت بين يدى الأستاذ أبى على رحمه الله يوماً فجرى حديث الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى رحمه الله وأنه يقوم فى السماع موافقة للفقراء فقال الأستاذ أبو على مثله فى حاله لعل السكون أولى به ثم قال فى ذلك المجلس امض إليه فتجده وهو قاعد فى بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أسعار الحسين بن منصور فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئا وجئنى بها وكان وقت الهاجرة فدخلت عليه وإذا هو فى بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر فلما قعدت أخذ الشيخ أبوعبد الرحمن فى الحديث وقال كان بعض الناس ينكر على أحد من العلماء حركته فى السماع فرؤي ذلك الإنسان يوماً خالياً فى بيت وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال كانت مسألة مشكلة علىّ فتبين لى معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور فقيل له مثل هذا يكون حالهم فلما رأيت ما أمرنى به الأستاذ أبوعلى وما وصف لى على الوجه الذى قال وجرى على لسان الشيخ أبى عبد الرحمن ما كان قد ذكره به تحيرت وقلت كيف أفعل بينهما ثم فكرت فى نفسى وقلت لا وجه إلا الصدق فقلت إن الأستاذ أبا على وصف لى هذه المجلدة وقال لى احملها إلىّ من غير أن تستأذن الشيخ وأنا هو ذا أخافك وليس يمكننى مخالفته فأى شيء تأمرنى به فأخرج مسدساً من كلام الحسين وفيه تصنيف له سماه كتاب الصهيور فى نقض الدهور وقال احمل هذا إليه وقل له إنى أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتى فخرجت. ويحكى عن الحسن الحداد أنه قال كنت عند أبى القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء فقال لى اخرج وائتهم بشيء فسررت

---

(١) (التروغنذى) نسبة إلى تروغنذ بالغين والذال المعجمتين .

(٢) (لصاحبه) هو تلميذه .

حيث أذن لى فى التكلف للفقراء وأن آتيهم بشيء بعد ما علم فقرى قال فأخذت مكتلا [١] وخرجت فلما أتيت سكة سيار رأيت شخصاً بهياً فسلمت عليه وقلت جماعة من الفقراء [٢] فى موضع فهل لك أن تتخلق معهم بشيء فأمر [٣] حتى إذا خرج إلىّ شيئاً من الخبز واللحم والعنب فلما بلغت الباب نادانى أبو القاسم المنادى من وراء الباب رده إلى الموضع الذى أخذته منه فرجعت واعتذرت إلى الشيخ وقلت لم أجدهم وعرضت بأنهم تفرقوا فرددت السبب[٤] عليه ثم جئت إلى السوق ففتح على بشيء فحملته فقال ادخل فقصصت عليه القصة فقال نعم ذاك ابن سيار رجل سلطانى[٥] إذا جئت للفقراء بشيء فائتهم بمثل[٦] هذا لا بمثل ذاك . قال أبو الحسين القرافى زرت أبا الخير التيناتى فلما ودعته خرج معى إلى باب المسجد فقال لى يا أبا الحسين أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوما ولكن احمل هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعتهما فى جيبى وسرت فلم يفتح لى بشيء ثلاثة أيام فأخرجت واحدة منهما وأكلتها ثم أردت أن أخرج الثانية فإذا هما جميعا فى جيبى فكنت آكل منهما ويعودان إلى باب الموصل فقلت فى نفسى إنهما يفسدان علىّ حال توكلى إذ صارتا معلوماً لى فأخرجتهما من جيبى بمرة[٧] . فنظرت فإذا فقير ملفوف فى عباءة يقول أشتهى تفاحة فناولتهما إياه فلما عبرت وقع لى أن الشيخ إنما بعثهما إليه وكنت فى رفقة فى الطريق فانصرفت إلى الفقير فلم أجده .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا عمر بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد وكان يتكلم عن خواطر الناس فذكر للجنيد فقال له الجنيد إيش هذا الذى ذكر عنك فقال للجنيد اعتقد شيئاً فقال

---

(١) (مكتلا) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .
(٢) (جماعة من الفقراء) محتاجون إلى طعام .
(٣) (فأمر) أى خادمه بإخراج ما عنده .
(٤) (السبب) يعنى الطعام .
(٥) (سلطانى) أى منسوب إلى السلطان وطعامه ليس بصاف .
(٦) (فائتهم بمثل .. إلخ) محل الاستدلال على الفراسة أمره له برد طعام ذلك الشيخ لما ذكر وأذنه له بالدخول بما أتى به ثانياً ولم يكن رآه فى الحالين ولا علم ما معه إلا بالفراسة.
(٧) (بمرة) أى بالكلية لأستريح منهما ولئلا يسكن قلبى لغير الله .

اعتقدت فقال الشباب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال اعتقد ثانياً ففعل فقال اعتقدت كذا وكذا فقال لا فقال ثالثاً فقال مثله فقال الشاب هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبى فقال الجنيد صدقت فى الأول والثانى والثالث ولكن أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك .. وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول اعتل ابن الرقى فحمل إليه دواء فى قدح فأخذه ثم قال وقع اليوم فى المملكة حدث لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو فورد الخبر بعده بأيام أن القرمطى دخل مكة فى ذلك اليوم وقتل بها تلك المقتلة العظيمة . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول ذكر لابن الكاتب هذه الحكاية فقال هذا عجب فقلت ليس هذا بعجب فقال لى أبو على بن الكاتب إيش خبر مكة حرسها الله تعالى اليوم فقلت هو ذا تحارب الطلحيون وبنو الحسن ومقدم الطلحيى[١] . أسود عليه عمامة حمراء وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم فكتب أبو على إلى مكة فكان كما ذكرت ، ويروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال دخلت على عثمان رضى الله تعالى عنه وكنت رأيت فى الطريق امرأة تأملت محاسنها فقال عثمان رضى الله تعالى عنه يدخل علىَّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينه فقلت أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة .. وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل شيئاً فقلت فى نفسى مثل هذا كَلٌّ[٢] . على الناس فنظر إلىَّ وقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ قال فاستغفرت فى سرى فنادانى وقال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ . وحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال كنت ببغداد فى جامع المدينة وهناك جماعة من الفقراء فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الجمة[٣] . حسن الوجه فقلت لأصحابنا يقع لى أنه يهودى فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع

(١) (الطلحيون) أى نسبة إلى بنى طلحة .
(٢) (كَلٌّ) أى ثقل .
(٣) (الجمة) فى نسخة الخدمة وفى أخرى الجملة والجمة وهى مجتمع شعر الرأس .

إليهم وقال إيش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا قال إنك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدى وأسلم فقيل له ما السبب قال نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة لأنهم يقولون (١). حديثه (٢). سبحانه فلبست عليكم فلما أطلعت هذا الشيخ على وتفرس فى علمت أنه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء يقول سمعت محمد بن داود يقول كنا عند الجريرى فقال هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث فى المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يبديه قلنا لا فقال ابكوا على قلوب(٣) لم تجد من الله تعالى شيئا وقال أبو موسى الديلمى سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لو أدخلت يدك فى فم التنين(٤). حتى تبلغ الرسغ لا تخاف مع الله تعالى شيئا غيره قال فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل فدققت الباب فقال أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية فقلت افتح الباب فقال مازرتنى(٥). أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لى الباب قال فمضيت ولبثت سنة ثم قصدته فقال مرحبا جئتنى زائرا فكنت(٦) عنده شهرا فكان لا يخطر بقلبى شىء إلا حدثنى عنه فعند وداعه لى قلت أفدنى فائدة فقال حدثتنى أمى أنها كانت حاملا بى فكانت إذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه. وقال إبراهيم الخواص دخلت البادية فأصابتنى شدة فلما بلغت مكة داخلنى شىء من الإعجاب فنادتنى

---

(١) (يقولون) فى نسخة يتلون .
(٢) (حديثه) أى كلامه .
(٣) (ابكوا على قلوب) لفقدها الفراسة بفقد الاستقامة التى هى الإعراض عن الخلق وكمال الشغل بالله تعالى فلو أنصفت القلوب بذلك عاشت من موت الغفلة ووجد فيها الإلهام الصحيح والخواطر الصائبة .
(٤) (التنين) نوع من الحيات .
(٥) (ما زرتنى) أى ماجئتنى زائرا بل سائلا .
(٦) (فكنت عنده) أى فمكثت عنده .

عجوز يا إبراهيم كنت معك فى البادية فلم أكلمك لأنى لم أرد أن أشغل سرك أخرج عنك هذا الوسواس . وحكى أن الفرغانى كان يخرج كل سنة إلى الحج ويمر بنيسابور ولا يدخل على أبى عثمان الحيرى قال فدخلت عليه مرة وسلمت فلم يرد علىَّ السلام فقلت فى نفسى مسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يرد سلامه فقال أبو عثمان مثل هذا يحج ويدع أمه لا يبرها قال فرجعت إلى فرغانة ولزمتها حتى ماتت ثم قصدت أبا عثمان فلما دخلت استقبلنى وأجلسنى ثم إن الفرغانى لازمه وسأله سياسة دابته فولاه ذلك حتى مات أبو عثمان وقال خير النساج كنت جالسا فى بيتى فوقع لى أن الجنيد بالباب فنفيت عن قلبى فوقع لى ثانيا وثالثا فخرجت فإذا بالجنيد فقال لم لم تخرج مع الخاطر الأول وقال محمد بن الحسين البسطامى دخلت على أبى عثمان المغربى فقلت فى نفسى لعله يتشهى علىَّ شيئا فقال أبو عثمان لا يكفى الناس أن آخذ منهم حتى يريدوا مسألتى إياهم وقال بعض الفقراء كنت ببغداد فوقع لى أن المرتعش يأتينى بخمسة عشر درهما لأشترى بها الركوة والحبل والنعل وأدخل البادية قال فدق علىَّ الباب ففتحت فإذا أنا بالمرتعش معه خريقة فقال خذها فقلت يا سيدى لا أريدها قال فلم تؤذينا كما أردت فقلت خمسة عشر درهما فقال هى خمسة عشر درهما وقال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ أى ميت الذهن فأحياه الله تعالى بنور الفراسة وجعل له نور التجلى والمشاهدة لا يكون كمن يمشى بين أهل الغفلة غافلا وقيل إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا فى هذا الشأن بكلام حسن وكان عذب اللسان جيد الخاطر فقال لنا فى بعض كلامه كل ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى فوقع فى قلبى أنه يهودى وكان الخاطر يقوى ولا يزول فذكرت ذلك للجريرى فكبر عليه ذلك فقلت لابد أن أخبر الرجل بذلك فقلت له تقول لنا ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى إنه يقع لى أنك يهودى فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال صدقت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقال قد

مارست جميع المذاهب وكنت أقول إن كان مع قوم منهم شيء فمع هؤلاء فداخلتكم لأختبركم فأنتم على الحق وحسن إسلامه. ويحكى عن الجنيد أنه كان يقول له السرى تكلم على الناس فقال الجنيد وكان فى قلبى حشمة من الكلام على الناس فإنى كنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك فرأيت ليلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وكانت ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن أصبح فدققت عليه الباب فقال لم تصدقنا حتى قيل لك فقعد الناس فى الجامع بالغد فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف عليه غلام نصرانى متنكرا وقال له أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلام « اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن يرى بنور الله تعالى » فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال أسلم فقد حان(١) وقت إسلامك فأسلم الغلام .



باب الخلق (٢)

قال الله تعالى (٣): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا هشام(٤) بن محمد بن غالب قال حدثنا معلى بن مهدى قال حدثنا بشار بن إبراهيم النميرى قال حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال «قيل يارسول الله أى المؤمنين

---

(١) (حان) أى قرب .

(٢) (باب الخلق) هو بضم الخاء مع ضم اللام وإسكانها بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى أى الكرم ويقال غير ذلك كما سيأتى وهو ممدوح ومطلوب

(٣) (قال الله تعالى) أى فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) (هشام) وفى نسخة تمتام .

أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً ، قال الأستاذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والإنسان مستور بخَلقه مشهود بخُلقه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول إن الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما خصه به ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عز من قائل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال الواسطى وصفه بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى وقال الواسطى أيضا الخلق العظيم أن لايخاصِم ولا يخاصَم من شدة معرفته بالله تعالى وقال الحسين بن منصور معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق وقال أبو سعيد الخراز لم يكن لك همة غير الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت الكتانى يقول التصوف خلق من زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك فى التصوف ويروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال إذا سمعتمونى أقول لمملوك أخزاه الله تعالى فاشهدوا أنه حر وقال الفضيل لو أن العبد أحسن الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين وقيل كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما إذا رأى واحداً من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة وكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد بن الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحاسبى يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة(١) وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء(٢) مع الوفاء وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول الخلق(٣) . استصغار ما منك واستعظام ما منه إليك وقيل للأحنف ممن

---

(١) (الصيانة) أى العفاف والسلامة من العجب والكبر .

(٢) (الإخاء) أى المؤاخاة فى الله بأن تخلف أخاك فى غيبته وتقوم بحقوقه فى حضرته وتنصحه إن رأيت منه زللا وتعينه إن رأيت منه خيراً ولا تبخل عليه بشيء وتتحمل ما يبدو منه المأخوذ ذلك من آية ﴿ خذ العفو ﴾ ونحوها مع الوفاء بالعهد المأمور به فى قوله ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ ونحوه .

(٣) (الخلق) أى الحسن .

تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقرى قيل وما بلغ من خلقه فقال بينما هو جالس فى داره إذ جاءت خادم[١] له بسفود [٢] . عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤن وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » وقيل لذى النون المصرى من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا وقال وهب ماتخلق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعله الله طبيعة فيه وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى وخلقك فحسن وقيل كان لبعض النساك شاة فرآه على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلام له أنا فقال لم قال لأغمك بها فقال لا بل لأغمن من أمرك بذلك اذهب فأنت حر وقيل لإبراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط فقال نعم مرتين إحداهما كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال علىَّ والثانية كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعنى. وقيل كان أويس القرنى إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول إن كان لابد فارمونى بالصغار كيلا تدقوا ساقى فتمنعونى عن الصلاة وشتم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال يا فتى إن بقى فى قلبك شىء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحى فيجيبوك وقيل لحاتم الأصم أيحتمل الرجل[٣] . من كل أحد فقال نعم إلا من نفسه وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاِ فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع ياغلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابى فقال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى .. وقيل نزل معروف الكرخى الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة وحملتهما فتبعها معروف وقال يا أختى أنا معروف ولا بأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت

---

(١) (خادم) أى جارية واللفظ يطلق على المذكر والمؤنث.
(٢) (سفود) بتشديد الفاء حديد يشوى عليه اللحم .
(٣) (أيحتمل الرجل) أى الخطأ .

لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى بالمكابرة وحملوا ما وجدوا فسمعت بعض أصحابنا يقول سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول اجتزت بالسوق فرأيت جبتى على من يزيد فأعرضت ولم ألتفت إليه .. سمعت الشيخ أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت الوجيهي يقول قال الجريرى قدمت من مكة حرسها الله تعالى فبدأت بالجنيد لكيلا يتعنى إلىَّ فسلمت عليه ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح فى المسجد إذا أنا به خلفى فى الصف فقلت إنما جئتك أمس لئلا تتعنى فقال ذلك فضلك وهذا حقك وسئل أبو حفص عن الخلق فقال ما اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ خذ العفو ﴾ الآية .. وقيل الخلق أن تكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريبا وقيل الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل كان أبو ذر على حوض يسقى إبلا له فأسرع بعض الناس إليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل فى ذلك فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضطجع وقيل مكتوب فى الإنجيل عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وقال لقمان لابنه لا تعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عن الحرب والأخ عند الحاجة إليه ..

(وقال موسى) عليه السلام إلهى أسألك أن لا يقال لى ما ليس فىَّ فأوحى الله تعالى إليه ما فعلت ذلك لنفسى(١). فكيف أفعله لك وقيل ليحيى بن زياد الحارثى وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لأتعلم عليه الحلم وقيل فى قوله تعالى :

---

(١) (مافعلت ذلك لنفسى) ليس ذلك لقصور قدرته تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل لأن ما سبق فى علم الله لابد من وقوعه فذلك إنما هو إخبار منه عما سبق فى علمه لا غير وعليه يحمل قوله﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ وقوله﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ فلو أراد تعالى أن لا يكفر به أحد يصح ولا يقع كفر لكن لما سبق فى علمه أنه لابد من الكلام فيه وفى رسوله ومن الكفر به مااستحال أن يقع خلافه ومحل الاستدلال أن موسى عليه السلام سأل ربه =

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخُلُق وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى أن يصحبنى عابد سيئ الخلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة وحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال أين العمران فأشار إلى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه فلما جازوه قيل له إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاء يعتذر إليه فقال إنك لما ضربتنى سألت الله تعالى لك الجنة فقال لم فقال علمت أنى أؤجر عليه فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر . وحكى أن أبا عثمان الحيرى دعاه إنسان إلى ضيافة فلما وافى باب داره قال يا أستاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمت فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد إليه الرجل وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى فلما وافى باب داره قال مثل ما قال فى الأولى ثم كذلك فعل فى الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات قال يا أستاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله مع الكلاب الكلب إذا دعى حضر وإذا زجر انزجر .. (وقيل) إن أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئاً من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب وقيل نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه جدا والفقير يقول نعم الرجل أنت لو لم تكن يهودياً فقال جعفر عقيدتى لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة فسل لنفسك الشفاء ولى الهداية قيل كان لعبد الله الخياط حريف مجوسى يخيط له ثيابا ويدفع إليه دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فاتفق أن قام من حانوته يوما لشغل فجاء المجوسى بالدراهم الزيوف فدفعها إلى تلميذه فلم يقبلها فدفع إليه الصحاح فلما رجع عبد الله قال لتلميذه أين قميص المجوسى فذكر له القصة فقال بئس ما عملت إنه مذ مدة يعاملنى بمثلها وأنا أصبر عليه وألقيها فى بئر لئلا يغر بها غيرى .. وقيل الخلق السيئ يضيق قلب

= تعالى أن يكون كامل الأخلاق حتى لا يتكلم فيه فأعلمه الله أنه قد سبق فى علمه أنه لابد أن يتكلم فيك وإن كملت أخلاقك .

صاحبه لأنه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه وقيل حسن الخلق أن لا تتغير ممن يقف فى الصف بجبنك وقيل من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشؤم فقال « سوء الخلق » ..

(أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا مروان الفزارى قال حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قيل يارسول الله « ادع الله تعالى على المشركين فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا » ..



بـــاب الجـود والسخـاء [١]

قـال الله عز وجل:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٢].

(أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الحسين بن العباس قال حدثنا سهل قال حدثنا سعيد بن مسلم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « السخى قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخى أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل ». قال الأستاذ ولافرق على لسان العلم بين الجود والسخاء ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء والسماحة لعدم التوقيف وحقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل وعند القوم السخاء هو الرتبة الأولى ثم الجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود والذى قاسى الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رضى الله تعالى عنه يقول قال أسماء بن خارجه ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها لأنه إن كان كريما أصون عرضه وإن كان لئيما أصون عنه عرضى وقيل كان مورق العجلى يتلطف فى إدخال الرفق على إخوانه يضع عندهم ألف درهم فيقول امسكوها عندكم حتى أعود إليكم ثم يرسل إليهم أنتم منها فى حل وقيل قابل رجل من أهل منبج رجلا من أهل المدينة فقال ممن

---

(١) (باب الجود والسخاء) هما عند كثير بمعنى واحد وفرق السادة الصوفية بينهما كما سيأتى بأن السخاء إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة والجود إخراجه أكثر ما يملكه بسهولة والإيثار المذكور فى الآية إخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه فحقيقته تقديمك غيرك على نفسك ومنه بل تؤثرون الحياة الدنيا أى تقدمون العمل بها على العمل للآخرة والآخرة خير وأبقى وقريب مما قاله السماحة والكرم وكل منهما ممدوح ومطلوب .

(٢) (خصاصة) أى حاجة شديدة .

الرجل فقال من أهل المدينة فقال لقد أتانا منكم رجل يقال له الحكم بن عبد المطلب فأغنانا فقال له المدنى فكيف وما أتاكم إلا فى جبة صوف فقال ما أغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب أبى ثور أما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال السياف أتدرى إلى ماذا تبادر فقال نعم فقال وما يعجلك قال أوثر على أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وأنهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضى ليتعرف حالهم فألقى القاضى على أبى الحسين النورى مسائل فقهية فأجابه عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن لله تعالى عباداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً أبكى القاضى فأرسل القاضى إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم وقيل كان على بن الفضيل يشترى من باعة المحلة فقيل له لو دخلت السوق فاسترخصت فقال هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا وقيل بعث رجل إلى جبلة بجارية وكان بين أصحابه فقال قبيح أن أتخذها لنفسى وأنتم حضور وأكره أن أخص بها واحداً وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف وقيل عطش عبد الله بن أبى بكرة يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت كوزا وقامت من خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فإنى امرأة من العرب مات خادمى منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال لغلامه احمل إليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بى فقال احمل إليها عشرين ألف درهم فقالت أسأل الله تعالى العافية فقال يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم فردت الباب وقالت أف لك فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها فما أمست حتى كثر خطابها . وقيل الجود إجابة الخاطر الأول[١] سمعت بعض أصحاب أبى الحسن البوشنجى رحمه الله يقولون كان

---

(١) (إجابة الخاطر الأول) لأنه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه .

أبو الحسن البوشنجي في الخلاء[١] فدعا تلميذ له وقال له انزع عني هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت[٢]. حتى تخرج من الخلاء فقال لم آمن على نفسي أن يتغير عليّ ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص وقيل لقيس بن سعد بن عبادة هل رأيت أحدا أسخى منك فقال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت إنه نزل بك ضيفان فجاء بناقة ونحرها وقال شأنكم بها فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها وقال شأنكم بها فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارجة إلا اليسير فقال إني لا أطعم أضيافي الغاب [٣]. فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا إليه ومضينا فلما متع النهار [٤]. إذا نحن برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتموني ثمن قراي ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنه وإلا طعنتكم برمحي فأخذناه وانصرف فأنشد يقول :

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته فكفى بذاك لنائل تكديرا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول دخل أبو عبد الله الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيت له مقفل فقال صوفي وله باب بيت مقفل اكسروا القفل فكسرا القفل وأمر بجميع ما وجد في الدار والبيت وانفذه إلى السوق وباعوه وأصلحوا وقتا من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئا فدخلت امرأته [٥] بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أيضا من جملة المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ ياسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه قال بشر بن الحارث النظر إلى البخيل يقسي القلب..وقيل مرض قيس بن سعد

---

(١) (في الخلاء) يقضي حاجته فوقع في خاطرة أن فقيرا يعرفه محتاج إلى قميص .
(٢) (هلا صبرت) إلى فراغك من قضاء حاجتك .
(٣) (الغاب) بالغين المعجمة وبالباء الموحدة المشددة أي البائت .
(٤) (متع النهار) بتخفيف التاء أي ارتفع وسرنا زمنا .
(٥) (فقالت له امرأته) ظنا منها أن بكاءه على كثرة الدراهم التي أخرجها.

ابن عبادة فاستبطأ إخوانه فسأل عنهم فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله تعالى مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر من ينادى من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل فكسرت عتبته بالعشى لكثرة من عاده وقيل لعبد الله بن جعفر إنك تبذل الكثير إذا سئلت وتضن فى القليل إذا نوجزت فقال إنى أبذل مالى وأضن بعقلي وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بقوته فدخل كلب الحائط ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثانى والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال له يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ماهى بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا لأسخى منى فاشترى الحائط والغلام وما فيها من الآلات فاعتق الغلام ووهبها له . وقيل أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج إليه قال لماذا جئتنى قال الأربعمائة درهم دين ركبتنى فدخل الدار ووزن له أربعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شق عليه الإجابة فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى به وقال مطرف بن الشخير إذا أراد أحدكم منى حاجة فلا يرفعها فى رقعة فإني أكره أن أرى فى وجهه ذل الحاجة وقيل أراد رجل أن يضار عبد الله بن العباس فأتى وجوه البلد وقال لهم يقول لكم ابن العباس تغدوا عندى اليوم فأتوه فملؤوا الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه فى الوقت وأمر بالخبز والطبيخ وأصلح أمراً فلما فرغوا قال لوكلائه أموجود لنا كل يوم هذا فقالوا نعم فقال فليتغر هؤلاء كلهم عندنا كل يوم.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان الأستاذ أبوسهل الصعلوكي يتوضأ يوماً فى صحن داره فدخل إنسان وسأله شيئا من الدنيا ولم يحضره شيء فقال اصبر حتى أفرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فأخذها وخرج ثم صبر حتى علم أنه بعد فصاح وقال دخل إنسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه وإنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل . وسمعته يقول وهب

الأستاذ أبو سهل جبته من إنسان فى الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج إلى التدريس إذ لم تكن له جبة أخرى فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم من كل نوع إمام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس درعه فوق تلك الجبة التى للنساء وركب فقال صاحب الجيش إنه يستخف بى أمام البلد يركب فى جبة للنساء ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم فى كل فن. وسمعته يقول لم يناول[١] الأستاذ أبو سهل أحدا شيئا بيده وكان يطرحه الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن أرى لأجلها يدى فوق يد أحد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اليد العليا[٢] . خير من اليد السفلى » [٣] وقيل كان أبو مرثد رحمه الله أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى إلى القاضى وادَّع علىَّ عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسنى فإن أهلى لا يتركونى مسجونا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن وقيل سأل رجل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه شيئا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال أئت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلى وسألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له فى ذلك فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمنا وقال بعضهم صليت فى مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريما لى فلما سلمت وضع بين يدى كل واحد حلة ونعلين وكذا وضع بين يدى فقلت ما هذا فقالوا إن الأشعث قدم من مكة فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده فقلت إنما جئت أطلب غريما لى ولست من جماعته فقالوا

---

(١) (لم يناول ..إلخ) أى على وجه الصدقة وإنما كان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ لكمال زهده فى الدنيا وقلة قدرها فى عينة .

(٢) (العليا) هى المنفقة .

(٣) (السفلى) هى الآخذة فلم ير لنفسه قدرا فى كونه منفقا لحقارة الدنيا فى عينه ولم يهن عليه أن تكون يده فوق يد من يأخذ صدقته ويد الآخر أسفل من يده وفى ذلك دلالة على فضيلته وكمال جوده وسخائه وزهده فى الدنيا رضى الله تعالى عنه .

هو لكل من حضر وقيل لما قربت وفاة الشافعى رضى الله تعالى عنه قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا وقال هذا غسلى إياه وقيل لما قدم الشافعى من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقيل له تشترى بها قينة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء . وقيل خرج السرى يوم عيد فاستقبله رجل كبير الشأن فسلم السرى عليه سلاماً ناقصاً فقيل له هذا رجل كبير الشأن فقال قد عرفته ولكن روى مسنداً أنه إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أن يكون معه الأكثر وقيل بكى أمير المؤمنين على أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهاننى .. وروى عن أنس بن مالك أنه قال زكاة الدار أن يتخذ فيها بيت للضيافة وقيل فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ قيل قيامه عليهم بنفسه وقيل لأن ضيف الكريم كريم وقال إبراهيم بن الجنيد كان يقال أربعة لا ينبغى للشريف أن يأنف منهم وإن كان أميرا قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وخدمته لعالم يتعلم منه والسؤال عما يعلم وقال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ إنهم كانوا يتحرجون من أن يأكل أحدهم وحده فرخص لهم فى ذلك وقيل أضاف عبد الله بن عامر بن كريز رجلا فأحسن قراه فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يعنه غلمانه فقيل له فى ذلك فقال عبد الله إنهم لا يعينون من يرتحل عنا .. أنشد عبد الله بن باكويه الصوفى قال أنشدنا المتنبى فى معناه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال عبد الله بن المبارك سخاء النفس عما فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل وقال بعضهم دخلت على بشر بن الحارث فى يوم شديد البرد وقد

تعرى من الثياب وهو ينتفض فقلت يا أبا نصر الناس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لى ما أواسيهم به فأردت أن أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد (١) . . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الدقاق يقول ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .



بـــاب الغيـــرة (١)

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا عبد الله بن مسلم قال حدثنا محمد بن الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ».. (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا على بن الحسن بن بنان قال حدثنا عبد الله بن رجاء قال أخبرنا حرب بن شداد قال حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن الله يغار

---

(١) (فى مقاساة البرد) بأن أخرجت من ثيابى ما كان يدفع عنى ألم البرد لفقير ولم أقدر أن أعمهم فوافقتهم بأن قاسيت ألم البرد مثلهم وفيه دلالة على كمال إيثاره بما يحتاجه ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾.

(٢) (باب الغيرة) هى سقوط الاحتمال وضيق الصدر عن الصبر ويقال غير ذلك كما سيأتى وهى إن لم تكن فى مباح فهى مذمومة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وإن كانت فى مباح فهى ممدوحة ومطلوبة .

وإن المؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى العبد المؤمن ما حرم الله عليه » (قال الأستاذ) الغيرة كراهية مشاركة الغير وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيم هو حق له من طاعة عبده له . حكى عن السرى أنه قرئ بين يديه ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ فقال السرى لأصحابه أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى ومعنى قوله هذا حجاب الغيرة يعنى أنه لم يجعل الكافرين أهلا لمعرفة صدق الدين .وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول إن أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختار لهم البعد عنه وأخرهم عن محل القرب ولذلك تأخروا وفى معناه أنشدوا :

أنا صب لمن هويت ولكن ما احتيالى بسوء رأى الموالى

وفى معناه أيضا قالوا سقيم ليس يعاد ومريد لا يراد .. سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله يقول سمعت العباس الزوزنى يقول كان لى بداية حسنة وكنت أعرف كم بقى بينى وبين الوصول إلى مقصودى من الظفر بمرادى فرأيت ليلة من الليالى فى المنام كأننى أتدهده من حالق جبل فأردت الوصول إلى ذروته قال فحزنت فأخذنى النوم فرأيت قائلا [١] . يقول ياعباس الحق لم يرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب ولكنه فتح على لسانك الحكمة قال فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة . وسمعت الأستاذ أبا على يقول كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله فخفى مدة لم ير بين الفقراء ثم ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت فسئل عنه فقال آه

---

(١) (فرأيت قائلا.. إلخ) فى ذلك تحريض على رضا العبد بالمقام الذى أقامه الله فيه وإن علم أن فوقه أرفع منه لأنه تعالى عالم بما يصلح عبيده وربما أهلهم لحمله ولا يمنعه ذلك من سؤال المقامات العالية فالممنوع إنما هو كراهة المقام هو فيه لاسؤال ماهو أرفع منه والرائى كانت نفسه متعلقة بذروة الجبل الذى رآه وهى حالة رفيعة فى الدين والقدر يمنعه من ذلك فحزن على تقصيره عن مطلوبه فرأى فى نومه ما دله على ما اختاره الله له من فتح الحكمة على لسانه كما تقرر.

وقع حجاب وكان الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى إذا وقع شيء فى خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين ويقول هذا من غيرة الحق سبحانه يريد أن لا يجرى عليهم ما يجرى من صفاء هذا الوقت وأنشدوا فى معناه :

همت بإتياننا حتى إذا نظرت إلى المرآة نهاها وجهها الحسن

وقيل لبعضهم تريد أن تراه فقال لا فقيل لم فقال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى وفى معناه أنشدوا :

إنى لأحسد ناظرى عليكـــا حتى أغض إذا نظرت إليكـا
وأراك تخطر فى شمائلك التى هى فتنتى فأغار منــك عليكا

وسئــل الشبلى متى تستريح فقال إذا لــم أر له ذاكـرا .. سمعت الأستاذ أبا على يقــول فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مبايعته فرسا من أعرابى وأنه استقاله فأقاله فقال الأعرابى عمرك الله تعالى ممن أنت فقــال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم « امرؤ من قريش » فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابى كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك فكان رحمه الله تعالــى يقول إنمــا قال امرؤ من قريش غيرة وإلا كان واجبا عليه التعرف إلى كل أحد أنه من هو ثم أن الله سبحانه أجرى على لســان ذلك الصحابى التعـريف للأعرابــى بقوله كفاك جفاء إن لا تعرف نبيك .. ومن الناس من قال أن الغيرة مــن صفات أهل البداية وإن الموحد لا يشهد الغيرة ولا يتصف بالاختيار وليس له فيما يجرى فى المملكة تحكم بل الحق سبحانه أولى بالأشياء فيما يقضى على ما يقضى .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول الغيرة عمل المريدين[١]. فأما أهل

---

(١) (المريدين) هنا الذين لم يتمكنوا فى التوحيد .

الحقائق فلا.. وسمعته يقول سمعت أبا نصر الأصبهانى يقول سمعت الشبلى يقول الغيرة غيرتان غيرة البشرية على النفوس وغيرة الإلهية على القلوب .. وقال الشبلى أيضا غيرة الإلهية علـى الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالـى والواجـب أن يقال الغيرة غيرتـان غيرة الحق سبحانـه على العبد وهو أن لا يجعله للخلق فيضن به عليهم وغيره العبد للحق وهو أن لا يجعـل شيئا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى فلا يقال أنا أغار على الله تعالى ولكن يقول أنا أغار لله تعالى فإذن الغيرة على الله جهل وربما تؤدى إلى ترك الدين والغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيرا أو لاحظوا شيئاً أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً شوش عليهم ذلك فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما ساكنوه . أو لا حظوه أو ضاجعوه كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود فى الجنة أخرجه منها وإبراهيم عليه السلام لما أعجبه إسماعيل عليه السلام أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ وصفا سره منه أمره بالفداء عنه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا زيد الفقيه المروزى يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول سمعت محمد بن حسان يقول بينا أنا ادور فى جبل لبنان إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم والرياح فلما نظر إلىّ ولى هاربا فتبعته وقلت له تعظنى بكلمة فقال لى احذر فإنه غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول قال النصراباذى الحق تعالى غيور ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقا سواه . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه إن لفلان إلىّ حاجة ولى أيضـاً إليه حاجـة فإن قضـى حاجتى قضيت حاجته فقال ذلك النبى عليه السلام فى مناجاتـه إلهى كيـف يكون لك حاجـة فقال إنه ساكن بقلبـه غيرى فليفرغ قلبه عنه أقـض حاجتـه .. وقيل إن أبا يزيد البسطامـى رأى جماعة من الحور العين فى منامه فنظـر إليهن فسلب وقته أياماً ثم إنه رأى فى منامه جماعـة منهن فلم يلفت إليهن وقال إنكن شواغل وقيـل مرضت رابعـة العـدوية فقيل لها ما سبب علتك فقالت نظرت بقلبى إلى الجنة فأدبنى فله

العتبى[١]. لا أعود[٢]..

ويحكى عن السرى أنه قال كنت أطلب رجلا صديقا إلى مدة من الأوقات فمررت فى بعض الجبال فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى فسألت عن حالهم فقالوا ههنا رجل يخرج فى السنة مرة يدعو لهم فيجدن الشفاء فصبرت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت أثره وتعلقت به وقلت له بى علة باطنة فما دواؤها فقال ياسرى خل عنى فإنه تعالى غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه .. قال الأستاذ ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك ويشق عليه.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول لما دخل الأعرابى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبال فيه وتبادر إليه الصحابة لإخراجه قال رحمه الله إنما أساء الأعرابى الأدب ولكن الخجل وقع على الصحابة والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه شق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة وطاعة من لا يعبده بالحرمة ، وحكى أن الشبلى مات له ابن كان اسمه أبا الحسن فجزعت أمه عليه وقطعت شعر رأسها فدخل الشبلى الحمام وتنور بلحيته فكل من أتاه معزيا قال إيش هذا يا أبا بكر فكان يقول موافقة لأهلى فقال له بعضهم أخبرنى يا أبا بكر لم فعلت هذا فقال علمت أنهم يعزوننى على الغفلة ويقولون آجرك الله تعالى ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتى وسمع النورى رجلا يؤذن فقال طعنه وسم الموت وسمع كلباً ينبح فقال لبيك وسعديك فقيل له إن هذا ترك للدين فإنه يقول للمؤمنين فى تشهده طعنة وسم الموت ويلبى عند نباح الكلب فسئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة وأما الكلب فقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وأذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال لولا أنك

(١) (فله العتبى على) لكونه لا يرضى ذلك .

(٢) (لا أعود) أى لمثله وهذا يدل على شريف حالها فإنها لما زهدت فى الدنيا واشتغلت بالآخرة أعرضت عما سوى الله شغلا به فلما التفتت بقلبها إلى الجنة وما فيها أدبها الله تعالى بما شاء من الأدب فعرفت ذلك منه فنابت ورجعت إليه .

أمرتنى ما ذكرت معك غيرك وسمع رجل رجلا يقول جل الله فقال له أحب أن تجله عن هذا .. سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الخزفانى رحمه الله تعالى يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .. ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع ولا كما يخطر بالبال إذ الأخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر الحق سبحانه متصاغرة فى التحقيق .



باب الولاية

قال الله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾..

(أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى قال حدثنا عبد الله بن عدى الحافظ قال حدثنا أبو بكر محمد بن هرون بن حميد قال حدثنا محمد بن هرون المقرى قال حدثنا حماد الخياط عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « يقول الله تعالى من آذى لى ولياً فقد استحل محاربتى وما تقرب إلى العبد بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه وما ترددت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المؤمن لأنه يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه » ..

(***قال الأستاذ أبو القاسم***) الولى له معنيان ..أحدهما فعيل بمعنى

مفعول وهومن يتولى الله سبحانه أمره قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا يحب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه فى السراء والضراء ومن شرط الولى أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قصد أبو يزيد البسطامى بعض من وصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أميناً على أسرار الحق (١).

واختلفوا فى أن الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولى أو لا فمنهم من قال لا يجوز ذلك وقال إن الولى يلاحظ نفسه بعين التصغير وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرا وهو يستشعر الخوف دائما أبداً وإنما يخاف سقوطه عما هو فيه وأن تكون عاقبته بخلاف حاله وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل .. وقد ورد فى هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك ومنهم من قال يجوز أن يعلم الولى أنه ولى وليس من شرط تحقيق الولاية فى الحال الوفاء فى المآل ثم إن كان ذلك من شرطه أيضا فيجوز أن يكون هذا الولى خص بكرامة هى تعريف الحق إياه أنه مأمون

---

(١) (أسرار الحق) التى وهبها لأوليائه والغرض من ذلك تحذير الناس من الاغترار بجمال الأفعال وحسن المقال وجريان خوارق العادات وانتشار الثناء وشيوع الذكر فى الخلق من غير استقامة فلا يراعى فى الولى إلا الاستقامة على ما ثبت بالأدلة الصحيحة وجريان خوارق العادة على يد العبد لا يدل على ولايته بل قد يكون ممكورا به وكذا ياعلى وبه يكفى فى ذلك دليلا خروج الدجال فى آخر الزمان ومعه جنة ونار ويحيى ويميت وهو عدو الرحمن وكم من ولى مستور لا يعلمه إلا الله تعالى.

العاقبة إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب وهو وإن فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال فى الحال أتم وأشد فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدأ للقلوب من كثير من الخوف ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم « عشرة فى الجنة من أصحابى » فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك فى حالهم ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوة الوقوف على حد المعجزة ويدخل فى جملته العلم بحقيقة الكرامات فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها فإذا رأى شيئاً من ذلك علم أنه فى الحال على الحق ثم يجوز أنه يعرف أنه فى المآل يبقى على هذه الحالة ويكون هذا التعريف كرامة له والقول بكرامات الأولياء صحيح وكثير من حكايات القوم تدل على ذلك كما نذكر طرفا من ذلك فى باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى وإلى هذا القول كان يذهب شيوخنا الذين لقيناهم الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى وقيل إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل أتحب أن تكون لله وليا فقال نعم فقال لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك وقال يحيى بن معاذ فى صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة واعتنقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا يزيد يقول أولياء الله تعالى عرائس الله تعالى ولا ترى العرائس إلا المحرمون فهم مخدرون عنده فى حجاب الأنس لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة ، سمعت أبا بكر الصيدلانى وكان رجلا صالحا قال كنت أصلح اللوح فى قبر أبى بكر الطمستانى أنقر فيه اسمه فى مقبرة الحيرة كثيرا وكان يقام ذلك اللوح ويسرق ولم يقع مثله فى غيره من القبور فكنت أتعجب منه فسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يوما عن ذلك فقال الشيخ آثر الخفاء فى الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذى تصلحه فيه وإن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما آثر هو ستر نفسه وقال أبو عثمان المغربى الولى قد

يكون مشهورا ولكن لا يكون مفتونا [١] .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصراباذى يقول ليس للأولياء[٢] سؤال[٣] إنما هو[٤] الذبول والخمول[٥] قال وسمعته يقول نهايات الأولياء بدايات الأنبياء وقال سهل بن عبد الله الولى الذى تواليت أفعاله على الموافقه وقال يحيى بن معاذ الولى لا يرائى ولا ينافق وما أقل صديق من كان هذا خلقه وقال أبو على الجوزجانى الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق سبحانه تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولى لم يكن له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وقال أبو يزيد حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فمتى فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله وكل كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه وهذا الذى قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام فلا العواقب هم فى ذكرها ولا السوابق هم فى فكرها ولا الطوارق هم فى أسرها وكذا أصحاب الحقائق يكونوا محواً عن نعوت الخلائق قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ وقال يحيى بن معاذ الولى ريحان الله تعالى فى الأرض يشمه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة على

---

(١) (لا يكون مفتونا) بأن تكون شهرته بركة عليه وعلى غيره بأن لاتشغله عن ربه فيسعد بها وتضاعف أعماله بكثرة من يقتدى به بخلاف من اشغلته شهرته عن ربه فإنه يكون مفتوناً بها .

(٢) (ليس للأولياء) فى أغلب أحوالهم .

(٣) (سؤال) بألسنتهم .

(٤) (إنما هو) أى سؤالهم فى بواطنهم .

(٥) (الذبول والخمول) أيضا التذلل تحت جريان المقادير والرضا بما يجريه الحق عليهم فأكثر أعمالهم بقلوبهم لأنها محل نظر ربهم ولأن أعمالها أشد من أعمال الجوارح .

تفاوت أخلاقهم.. وسئل الواسطى كيف يغذى الولى فى ولايته فقال فى بدايته بعبادته وفى كهولته بستره بلطافته ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه به فى أوقاته وقيل علامة الولى ثلاثة شغله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى وهمه إلى الله عز وجل قال الخراز إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ثم أجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هوى فحينئذ صار العبد زمنا فانياً فوقع فى حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول قال أبو تراب النخشبى إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى ويقال صفة الولى أن لا يكون له خوف لأن الخوف ترقب مكروه يحل فى المستقبل أو انتظار محبوب يفوت فى المستأنف والولى ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئا وكما لا خوف له لا رجاء له لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف وذلك فى الثانى من الوقت وكذلك لا حزن له لأن الحزن من حزونه الوقت ومن كان فى ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن قال الله تعالى : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .



بـــاب الدعـــــاء

قـال الله تعالـى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وقال ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(أخبرنـــا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا محمد بن أحمد العـودى قال حدثنا كامل قال حدثنـا ابن لـهيعة قال حدثنا خالد يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء مخ العبادة »[1] .. (قال الأستاذ) والدعاء مفتاح الحاجة وهو مستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوى المآرب وقد ذم الله تعالى قوما تركوا الدعاء فقال ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ قيل لا يمدونها إلينا فى السؤال . وقال سهل بن عبد الله خلق الله تعالى الخلق وقال ناجونى فإن لم تفعلوا فانظروا إلىَّ فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى فإن لم تفعلوا فكونوا ببابى فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجتكم بى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال سهل بن عبد الله أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطراً لابد له مما يدعو لأجله .. (أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى قال سمعت أبا عبد الله المكانسى يقول كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه وقالت أدع الله تعالى أن يرد علىَّ ابنى فإن ابنا لى ضاع فقال لها اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت فقالت مثل ذلك فقال لها الجنيد اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبرى

(١) (مخ العبادة) أى خالصا لما فيها من التذلل والتضرع ولأنه تعالى أثنى على المتصف به فقال ﴿ ويدعوننا رغبا ورهبا ﴾ وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر .. اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .. اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .. وكان من دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك .

فقالت له عيل صبرى ولم يبق لى طاقةعليه فادع لى فقال لها الجنيد إن كان الأمر كما قلت فاذهبى فقد رجع ابنك فمضت فوجدته ثم عادت تشكر له فقيل للجنيد بم عرفت ذلك فقال قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ وقد اختلف الناس فى أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء فى نفسه عبادة.. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « الدعاء مخ العبادة » فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركه ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فإن لم يستجب للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية ولقد قال أبو حازم الأعرج لئن أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الإجابة وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ماجرى لك فى الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم خبرا عن الله تعالى « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا والأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفى بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب وإنما يعرف ذلك فى الوقت لأن علم الوقت إنما يحصل فى الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى ويصح أن يقال ينبغى للعبد أن لايكون ساهياً عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه ثم يجب عليه أن يراعى حاله فإن وجد من الدعاء زيادة بسط فى وقته فالدعاء له أولى وإن عاد إلى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى ترك الدعاء وفى هذا الوقت وإن لم يجد فى قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان فإن كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وإن كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت فالسكوت أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو للحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم وفى الخبر المروى « إن العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول

ياجبريل أخر حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول ياجبريل اقض لعبدى حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته ». ويحكى أن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى رأى الحق سبحانه فى منامه فقال إلهى كم أدعوك ولا تجيبنى فقال يا يحيى لأنى أحب أن أسمع صوتك وقال صلى الله عليه وآله وسلم « والذى نفسى بيده إن العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له »[١].. (أخبرنا) أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال حدثنا أبو عمرو وعثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال حدثنا محمد ابن عبد ربه الحضرمى قال حدثنا بشر بن عبد الملك قال حدثنا موسى بن الحجاج قال قال مالك بن دينار حدثنا الحسن عن أنس بن مالك قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله عز وجل فقال بينا هو جاء من الشام يريد المدينة إذا عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف له التاجر وقال له شأنك بمالى وخل سبيلى فقال له اللص المال مالى وإنما أريد نفسك فقال له التاجر ما ترجو بنفسى شأنك والمال وخل سبيلى فقال له اللص مثل المقالة الأولى فقال له التاجر أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى عز وجل قال افعل ما بدا لك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال : يا ودود يا ودود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يامعيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يامغيث أغثنى ثلاث مرات فلما فرغ من دعائه إذا

---

(١) (فقد استجبت له) وقد يدعو العبد فيعلم الحق تعالى أن مصلحته فى ضد ما دعا به فلا يخلقه له رحمة له فيظن لجهله أن تأخير استجابة دعائه مضر له وهو نافع له وربما جرى على لسانه دعوت فلم تستجب لى فيكون سببا لمنع الإجابة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إنه يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد يرزقه الله فى الآخرة خيرا مما دعا به فى الدنيا حتى ليتمنى العبد ألا يكون استجاب الله له فى دعوة فى الدنيا.

بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر بيده حربة من نور فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أذراه[١] . عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى لقتله قال فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم جاء إلى التاجر وقال اعلم أنى ملك من السماء الثالثة حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قبل السماء وهو ينادى من لهذا المكروب فدعوت ربى عز وجل أن يولينى قتله واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا فى كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عنه وأعانه .. قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لقد لقنك الله عز وجل أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى » ..

(ومن آداب الدعاء) حضور القلب وأن لا يكون ساهياً فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إن الله تعالى لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه » .. (ومن شرائطه) أن يكون مطعمه حلالا فلقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لسعد « أطب كسبك تستجيب دعوتك » وقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانها[٢] لقم الحلال وكان يحيى بن معاذ يقول إلهى كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لا أدعوك[٣] . وأنت كريم .. وقيل مر موسى عليه السلام برجل يدعو ويتضرع فقال موسى عليه السلام إلهى لو كانت حاجته بيدى قضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه وإنى لا أستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع إلى الله

(١) (أذراه) بمعجمة ساكنة وألف لينة أى ألقاه .
(٢) (وأسنانها) الأولى وأسنانه .
(٣) (أى مفتاح الحاجة كيف أدعوك .. إلخ) فتعارض عنده الأمران وبالجملة فشرط استجابة الدعاء طاعة العبد لربه .

تعالى بقلبه فقضيت حاجته، وقيل لجعفر الصادق عليه السلام ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لأنكم تدعون من لا تعرفونه .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول ظهر بيعقوب[١] بن الليث علة أعيت الأطباء فقالوا له فى ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله تعالى يستجيب له فاستحضر سهلا وقال ادع الله عز وجل لى فقال سهل كيف يستجاب دعائى فيك وفى مجلسك مظلومون فأطلق كل من كان فى حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفى فعرض مالا على سهل فأبى أن يقبله فقيل له لو قبلته ودفعته إلى الفقراء فنظر إلى الحصباء فى الصحراء فإذا هى جواهر فقال لأصحابه من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث وقيل كان صالح[٢] المرى يقول كثيرا من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة إلى متى تقول هذا متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح فقال صالح شيخ جهل وامرأة علمت ، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا بكرالحربى يقول سمعت السرى يقول حضرت مجلس معروف الكرخى فقام إليه رجل فقال يا أبا محفوظ ادع الله تعالى أن يرد على كيسى فإنه سرق وفيه ألف دينار فسكت فأعاد ثم سكت فأعاد فقال معروف ماذا أقول أقول ما رويته عن أنبيائك وأصفيائك فرده عليه فقال الرجل فادع الله تعالى لى فقال اللهم خر له، وحكى عن الليث أنه قال رأيت عقبة بن نافع ضريرا ثم رأيته بصيرا فقلت له بم رد عليك بصرك فقال أتيت فى منامى فقيل قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا لما يشاء رد علىّ بصرى فقلتها فرد الله عز وجل علىّ بصرى ..

(١) (ظل بيعقوب.. إلخ) فيه دلالة على أن من الكرب العظيمة ما لا يفرجها مال ولا جاه ولا سلطنة ولا طب وإنما يفرجها صحيح الافتقار والتوبة والالتجاء إلى من بيده النفع والضر.

(٢) (كان صالح .. إلخ) تكلم صالح من مقام الكسب والعبودية فأشار إلى الدعاء والابتهال إلى الله فإنه يجيب المضطر إذا دعاه وتكلمت رابعة من مقام التوحيد فأشارت إلى أن رحمته مبسوطة كما فى خبر إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها أى يبسط رحمته وفضله على عباده وكل منهما على حق إلا أن صالحا عرف على درجة رابعة وما أشارت إليه فأقر لها بذلك .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول كان بى وجع العين ابتداء ما رجعت إلى نيسابور من مرو وكنت مدة أياما لم أجد النوم فتناعست صباحا فسمعت قائلا يقول لى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ فانتبهت وقد فارقنى الرمد وزال فى الوقت الوجع ولم يصبنى بعد ذلك وجع العين ، وحكى عن محمد بن خزيمة أنه قال لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كنت بالإسكندرية فاغتممت فرأيت فى المنام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو يتبختر فقلت يا أبا عبد الله أى مشيئة هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله عز وجل بك فقال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ثم قال ادعنى يا أحمد بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى فكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لى كل شيء ولا تسألنى عن شيء فقال يا أحمد هذه الجنة فادخلها فدخلتها وقيل تعلق شاب بأستار الكعبة وقال إلهى[1] لا شريك لك فيؤتى ولا وزير لك فيرشى إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد وإن عصيتك فبجهلى فلك الحجة عليه فبإثبات حجتك علىّ وانقطاع حجتى لديك إلا غفرت لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار وقيل فائده الدعاء إظهار الفقة بين يديه تعالى وإلا فالرب عز وجل يفعل مايشاء وقيل دعاء العامة بالأقوال ودعاء الزهاد بالأفعال ودعاء العارفين بالأحوال وقيل خير الدعاء ما هيجته الأحزان وقال بعضهم إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت فسل الله عز وجل عقب ذلك الجنة فلعل ذلك يوم إجابتك وقيل ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء وألسنة المتحققين خرست عن ذلك . وسئل الواسطى أن يدعو فقال أخشى إن دعوت أن يقال لى إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به فى الدهور وروى عن عبد الله بن منازل أنه قال ما دعوت منذ خمسين سنة ولا أريد أن

---

(١) (وقال إلهى) هذا من أحسن الأسباب فى استدعاء الرحمة بالفعل والقول أما الفعل فالتعلق بالجناب وأما القول فحسن الخطاب لأن قوله فبإثبات حجتك على إقرار الله بلزوم الحق عليه كما قال فلله الحجة البالغة وقوله وانقطاع حجتى لديك إقرار بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو المقتدر على ما يشاء ويرغب إليه فى العفو عن الخطأ .

يدعو لى أحد وقيل الدعاء سلم المذنبين وقيل الدعاء المراسلة وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعده وقيل لسان المذنبين دعاؤهم .. وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول إذا بكى المذنب فقد راسل الله عز وجل وفى معناه أنشدوا :

دموع الفتى عما يجن[١] تترجم وأنفاسه يبدين ما القلب يكتم

وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب وقيل الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب وقيل الإذن فى الدعاء خير للعبد من العطاء وقال الكتانى لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة وقيل الدعاء يوجب الحضور والعطاء يوجب الصرف والمقام على الباب أتم من الانصراف بالمثاب وقيل الدعاء مواجهة الحق تعالى بلسان الحياء وقيل شرط الدعاء الوقوف مع القضاء بوصف الرضا وقيل كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سددت طريقها بالهفوة وقيل لبعضهم ادع لى فقال كفاك من الأجنبية أن تجعل بينك وبينه واسطة سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول سمعت أبى يقول جاءت امرأة إلى تقى بن مخلد فقالت إن ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر على من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشىء فإنه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار فقال نعم انصرفى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله تعالى قال وأطرق الشيخ وحرك شفتيه قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له وتقول رجع سالماً وله حديث يحدثك به فقال الشاب كنت فى يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا فبينا نحن نجىء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى الذى يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعا الشيخ قال فنهض إلى الذى كان يحفظنى وصاح على وقال لى كسرت القيد قلت لا أنه سقط من رجلى قال فتحيرو أخبر صاحبه وأحضروا الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط

---

(١) (يجن) أى يستر .

القيد من رجلى فتحيروا في أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة ؟ قلت نعم فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة وقد أطلقك الله عز وجل فلا يمكننا تقييدك فزودونى وأصحبونى بمن أوصلنى إلى ناحية المسلمين ..



بـــاب الفقــر (١)

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ ﴾..

(أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن الشجاع بن الحسن بن موسى البزار ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنبارى قال حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال« يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم » . وأخبر أبو بكر محمد بن أحمد ابن عبدوس الحيرى ببغداد قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا محمد بن أبى الفرات عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن المسكين ليس بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قال فقيل من المسكين يارسول الله قال الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى أن

(١) (باب الفقر) هو التبرى من رؤية الملكة ويقال هو إرسال النفس فى أحكام الله تعالى ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو على ثلاث درجات الأولى هو فقر الزهاد وهو التبرى من رؤية الفقر والثانية التبرى من رؤية الأعمال والأحوال والمقامات والثالثة التبرى من رؤية كونه متبريا وهو بكل حال ممدوح ومطلوب .

يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه ».. قال الأستاذ معنى قوله يستحى أن يسأل الناس أى يستحى من الله تعالى أن يسأل الناس لا أنه يستحى من الناس والفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله عز وجل من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط عليهم الرزق والفقراء الصُبَّر (١). جلساء الله تعالى يوم القيامة بذلك ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .. (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الفزارى قال حدثنا عبد الله ابن جعفر بن أحمد بن مشيش البغدادى قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عمر ابن رشد عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصُبَّر جلساء الله تعالى يوم القيامة » وقيل إن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه وقال تريد أن تمحو إسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل وقال معاذ النسفى ما أهلك الله تعالى قوما وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم وقيل لو لم يكن للفقير إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه يحتاج إلى شرائها والغنى يحتاج إلى بيعها هذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أبا بكر بن سمعان يقول سمعت أبا بكر بن مسعود يقول سئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا يستغنى العبد إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها . وسمعته يوقل سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت إبراهيم القصار يقول الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه وقدم على الأستاذ أبى على الدقاق فقير فى سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت

---

(١) (الصُبَّر) بضم الصاد وتشديد الباء الصابرون .

هـذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا (١) وطلب منى بالآخرة (٢) فلم أبعه . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قام فقير فى مجلس يطلب شيئاً وقال إنى جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت إن الفقر سر الله وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يريد .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشبى يقول سمعت حمدون القصار يقول إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنا ورجل يموت على الكفر وقلب فيه خوف الفقر . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن عطاء يقول سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله تعالى وتكرمون لله تعالى فانظروا كيف تكونون مع الله تعالى إذا خلوتم به سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى فقال إذا صح الافتقار إلى الله عزو وجل فقد صح الاستغناء بالله تعالى وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفرا يقول سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت الفقير فقال إرسال النفس فى أحكام الله تعالى وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره وقيل لأبى سعيد الخراز لم تؤخر عن الفقراء رفق الأغنياء قال لثلاث خصال : لأن مافى أيديهم غير طيب ولأنهم غير موفقين ولأن

---

(١) (فقال اشتريته بالدنيا) أى بإعراضى عنها .

(٢) (وطلب منى .. إلخ) لأن حالى هذا هو شغلى بالله لا بغيره وسكونى إليه لا إلى غيره فلو ملت إلى آخر لكنت بعت حظاً بحظ وكل منهما حادث وحظى الذى أنا مشغول به هو الذى لم يزل ولم يتغير وهذا فقر العارفين ومن عداهم من الفقراء قد يتمسك بالفقر ليكون من السابقين إلى الجنة كما صحت به الأخبار إذ أن أسرع الناس دخولا إلى الجنة الفقراء خاصة فقراء المهاجرين والكل فى الجنة وإنما اختلفوا فى البواعث على الأعمال ففرق بين من عمل لوجهه وقربه ومن عمل لثوابه فى جنته وإن كان لابد من الثواب .

الفقراء مرادون بالبلاء وقيل أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب .. وروى عن أبى الدرداء قال لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إليَّ من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى قال الأغنياء » وقيل للربيع بن خيثم قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه وقال إبراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قيل ليحيى بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الأمن بالله تعالى وسمعته يقول سمعت أبا بكرالرازى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت ابن الكرينى يقول إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغنى يحترز من الفقر حذرا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه . وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل فقال وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامه مثل حسنات الناس أجمع قال نعم قال عد المريض وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى(١) . وقال سهل بن عبد الله خمسة أشياء من جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر له المحبة ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر بن الحارث أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر وقال ذو النون علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر ، وقال الشبلى أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها فى يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق فى فقره .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول تكلم

---

(١) (ويعود المرضى) فى ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء على الله وشرف منزلتهم عنده وكمال رحمته بهم حيث أمر أنبياءه وأحبابه بأن يكرموهم .

الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عبد الرحمن الرازى يقول سمعت أبا محمد بن ياسين يقول سمعت ابن الجلاء يقول وقد سألته عن الفقر فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع عن قريب ثم قال كان عندى أربعة دوانيق فاستحييت من الله عز وجل أن أتكلم فى الفقر فذهبت وأخرجتها ثم قعد وتكلم فى الفقر . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سألت ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال إذا لم يبق عليه بقية منه فقلت كيف ذاك فقال إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له وقيل صحة الفقر أن لا يستغنى الفقير فى فقره بشىء إلا بمن إليه فقره وقال عبد الله بن المبارك إظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت هلال بن محمد يقول سمعت النقاش يقول سمعت بنانا المصرى يقول كنت بمكة قاعدا وشاب بين يدى فجاءه إنسان وحمل إليه كيسا فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال لا حاجة لى فيه فقال فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئاً لنفسه فقلت لو تركت لنفسك مما كان معك شيئا قال لم أعلم أننى أعيش إلى هذا الوقت(١) .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت على بن بندار الصيرفى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة فى جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال (٢) . وسمعته يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول سمعت المرتعش يقول ينبغى للفقير أن لا تسبق همته حظوته (٣) . وسمعته يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كان أربعة فى زمانهم واحدا كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان

---

(١) (إلى هذا الوقت) فى ذلك دلالة على فقره وزهده وقصر أمله .

(٢) (القوت من وجه حلال) المشار إليه بخبر قد أفلح من أسلم وكان قوته حلالا وقنعه الله .

(٣) (حظوته) أى حالته التى هو فيها بأن لا يعلق قلبه من الدنيا بغير ما هو محتاج إليه فى الوقت .

شيئا وهو يوسف بن أسباط ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئاً وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعا وهو أبو إسحاق الفزارى فكان ما أخذه من الإخوان ينفقه فى المستورين الذى لا يتحركون والذى كان يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى أهل طرسوس والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله بن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لا يمن والإخوان يمنون[١] سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » إنما كان ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه فإذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله[٢] . وقيل أقل ما يلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه وقيل من أراد الفقر لشرفه مات فقيرا ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنيا وقال المزين كانت الطرق إلى الله أكثر من نجوم السماء فما بقى منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح الطرق[٣] .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يوسف القزوينى يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت النورى يقول نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سئل الشبلى عن حقيقة الفقر فقال أن لا يستغنى بشىء دون الله عز وجل . وسمعته يقول سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قال لى أبو سهل الخشاب الكبير الفقير فقر وذل فقلت لا بل فقر وعز فقال فقر وثرى[٤]فقلت لا بل فقر وعرش .. سمعت الأستاذ أبا على

---

(١) (والإخوان يمنون) فلا يقبل منهم شيئا وكل من الأربعة قصده جميل وإن تفاوتوا فى الفضل.

(٢) (ذهب دينه كله) لأن الدنيا عند الله حقيرة فعلى العبد حقارتها فلا ينبغى له أن يتذلل بشىء من ذلك فى طلبها.

(٣) (أصح الطرق) لسلامته من الآفات التى تدخل بقية الطرق لكونه تبريا من الاقتدار على الأعمال.

(٤) (وثرى) أى تواضع ونزول إلى العرش بالله وبكرامته وكلاهما على حق لكن =

الدقاق يقول سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » قال فقلت آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره فكلما كان فى نفسه أفضل فضده وآفته أنقص كالإيمان لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دل على أنه أشرف الأوصاف.. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا نصر الهروى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقلت يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم الفقير إذا كان صادقا فى فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص فى النار وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله الرازى يقول سمعت مظفر القرمسينى يقول الفقير هو الذى لا يكون له إلى الله حاجة قال الأستاذ أبو القاسم وهذا اللفظ فيه أدنى غموض(١) . لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق سبحانه وقال ابن خفيف الفقر عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر وقال يوسف بن أسباط منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين وقال بعضهم رأيت كأن القيامة قد قامت وقيل أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان وقال محمد المسوحى الفقير الذى لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير فقال إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه وتذاكروا

= الثانى أكرم همة من الأول .

(١) (أدنى غموض .. إلخ) لأن حقيقة الفقر الاحتياج إلى الله لا إلى غيره مع أن الغموض فيه على من سمعه إنما يكون على وجه الغفلة .. إلخ .

عنـد يحيى بن معاذ فى الفقر والغنى فقـال لا يـوزن غدا لا الفقر ولا الغنى وإنمـا يوزن الصبر والشكر فيقال يشكـر ويصبر وقيـل أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام إن أردت أن تعرف رضـاى عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال أبو بكر الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقـره أكل الحرام المحض وقيل كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كأنهم الأمـراء .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول سمعت أبا بكـر بن طاهـر يقول من حكم الفقير أن لا يكون لـه رغبة فى الدنيا فإن كـان ولابد فلا تجـاوز رغبتـه كـفايلته (وأنشدنا) الشيخ أبو عبـد الرحمن السلمى قال أنشدنى عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال أنشدنى أحمد بن عطاء لبعضهم قال :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابســه   فقلت خلعة ساق حبـه جرعـا

فقر وصبر همـا ثوباى تحتهما   قلب يرى إلفه الأعياد والجمعـا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بـه   يوم التزاور فى الثوب الذى خلعـا

الدهر لى مأتم إن غبت يا أملـى   والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعـا

وقيل إن هذه الأبيات لأبى على الروذبارى وقال أبو بكر المصرى وقد سئل عن الفقير الصادق فقال الذى لا يملك (١) ولا يميل (٢) وقال ذو النون المصرى دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحب إلىّ من دوام الصفاء مع العجب (٣) .. سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عبد الواحد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الجوال يقول سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم

---

(١) (لا يملك) شيئاً ولا يدعى شيئاً من الأحوال والمقامات .

(٢) (ولا يميل) لشىء من المشتهيات فلا يصير رفيقا لشىء من المخلوقات .

(٣) (دوام الصفـاء مع العجب) لأن المخطئ لكونه فقيرا إلى الله يتعرض للتوبة بخلاف من به العجب المحرم وشتـان بين فقير متعرض للتوبة وعاص مقيم على معصيته بعيد من التوبة .

بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق عليه من الأبواب . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا على الحسين بن يوسف القزوينى يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت الحسن بن على يقول سمعت النورى يقول نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود (١) . وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن على الكتانى يقول كان عندنا بمكة حرسها الله تعالى فتى عليه أطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقعت محبته فى قلبى ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت له إنه فتح لى ذلك من وجه حلال تصرفه فى بعض أمورك فنظر إلىّ شزرا ثم كشف عما هو مستور عنى وقال اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمشتغلات تريد أن تخدعنى عنها بهذه وقام وبددها وقعدت التقطها فما رأيت كعزه حين مر ولا كذلى حين كنت ألتقطها وقال أبو عبد الله بن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولى قبول عظيم بين الخاص والعام ، سمعت الشيخ أبو عبد الله بن باكويه الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ذلك وسمعته يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة يخرج ويسأل مقدار كفايته إيش يقال فيه فقال يقال فيه مكد كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم ، سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت الدقى يقول وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى فى أحوالهم فقال هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم .. وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الطبرى يقول سمعت خيرا النساج يقول دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير فلما رآنى تعلق بى وقال أيها الشيخ تعطف علىّ فإن محنتى عظيمة فقلت وما هى فقال فقدت البلاء وقويت بالعافية فنظرت فإذا قد فتح عليه بشىء من الدنيا ..

---

(١) (الإيثار عند الوجود) لأن الموجب لكونه عند العدم ثقته بضمان الله لرزقه والموجب لإيثاره عند الوجود تحصيل رضا الله.

وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول سمعت أبا بكر الوراق يقول طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة فسألوه عنه فقال لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا الجبار فى الآخرة الحساب .



بـــاب التصـــوف (١)

قــال الأستاذ الصفاء محمود بكل لسان وضده الكدورة وهى مذمومة ..

(أخبرنا) عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحى قال حدثنا الحسين بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن نوفل قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبى زياد عن أبى حجيفة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متغير اللون فقال « ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر فالمـوت اليوم تحفة لكل مسلم » (قال الأستاذ) هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة صوفية (٢) ومن يتوصل(٣) إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولاشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب فأما قول من قال إنه من الصوف ولهذا يقال وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال إنهم منسوبون إلى

(١) (التصوف) هو ترك الاختيار ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك ويقال هو الجد فى السلوك إلى ملك الملوك ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل ويقال غير ذلك وتقدم بعضه فى باب ذكر مشايخ هذه الطريقة وهو ممدوح ومطلوب لأنه مأخوذ من الصفاء وقد بينه بقوله الصفاء محمول .. إلخ وانظر تعريفا له فى المقدمات .

(٢) (صوفية) لأن الحق صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه .

(٣) (ومن يتوصل إلى ذلك) بالاكتساب والتشبه بهم .

صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفى ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق وتكلم الناس فى التصوف مامعناه وفى الصوفى من هو فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على التلويح إن شاء الله تعالى . سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى . سمعت عبد الرحمن بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمدانى يقول سمعت أبا محمد المرغنى يقول سئل شيخى عن التصوف فقال سمعت الجنيدى وقد سئل عنه فقال هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به ، سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسى يقول سمعت أبا الفاتك يقول سمعت الحسين بن منصور وقد سئل عن الصوفى فقال وحدانى الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا . وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا على الوراق يقول سمعت أبا حمزة البغدادى يقول علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء . وسئل عمرو بن عثمان المكى عن التصوف فقال أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت وقال محمد بن القصاب التصوف أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام . وسئل سمنون عن التصوف فقال أن تملك شيئا ولا يملكك شيء . وسئل رويم عن التصوف فقال استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . وسئل الجنيد عن التصوف فقال هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا نصر

السراج الطوسى يقول أخبرنى محمد بن الفضل قال سمعت على بن عبد الرحيم الواسطى يقول سمعت رويم بن أحمد البغدادى يقول التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار إلى الله والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار وقال معروف الكرخى التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق وقال حمدون القصار أصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به.. وسئل الخراز عن أهل التصوف فقال أقوام أعطوا حتى بسطوا[١] ومنعوا[٢] حتى فقدوا[٣] ثم نودوا من أسرار قريبة[٤] ألا فابكوا علينا[٥]. وقال الجنيد التصوف عنوه لا صلح فيها وقال أيضا هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم وقال أيضا التصوف ذكر مع اجتماع[٦] ووجد مع استماع[٧] وعمل مع اتباع وقال أيضاً الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح وقال أيضا إنه كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقى كل شيء وقال إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهرة فأعلم أن باطنه خراب وقال سهل بن عبد الله الصوفى من يرى دمه هدراً وملكه مباحا وقال النورى نعت الصوفى السكون عند العدم والإيثار عند الوجود وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء وقال أبو على الروذبارى التصوف الإناخة على باب الحبيب

---

(١) (بسطوا) أى والى عليهم الحق نعمه وخوارق عاداته حتى سكنوا إليه وانشرحت صدورهم إليه جل فى علاه.

(٢) (ومنعوا) عن الالتفات إلى غيره .

(٣) (حتى فقدوا) أى فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها .

(٤) (قريبة) أى لطيفة .

(٥) (ألا فابكوا علينا) لعدم وجداننا ذلك .

(٦) (مع اجتماع) للهمة مع الله بأن لا يحدث الذاكر نفسه بغير ما هو فيه لأن الذكر مع الغفلة مذموم إذ تاء الفائدة منه تكون معدومة.

(٧) (مع استماع) لأن الوجد الصحيح ماكان عن سماع صحيح محرك للقلوب ليكون سنده كتاب الله أو سنة رسوله أو نحوهما من المواعظ المؤثرة .

وإن طرد عنه وقال أيضا صفوة القرب بعد كدورة البعد وقيل أقبح من كل قبيح صوفى شحيح وقيل التصوف كف فارغ وقلب طيب وقال الشبلى التصوف الجلوس مع الله بلا هم وقال أبو منصور الصوفى هو المشير عن الله عز وجل فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى وقال الشبلى الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى : ﴿ واصطنعتك لنفسى ﴾ قطعة عن كل غير ثم قال له : لن ترانى .. وقال أيضا الصوفية أطفال فى حجر الحق وقال أيضا التوصف برقة محرقة .. وقال أيضا هو العصمة عن رؤية الكون وقال رويم ما تزال الصوفية بخير ماتنافروا فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم وقال الجريرى التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب وقال المزين التصوف الانقياد للحق وقال أبو تراب النخشبى الصوفى لا يكدره شىء ويصفو به كل شىء وقيل الصوفى لا يتعبه طلب ولا يزعجه سبب سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل ذو النون عن أهل التصوف فقال هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شىء فآثرهم الله عز وجل على كل شىء وقال الواسطى كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات وسئل النورى عن الصوفى فقال من سمع السماع وآثر الأسباب . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قلت للحصرى من الصوفى عندك فقال الذى لا تقله الأرض ولا تظله السماء .. (***قال الأستاذ أبو القاسم***) إنما أشار إلى حال المحو وقيل الصوفى من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن ، وسئل الشبلى لم سموا بهذه التسمية فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل ابن الجلاء ما معنى قولهم صوفى فقال ليس نعرفه فى شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجردا من الأسباب كان مع الله تعالى بلا مكان ولا يمنعه الحق سبحانه من علم كل مكان يسمى صوفيا وقال بعضهم التصوف إسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة وقال أبو يعقوب المزايلى التصوف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية وقال أبو الحسن السيروانى الصوفى يكون مع الواردات لا مع الأوراد . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول أحسن ما قيل فى هذا

الباب قول من قال هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل ولهذا قال رحمه الله تعالى يوما لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب فلم ينظر كلب إليها وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكى رحمه الله تعالى التصوف الإعراض عن الاعتراض وقال الحصرى الصوفى لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده (***قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى***) وهذا فيه إشكال ومعنى قوله لا يوجد بعد عدمه أى إذا فنيت آفاته لا تعود تلك الآفات وقوله ولا يعدم بعد وجوده يعنى إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق فالحادثات لا تؤثر فيه ويقال الصوفى المصطلم عنه بما لاح له من الحق ويقال الصوفى مقهور بتصريف الربوبية مستور بتصرف العبودية ويقال الصوفى لا يتغير فإن تغير لا يتكدر .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا بكر المصرى يقول سمعت الخراز يقول كنت فى جامع قيروان يوم جمعة فرأيت رجلا يدور فى الصف ويقول تصدقوا علىَّ فقد كنت صوفيا فضعفت فرفقته بشىء فقال لى مر ويلك ليس من ذلك ولم يقبل الرفق .

  

باب الأدب (١)

قال الله عز وجل : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾(٢) وقيل حفظ(٣) آداب الحضرة (٤). وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ جاء فى التفسير عن ابن عباس فقهوهم وأدبوهم ..

(أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا تمام قال حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال حدثنا عبد الملك بن الحسين عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن شيبة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه » .. ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال من لم يعرف ما لله عزو جل عليه فى نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب فى عزلة وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إن الله عز وجل أدبنى فأحسن أدبى »وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير فالأديب الذى اجتمع فيه خصال الخير ومنه المأدبة اسم للمجمع .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول العبد يصل بطاعته إلى الجنة ويأدبه فى طاعته إلى الله تعالى وسمعته يقول رأيت من أراد يمد يده فى الصلاة بين يدى إلى أنفه ليزيل ما به فيقبض على يده (قال الأستاذ) وإنما أشار إلى نفسه لأنه لا يمكن الإنسان أن يعرف من غيره أنه قبض على يده وكان الأستاذ أبو على رحمه الله تعالى لا يستند

---

(١) (الأدب) هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره ويقال وضع الأشياء موضعها ويقال حسن المعاملة ويتولد من الحياء والهيبة والشفقة ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو ممدوح ومطلوب .

(٢) (وما طغى) أى وما مال بصره عن مرئيه المقصود له فلم يلتفت عنه .

(٣) (قيل حفظ) النبى بذلك .

(٤) (آداب الحضرة) ما لله .. إلخ أى من الحقوق التى لزمته .

إلى شيء وكان يوما فى مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعده حاله فكان لا يستند إلى شيء .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن محمد البصرى يقول سمعت الجلاجلى البصرى يقول التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له فلا توحيد له والإيمان موجب يوجب الشريعة فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد والشريعة موجب توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات فقيل وما معناه قال أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وعلنا فإذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل ملاحة وإن سكتت جاءت بكل مليح

(أخبرنا) محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت عبد الله الجريرى يقول منذ عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى فى الخلوة فإن حسن الأدب مع الله تعالى أولى .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل (روى) عن ابن سيرين أنه سئل أى الآداب أقرب إلى الله تعالى فقال معرفة بربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء وقال يحيى بن معاذ إذا ترك العارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين سمعت الأستاذ أبا على يقول ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب [1]. وقيل للحسن البصرى قد أكثر الناس فى علم الآداب فما أنفعها عاجلا وأوصلها آجلا ، فقال : التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والمعرفة بما لله عز وجل

---

(١) (رد إلى سياسة الدواب) لاستحقاقه بذلك البعد والطرد وألم كل مطرود على حسب ما فارقه من منزلته التى كان فيها ولا منزلة أجل وأعلى من مراقبة مولاه مع كمال أدبه فإن أساء أدبه فيها طرد عنها عياذا بالله تعالى .

عليك وقال يحيى بن معاذ من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى وقال سهل القوم الذين استعانوا بالله تعالى على أمر الله تعالى وصبروا لله تعالى على آداب الله تعالى . وروى عن ابن المبارك أنه قال نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت العباس بن حمزة يقول حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال الوليد بن عتبة قال ابن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون وقيل ثلاث خصال ليس معهن غربة مجانبة أهل الريب وحسن الأدب وكف الأذى وأنشدنا الشيخ أبا عبد الله رضى الله عنه فى هذا المعنى :

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثه اجتناب الريب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنيد لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين فقال أبو حفص حسن الأدب فى الظاهر[1] عنوان الأدب فى الباطن. وعن عبد الله بن المبارك أنه قال الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف . سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قيل لبعضهم ياسىء الأدب فقال لست بسىء الأدب فقال له من أدبك فقال أدبنى الصوفية سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الطوسى السراج يقول الناس فى الأدب على ثلاث طبقات[2]. أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ

---

(١) (حسن الأدب فى الظاهر .. إلخ) يعنى أن ماهم فيه من الأدب ليس تعليما وتكلفاً ولكنهم لما عمرت قلوبهم بإجلال الحق من اختصه وعظمه جرت الآداب عليهم فى الظاهر بلا سبب ظاهر.

(٢) (ثلاث طبقات) أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية .

الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص وقيل كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء عليهم السلام والصديقين وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفوس وقال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب وقال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقيل مد ابن عطاء رجله يوما بين أصحابه وقال ترك الأدب بين أهل الأدب أدب ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذى روى « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان عنده أبو بكر وعمر فدخل عثمان فغطى فخذه وقال ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » نبه صلى الله عليه وآله وسلم أن حشمة عثمان رضى الله عنه وإن عظمت عنده فالحالة التى بينه وبين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانت أصفى وفى قريب من معناه أنشدوا :

فىَّ انقباض وحشمـــه فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكـــرم

أرسلت نفسى على سجيتهـــا ... وقلت ما قلت غير محتشـــم

وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب[1] . وقال أبو عثمان إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون المصرى إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء .. سمعت الأستاذ أبا على يقول فى قوله عز وجل : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ قال لم يقل ارحمنى لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾وقال :

---

(١) (سقطت شروط الأدب) يعنى سقط تكلف الأدب وإن كانت المحبة توجب كمال الأدب فالأدب مع الأحباب جارٍ على أكمل وجوه الصواب من غير تكلف فيسقط الأدب تكلفا لا وجودا.

﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ ولم يقل لم أقل رعاية لآداب الحضرة.. سمعت محمد ابن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا الطيب الفرجان يقول سمعت أبا الطيب الفرجان يقول سمعت الجنيد يقول جاءنى بعض الصالحين يوم جمعة فقال لى ابعث معى فقيراً يدخل علىّ سرورا ويأكل معى شيئا فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة فدعوته وقلت له امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً فمضى فلم ألبث أن جاءنى الرجل وقال لى يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة وخرج فقلت لعلك قلت كلمة جفاء عليه فقال لى لم أقل له شيئاً فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس فقلت له لم لم تتم عليه السرور فقال يا سيدى خرجت من الكوفة وقدمت بغداد ولم آكل شيئا وكرهت أن يدو سوء أدب منى من جهة الفاقة فى حضرتك فلما دعوتنى سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك فمضيت وأنا لا أرضى له الجنان(١) فلما جلست على مائدته سوّى لقمة وقال كل فهذا (٢) أحب إلىّ من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنىء الهمه(٣) . فتطرفت أن آكل طعامه فقال الجنيد ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه فقال يا أبا القاسم التوبة فسأله أن يمضى معه ويفرحه .



---

(١) (الجنان) بل أعلى منها .
(٢) (فهذا) أى أكلك لها أو هذا القدر الذى سويته لك .
(٣) (دنىء الهمة) لأنه إنما ذكر فضل ذلك على الدراهم التى هى من الدنيا ولم يذكر الآخرة فحق الفقير أن يكون مشغولا بالله زاهدا فى الدنيا كهذا الفقير بل ربما يكون مشغولا عن ذكر الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه لكمال شغله بمولاه ومن الناس من لا يطلب لاجنة ولا نعيما وإنما يطلب رؤية وجه الله تعالى فى الآخرة ..

بـــاب أحكامهم فى السفر

قـال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾..

(أخبرنــا) على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفرج الأزرق قال أخبرنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أن عليا الأزدى أخبره أن ابن عمر علمهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ ثم يقول : اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال .. اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والأهل فإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون لربنا حامدون ».. (قال الأستاذ) لما كان رأى كثير من هذه الطائفة اختيار السفر أفردنا لذكر السفر فى هذه الرسالة بابا لكونه من أعظم شأنهم وهذه الطائفة مختلفون فمنهم من آثر الإقامة على السفر ولم يسافر إلا لفرض كحجة الإسلام والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد وسهل بن عبد الله وأبى يزيد البسطامى وأبى حفص وغيرهم ومنهم من آثر السفر وكانوا على ذلك إلى أن خرجوا من الدنيا مثل أبى عبد الله المغربى وإبراهيم ابن أدهم وغيرهم منهم سافروا فى ابتداء أمورهم فى حال ابتداء شبابهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر فى آخر أحوالهم . مثل أبى عثمان الحيرى والشبلى وغيرهم ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم واعلم أن السفر على قسمين سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعه وسفر بالقلب وهو الارتقاء من صفة إلى صفة فترى ألفاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه.. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول كان بفرخك قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة وله على هذا اللسان تصانيف سأله بعض الناس هل سافرت أيها الشيخ فقال سفر الأرض أم سفر السماء سفر الأرض لا وسفر السماء بلى ، وسمعته رحمه الله تعالى يقول جاءنى بعض الفقراء يوما وأنا

بمرو فقال لى قطعت إليك شقة بعيدة والمقصود لقاؤك فقلت له كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك وحكاياتهم فى السفر تختلف على ماذكرنا من أقسامهم فى أحوالهم . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول محمد بن على سمعت بن العلوى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أحنف الهمذانى يقول كنت فى البادية وحدى فأعييت فرفعت يدى وقلت يارب إنى ضعيف زمن وقد جئت إلى ضيافتك فوقع فى قلبى أن يقال لى من دعاك فقلت يارب هى مملكة تحتمل الطفيلى فإذا أنا بهاتف من ورائى فالتفت إليه فإذا أعرابى على راحلة فقال يا أعجمى إلى أين قلت إلي مكة حرسها الله تعالى قال أو دعاك قلت لا أدرى فقال أليس قال : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فقلت المملكة واسعة تحتمل الطفيلى فقال أطفيلى أنت يمكنك أن تخدم الجمل قلت نعم فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال سر عليها [1]. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الكتانى يقول وقد قال له بعض الفقراء أوصنى قال اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد وأن لا تموت إلا بين منزلين . ويحكى عن الحصرى أنه كان يقول جلسة خير من ألف حجة وإنما أراد جلسة تجمع الهم على نعمة الشهود ولعمرى أنها أتم من ألف حجة على وصف الغيبة عنه. سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت على بن عبد الله بن التميمى يقول حكى عن محمد بن إسماعيل الفرغانى أنه قال كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقاق والكتانى لا نختلط بأحد ولا نعاشر أحدا فإذا قدمنا بلدا فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ثم نرجع إلى مسجد فيصلى الكتانى فى أول الليل إلى آخره ويختم القرآن ويجلس الزقاق مستقبل القبلة وكنت أستلقى متفكرا ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر على ضوء العتمة فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى

---

(١) (وقال سر عليها) ذلك دلالة على أن المسافر لا يسافر فى الصحراء بلا زاد ولا راحلة إلا إذا عوده الله القوة على ذلك وقد يعوده إياها لكن يطرأ له أثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره والأحنف كان الأغلب عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة أن الله يقويه على ذلك فلما طرأ عليه العجز فى السفر سأل الله واستغاث به فوقع فى قلبه خاطر من دعاك فوقع فى قلبه جوابه بما مر .

القصار يقول سئل رويم عن أدب السفر فقال أن لا يجاوز همه قدمه وحيثما وقف قلبه يكون منزله.. وحكى عن مالك بن دينار أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح فى الأرض واطلب الآثار والعبر حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا وقيل كان أبو عبد الله المغربى يسافر أبدا ومعه أصحابه وكان يكون محرما فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانيا ولم يتسخ له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر وكان يمشى مع أصحابه بالليل وراءه فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق يقول يمينك يا فلان يسارك يا فلان وكان لا يمد يده إلى ما وصلت إليه يد الآدميين وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيقلع لأجله وقيل كل صاحب تقول له قم فيقول إلى أين فليس بصاحب وفى معناه أنشدوا :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأيـــة حـــرب أم لأى مكان

وحكى عن أبى على الرباطى قال صحبت عبد الله المروزى وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلازاد ولا راحلة فلما صحبته قال لى أيما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا فقلت لا بل أنت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فإذا قلت أعطنى حتى أحملها قال الأمير أنا وعليك الطاعة قال فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسى وعليه كساء يمنع عنى المطر فكنت أقول فى نفسى ياليتنى مت ولم أقل له أنت الأمير ثم قال لى إذا صحبت إنسانا فاصحبه كما رأيتنى صحبتك .. وقدم شاب على أبى على الروذبارى فلما أراد الخروج قال يقول الشيخ شيئا فقال يا فتى كانوا لا يجتمعون عن موعد ولا يتفرقون عن مشورة وعن المزين الكبير قال كنت يوما مع إبراهيم الخواص فى بعض أسفاره فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعنى وقال دعها كل شيء مفتقر إلينا ولسنا مفتقرين إلى شيء [1] . وقال أبو عبد الله النصيبينى سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط خرقة على مرقعتى ولا عدلت إلى موضع علمت أن لى فيه رفيقا ولا

(١) (ولسنا مفتقرين إلى شيء) غير الله فى ذلك على أن الحيوانات يسخرها الله لأوليائه وتقرب منهم لتنتفع بهم ولا تؤذيهم وهذا من خوارق العوائد لأولياء الله تعالى لأن من كمل خوفه من الله لم يخف من غيره ومن اطمأن إلى الله واعتمد عليه اطمأنت إليه الحيوانات =

تركت أحدا يحمل معى شيئا واعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات ثم أرادوا أن يضيفوا إليها شيئا فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك رياضة لنفوسهم حتى أخرجوها عن المعلومات وحملوها على مفارقة المعارف كى يعيشوا مع الله عز وجل بلا علاقة ولا واسطة فلم يتركوا شيئا من أورادهم فى أسفارهم وقالوا الرخص لمن كان سفره ضرورة ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة فى أسفارنا علينا . سمعت أبا صادق ابن حبيب قال سمعت النصراباذى يقول ضعفت فى البادية مرة فأيست من نفسى فوقع بصرى على القمر وكان ذلك بالنهار فرأيت مكتوبا عليه: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ فاستقللت وفتح علىَّ من ذلك الوقت هذا الحديث وقال أبو يعقوب السوسى يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء فى سفره علم يسوسه وورع يحجزه ووجد يحمله وخلق يصونه وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال وكان الكتانى إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرة أخرى يزمر بهجرانه وإنما كان يفعل ذلك لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق وقيل كان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئا فى السفر وكان لا يفارقه الإبرة والركوة أما الإبرة فلخياطه ثوبة إن تمزق سترا للعورة وأما الركوة فللطهارة وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوما .. وحكى عن أبى عبد الله الرازى قال خرجت من طرسوس حافيا وكان معى رفيق فدخلنا بعض قرى الشام فجاءنى فقير بحذاء فامتنعت من قبوله فقال لى رفيقى البس هذا فقد عييت فإنه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى فقلت مالك فقال نزعت نعلى موافقة لك ورعاية لحق الصحبة وقيل كان الخواص فى سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدا فى بعض المفاوز وباتوا فيه ولم يكن عليه باب وكان برد شديد فقاموا فلما أصبحوا رأوه واقفا على الباب فقالوا له فى ذلك فقال خشيت أن تجدوا البرد وكان قد وقف طول ليلته وقيل إن الكتانى استأذن أمه فى الحج مره فأذنت فخرج فأصاب ثوبه البول فى البادية فقال إن هذا الخلل فى حالى فانصرف فلما دق باب داره أجابته أمه ففتحت فرآها جالسة

= وسكنت إليه ولم تنفر منه وأراد بقوله كل شيء.. إلخ - تعريف تلميذه بأنه محفوظ بالله وذو كرامات لينتفع بذلك ويقوى يقينه .

خلف الباب فسألها عن جلوسها فقالت له مذ خرجت اعتقدت أن لا أبرح عن هذا الموضع حتى أراك .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سمعت إبراهيم بن المولد يقول سمعت إبراهيم القصار يقول سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء وقيل زار رجل داود الطائى فقال له يا أبا سليمان كانت نفسى تنازعنى إلى لقائك منذ زمان فقال لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقى أيسر.. سمعت أبا نصر الصوفي وكان من أصحاب النصراباذى رحمه الله يقول خرجت من البحر بعمان وقد أثر فىّ الجوع فكنت أمر فى السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت فيه حملانا مشوية وحلواء فتعلقت برجل وقلت اشترى لى من هذه الأشياء فقال لماذا ألك علىّ شيء أو علىّ دين فقلت لابد أن تشترى لى من هذا فرآنى رجل فقال خله يا فتى إن الذى يجب عليه أن يشترى لك ما تريد أنا لا هو اقترح على واحكم بما تريد ثم اشترى لى ما أرديت ومر .. وحكى عن أبى الحسين المصرى قال اتفقت مع الشجرى فى السفر من طرابلس فسرنا أياما لم نأكل شيئاً فرأيت قرعاً مطروحا فأخذت آكله فالتفت إلى الشيخ ولم يقل شيئا فرميت به وعلمت أنه كرهه ثم فتح علينا بخمسة دنانير فدخلنا قرية فقلت يشترى الشيخ لنا شيئا لا محالة فمر ولم يفعل ثم قال لعلك تقول نمشى جياعاً ولم يشتر لنا شيئاً هو ذا فوافى اليهودية قرية على الطريق وثم رجل صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا فادفعها إليه لينفقها علينا وعلى عياله فوصلنا إ ليه ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها فلما خرجنا قال لى إلى أين يا أبا الحسين فقلت أسير معك فقال لا إنك تخوننى فى قرعة وتصحبنى لا تفعل وأبى أن أصحبه [(١)] .. سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى

---

(١) (وأبى أن أصحبه) فيه دلالة على أنه ينبغي للتلميذ أن يحفظ قلوب المشايخ الذين يقتدى بهم فلا يفعل شيئاً بغير إذنهم لئلا يكون سبباً لمفارقته لهم وفوت مقصوده منهم وعلى أنه إذا رأى مع الشيخ مالا ولم يخرجه للفقراء أو أمسكه فلا يسرع بالاعتراض عليه وينسبه إلى حب الدنيا فيهلك فإن إمساكها يختلف باختلاف المقاصد الصحيحه أو الفاسدة ومن المقاصد الصحيحة حفظه هذه الدنانير ليصل بها إلى ذلك الرجل الصالح لينفقها على نفسه وعائلته ومن يطرقه من الصالحين وفى كل ما يكون لوجه الله تعالى ما يعلمه الشيخ وقد يجهله غيره.

يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول كنت فى حال حداثتى استقبلنى بعض الفقراء فرأى فىَّ أثر الضر والجوع فأدخلنى داره وقدم إلى لحماً طبخ بالكشك واللحم متغير فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره فلقمنى لقمة فأكلتها بجهد ثم لقمنى ثانية فبلغتنى مشقه فرأى ذلك فىَّ وخجل وخجلت لأجله فخرجت وانزعجت فى الحال للسفر فأرسلت إلى والدتى من يحمل إلىَّ مرقعتى فلم تعارضنى الوالدة ورضيت بخروجى فارتحلت من القادسة مع جماعة من الفقراء فتهنا ونفد ماكان معنا وأشرفنا على التلف فوصلنا إلى حى من أحياء العرب ولم نجد شيئاً واضررنا إلى أن اشترينا منهم كلبا بدنانير وشووه وأعطونى قطعة من لحمه فلما أردت أكله فكرت فى حالى فوقع لى أنه عقوبة خجل ذلك الفقير فثبت فى نفسى وسكت فدلونا على الطريق فمضيت وحججت ثم رجعت معتذراً إلى الفقير .



بـــاب الصحبـــة

قــال الله عز وجل : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.. قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رضى الله تعالى عنه لما أثبت سبحانه للصديق رضى الله تعالى عنه الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾.. فالحر شفيق على من يصحبه ..

(أخبرنـــا) على بن أحمد الأهوازى قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا يحيى بن محمد الجيانى قال حدثنا عثمان بن عبد الله القرشى عن نعيم بن

سالم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « متى ألقى أحبابى فقال أصحابه بأبينا أنت وأمنا أو لسنا أحبابك فقال أنتم أصحابى أحبابى قوم لم يرونى وآمنوا بى وأنا إليهم بالأشواق لأكثر »والصحبة على ثلاثة أقسام صحبة مع من فوقك وهى فى الحقيقة خدمة وصحبة مع من دونك وهى تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والحرمة وصحبة الأكفاء والنظراء وهى مبنية على الإيثار والفتوة فمن صحب شيخاً فوقه فى الرتبة فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به. سمعت منصور بن خلف المغربى وسأله بعض أصحابنا كم سنة صحبت أبا عثمان المغربى فنظر إليه شزراً وقال إنى لم أصحبه بل خدمته مدة وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك فى حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه من نقصان فى حالته ولهذا كتب أبو الخير التيناتى إلى جعفر ابن محمد بن نصير وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا جهلة وأما إذا صحبت من هو فى درجتك فسبيلك التعامى عن عيوبه وحمل ما ترى منه على وجه من التأويل جميل ما أمكنك فإن لم تجد تأويلا عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدارانى إن فلاناً لا يقع من قلبى فقال أبو سليمان وليس يقع أيضاً قلبى من ولكن يا أحمد لعلنا أتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبهم [1]. وقيل صحب رجل إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل إن رأيت فىَّ عيباً فنبهنى عليه فقال إبراهيم إنى لم أر بك عيباً لأنى لاحظتك بعين الوداد فأستحسنت منك ما رأيت فسل غيرى عن عيبك وفى معناه أنشدوا :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال كنا لا نصحب من يقول نعلى ..

(١) (فلسنا نحبهم) أى حقنا أن نحبهم وإن لم نكن منهم وفى ذلك دلالة على أنه ينبغى للعبد إذا وجد نقصاً فى غيره أن يرده إلى نفسه وعلى أنه حق من المتكافئين أن ينبه كل صاحبه فيما يحتاج إلى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة مخليا به .

سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قال أبو أحمد القلانسى وكان من أستاذى الجنيد صحبت أقواماً بالبصره فأكرمونى فقلت مرة لبعضهم أين إزارى فسقطت من أعينهم. وسمعت أبا حاتم يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الدقى يقول سمعت الزقاق يقول منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء فما رأيت رفقاً لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم ومن لم يصحبه التقوى والورع فى هذا الأمر[١] . أكل الحرام النص .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول قال رجل لسهل بن عبد الله أريد أن أصحبك يا أبا محمد فقال إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقى فقال الله تعالى فقال فليصحبه الآن وصحب رجل رجلا مدة ثم بدا لأحدهما المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان أيضاً فوقنا فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولا فقال الرجل زال منى قلبى إرادة المفارقة .. سمعت أبا حاتم الصوفى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الدقى يقول سمعت الكتانى يقول صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا فوهبت له شيئاً ليزول ما فى قلبى فلم يزل فحملته إلى بيتى وقلت له ضع رجلك على خدى فأبى فقلت لابد ففعل واعتقدت أن لا يرفع رجله من خدى حتى يرفع الله تعالى من قلبى ما كنت أجده فلما زال عن قلبى ما كنت أجده قلت له ارفع رجلك الآن وكان إبراهيم بن أدهم يعمل الحصاد وحفظ البساتين وغيره وينفق على أصحابه وقيل كان مع جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطئ فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا بدونه حتى يعود بعد هذا أسرع فأفطروا وناموا فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلى شيء من الدقيق كان هناك فعجنه وأوقد النار وطرح الملة فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمتم فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت فقال بعضهم لبعض

---

(١) (فى هذا الأمر) أى الارتفاق بأن يأخذ العبد الأموال من الظلمة أوغيرهم ممن لا يتتبعون الشريعة فى معاملتهم .

انظروا إيش الذى عملنا وما الذى به يعاملنا وقيل كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده فى جميع ما يفتح الله تعالى عليهم من الدنيا كيدهم فقال له يوماً رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال أعجبنى صدقك وقال يوسف بن الحسين قلت لذى النون مع من أصحب فقال مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك وقال سهل بن عبد الله لرجل إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبنى .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن العلوى يقول حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو القاسم بن منبه قال سمعت بشر بن الحارث يقول صحبة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار .. وحكى الجنيد قال لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشىء فسألت أصحاب أبى حفص عن حاله فقالوا هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه ولا يرخص له أبو حفص أن يتكلم بحرف[(١)] . وقال ذو النون لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقه ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة وقال رجل لذى النون مع من أصحب فقال مع من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك .. سمعت الأستاذ أبا على يقول الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجىء منه شىء وكان الأستاذ أبو على يقول أخذت هذا الطريق عن النصراباذى والنصراباذى عن الشبلى والشبلى عن الجنيد والجنيد عن السرى والسرى عن معروف الكرخى ومعروف الكرخى عن داود الطائى وداود الطائى لقى التابعين .. وسمعته رحمه الله تعالى يقول لم أختلف إلى مجلس النصراباذى قط

---

(١) (ولا يرخص له أبوحفص أن يتكلم بحرف) لما رآه فى حقه من أن السكوت أفضل له وأجمع لهمه وأبعد من رؤية نفسه ولخوفه عليه أن تبدو منه كلمة يشير بها إلى ما أنفقه فيسقط من عينه وربما كان الغالب عليه آفة لسانه فمنعه النطق بالكلية وآفة اللسان أعظم الآفات لأن الكلمة إذا خرجت من بين الشفتين فلا رادٌ لها فمن قوى على الخلاص منها قوى على ماهو دونها ويؤيده خبر (وهل يكب الناس على وجوههم وروى مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

إلا اغتسلت قبله قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى ولم أدخل على الأستاذ أبى على فى وقت بدايتى إلا صائماً وكنت أغتسل قبله وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاما منه أن أدخل عليه فإذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرز فى إبره مثلا لعلى كنت لا أحس بها ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة فكما كنت أجلس كان يبتدئ بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عياناً وكنت أفكر فى نفسى كثيرا أنه لو بعث الله عز وجل فى وقتى رسولا إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد فى حشمته على قلبى فوق ما كان منه رحمه الله تعالى فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ثم كونى معه بعد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض إلى أن خرج رحمه الله تعالى من الدنيا ..

(أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى قال أخبرنا محمد بن أحمد العبدى قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا يونس قال حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص عن محمد بن النضر الحارثى قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام كن يقظاناً مرتاداً لنفسك أخداناً وكل خدن لا يؤاتيك على مسرة فأقصه ولا تصحبه فإنه يقسى قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكرى تستوجب على شكرى والمزيد من فضلى .. سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول اصحبوا مع الله تعالى فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله تعالى لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عز وجل .

  

بـــاب التــوحيـــد

قـال الله عز وجل : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾..

(أخبرنـا) الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا أحمد بن محمود بن خرزاد قال حدثنا مسيح بن حاتم العكلى قال حدثنا الحجبى عبد الله بن عبد الوهاب قال حدثنا حماد بن يزيد عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكى عن ابن أبى صدقة عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فقال لأهله إذا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فى يوم ريح ففعلوا فقال عز وجل للريح : أدى ما أخذت فإذا هو بين يديه فقال ما حملك على ما صنعت فقال استحياء منك فغفر له »(١). (قال الأستاذ) التوحيد هو الحكم بأن الله واحد والعلم بأن الشىء واحد أيضاً توحيد ويقال وحدته إذا وصفته بالوحدانية يقال فى اللغة وَحَد يحد فهو واحد ووَحَدْ، ووحيد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد وأصل أحد وحد فقلبت الواو همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة ومنه امرأة أسماء بمعنى وسماء من الوسامة ومعنى كونه سبحانه واحد على لسان العلم قيل هو الذى لا يصح فى وصفه الوضع والرفع بخلاف قولك إنسان واحد لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شىء منه والحق سبحانه أحدى الذات بخلاف اسم الجملة الحاملة وقال بعض أهل التحقيق فى معنى أنه

(١) (فقال استحياء منك فغفر له) وعليه تحمل رواية الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مت فأحرقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فوالله لئن قدر الله علىَّ ضيق علىَّ فى المؤاخذة أو الحساب ليعذبنى عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ؛ فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به فأمر الله تعالى البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك وأنت أعلم فغفر الله له »

واحد نفى القسيم لذاته ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته والتوحيد ثلاثة توحيد الحق للحق وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد والثانى توحيد الحق سبحانه للخلق وهو حكمه سبحانه بأن العبد موحد وخلقه توحيد العبد والثالث توحيد الخلق للحق سبحانه وهو علم العبد بأن الله عز وجل واحد وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط الإيجاز والتحديد ، واختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سئل عن التوحيد فقال : أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور فى نفسك شيء فالله عز وجل بخلافه . وسمعته يقول سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت عبد الله بن صالح يقول قال الجريرى : ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد وسئل الجنيد عن التوحيد فقال . إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقال الجنيد: إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت الحيرة .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت جعفر ابن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول ذلك . وسئل الجنيد عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل .. وقال الحصرى أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القدم ، وهجر الإخوان ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وجهل.. سمعت منصور بن خلف المغربى يقول : كنت فى صحن الجامع ببغداد يعنى جامع المنصور والحصرى يتكلم فى التوحيد فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ؛ فقال أحدهما لصاحبه الذى يقول هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيره يعنى كنت بين اليقظة والنوم . وقال فارس : التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام ، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة

.. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر بن شاذان يقول سمعت الشبلي يقول : التوحيد صفة الموحد حقيقة وحلية الموحد رسما . وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال أن يكون العبد شبحا بين يدى الله سبحانه تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته فى حقيقة قربة بذهاب حسه وحركته لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون [١] . وسئل البوشنجي عن التوحيد فقال غير مشبه الذوات ولا منفى الصفات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا الحسن العنبرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول وقد سئل عن ذات الله عز وجل فقال ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون فى العقبى ظاهرا فى ملكه وقدرته [٢] . قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه [٣] . ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية وقال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .. (***قال الأستاذ أبو القاسم***) ليس يريد الصديق رضى الله تعالى عنه أنه لا يعرف لأن عند المحققين العجز عن الموجود دون المعدوم كالمعقد عاجزاً عن قعوده إذ ليس بكسب له ولا فعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء

---

(١) (فيكون كما كان قبل أن يكون) فى أنه لا حركة ولا إرادة والمراد بما ذكره أن حق العبد أن يكون راضياً بما يجريه الله عليه بما يرضاه له وتشهد بصحته الشريعة وربه حينئذ لكمال حفظه ومحبته له لا يجرى عليه ما لا ينفعه .

(٢) (ظاهرا فى ملكه وقدرته) لا بالإحاطة فلا يرى رؤية الأشباح وإنما يرى ما هو عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهة الغير على قدر ما خلق الله فيها.

(٣) (والعقول لا تدركه) إدراك إحاطة بل إدراكا بوجه ما .

ضرورية فالمعرفة الكسبية فى الابتداء وإن كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق رضى الله تعالى عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن سعيد البصرى بالكوفة يقول سمعت ابن الأعرابى يقول قال الجنيد التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحارب وترك ما علم وجهل وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع وقال يوسف بن الحسين من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشا .. وقال الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق لعلمه .. وقال الجنيد علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد الأصبهانى يقول وقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذى يشيرون إليه فقال معل الأنام ولا يعتل وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول من اطلع على ذرة من التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقل ما حمله .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا السراج يقول سئل الشبلى فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال ويحك من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن أشار إليه فهو ثنوى ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ومن نطق فيه فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله تعالى تجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق سبحانه له فى مرادة منه فيكون كما هو قيل أن يكون فى جريان حكمه سبحانه عليه وقيل التوحيد للحق سبحانه والخلق طفيلى وقيل التوحيد إسقاط الياءات لا تقول لى وبى ومنّى وإلىّ وقيل لأبى بكر الطمستانى ما التوحيد فقال توحيد وموحِّد وموحَّد هذه ثلاثة .. قال رويم التوحيد محو آثار

البشرية وتجرد الألوهية .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال من أمارات التأييد حفظ التوحيد فى أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيراً إلى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاكر حامد وقال الشبلى ماشم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد [١] . وقال أبو سعيد الخراز أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل وقال الشبلى لرجل أتدرى لم لا يصح توحيدك فقال لا ، قال لأنك تطلبه بك [٢]. وقال ابن عطاء علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحداً ويقال من الناس من يكون فى توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرا بسر وظاهره بوصف التفرقة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن محمد القزوينى يقول سمعت القناد يقول سئل الجنيد عن التوحيد فقال سمعت قائلا يقول :

وغنى لى من قلبى وغنيت كما غنى

وكنـا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنـا

فقال السائل أهلك القرآن والأخبار فقال لا ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره .



---

(١) (من تصور عنده التوحيد) لأن كمال التوحيد أن يشتغل العبد بالله شغلا ينسيه غير الله تعالى ومن جملته توحيده فمتى تصوره لم يستغرق فى كمال توحيده .

(٢) (لأنك تطلبه بك) لا بالله فإن طلبته به صح توحيدك أصل كل خير وكل مقام رفيع أن يخلص فيه العبد لربه ويتبرأ من حوله وقوته فلا يلتفت لنفسه ولا لكسبه ولهذا قال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾.

بـــاب أحوالهم عند الخروج من الدنيـــا

قـال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ يعنى طيبة نفوسهم ببذلهم مهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم ..

(أخبرنــا) عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيبانى بالكوفة قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى قال حدثنا أبو هدبة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة » ..

(أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال حدثنا أبو العباس الأصم قال حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى قال حدثنا سوار قال حدثنا جعفر عن ثابت عـن أنـس « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئان لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطـن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف » (قال الأستاذ) اعلم أن أحوالهم فى حال النزع مختلفة فبعضهم الغالب عليه الهيبة وبعضهم الغالب عليه الرجاء ومنهم من كشف له فى تلك الحالة ما أوجب له السكون وجميل الثقة . حكى أبو محمد الجريرى قال كنت عند الجنيد فى حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وهو ذا تطوى صحيفتى. سمعت أبا حـاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى أنه قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليله هذين البيتين :

كل بيـت أنت ساكنــه　　　غير محتاج إلى الســرج
وجهك المأمــول حجتنـا　　　يوم يأتى الناس بالحجـج

وحكى عن عبد الله بن منزل أنه قال إن حمدون القصار أوصى أصحابه أن

لا يتركوه في حال الموت بين النسوان[١]. وقال لبشر الحافي وقد احتضر كأنك يا أبا نصر تحب الحياة فقال القدوم على الله عز وجل شديد وقيل كان سفيان الثوري إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر تأمر بشغل يقول إن وجدت الموت فاشتره لي فلما قربت وفاته كان يقول كنا نتمناه فإذا هو شديد . وقيل لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقالى أقدم على سيد لم أره ولما حضرت بلال الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل كان مكحول الشامي الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك فقيل له في ذلك فقال ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وآمله . وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول في آخر نفسه :

حنين قلوب العارفين إلى الذكـــر وتذكارهـم وقت المناجـاة للســر

أديرت كؤوس للمنايــا عليهـــم فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

همومهـــم جوالـــة بمعسكـــر به أهل ود الله كالأنجم الزهـــر

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري

فما عرسوا إلا بقرب حبيبهـــــم وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد إن أبا سيعد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقاً وقال بعضهم وقد قربت وفاته يا غلام اشدد كتافي وعفر

---

(١) (أن لا يتركوه بين النسوان) لتشويشهن عليه بالصياح والعويل ونحوهما وهذا من كمال تثبته ومراقبته وبعده عن المشوشات وقت الحاجة إلى التثبت فإن العبد إذا حضره الموت عنده من يذكره الخيرات ويحسن ظنه بالله ويتلو عنده القرآن مات على أحسن الأحوال بخلافه مع حضور بعض النساء فإنهن كل ما اطلعن عليه من كرب وشدة نحن عليه بالويل والثبور ووقع منهن ما لا يرضى الرحيم الغفور .

خدى ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لى من ذنب ولا عذر أعتذر به ولا قوة أنتصر أنت لى أنت لى ثم صاح صيحة ومات فسمعوا صوتاً استكان العبد لمولاه فقبله وقيل لذى النون المصرى عند موته ما تشتهى قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو فى النزع قال الله فقال إلى متى تقولون قل الله وأنا محترق بالله تعالى وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى فقدم فقير وقال السلام عليكم فردوا عليه السلام فقال هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأشاروا عليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله عز وجل ومضى إلى المكان الذى أشاروا إليه ومد رجليه ومات . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم يوما فى مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت قد مت ووقعت ميتة وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة عنى كيف تجدنى فقيل قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال أفنيت كلى بكلك هذا جزاء من يحبك وقيل لأبى محمد الدبيلى وقد حضرته الوفاة قل لا إله إلا الله فقال هذا شيء قد عرفناه وبه نفنى ثم أنشأ يقول :

تسربل ثوب التيــه لما هويتــه ... وصد ولم يرض بأن ذاك عبده

وقيل للشبلى عند وفاته قل لا إله إلا الله فقال :

قال سلطان حبه ... أنا لا أقبل الرشـا

فسلوه بحقــه ... لم بقتلى تحرشا

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول لما مات يحيى الإصطخرى جلسنا حوله فقال له رجل منا قل أشهد أن لا إله إلا الله فجلس مستويا[١] . ثم أخذ بيد واحد منا وقال له قل أشهد أن لا إله إلا الله ثم أخذ بيد آخر حتى عرض

---

(١) (فجلس مستويا .. إلخ) فهم رحمه الله من قول من قال منهم قل لا إله إلا الله أنهم =

الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات . ويحكى عن فاطمة أخت أبى على الروذبارى أنها قالت لما قرب أجل أخى أبى على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول :

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا

أراك معذبى بفتور لحظ وبالخد المورد من جناكا

ثم قال يا فاطمة الأول ظاهر والثانى فيه إشكال(١) سمعت بعض الفقراء يقول لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله تعالى قال له واحد قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه وقال لا تترك الحرمة (بالفارسية بى حرمتى مكن) وقال بعضهم رأيت فقيراً يجود بنفسه غريبا والذباب على وجهه فجلست أذب الذباب عن وجهه ففتح عينيه وقال من هذا أنا منذ كذا سنة فى طلب وقت يصفو لى فلم يتفق إلا الآن جئت أنت توقع نفسك فيه مر عافاك الله تعالى وقال عمران الإصطخرى رأيت أبا تراب فى البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيء سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول إن سبب وفاه أبى الحسين النورى أنه سمع هذا البيت :

لا زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فتواجد النورى وهام فى الصحراء فوقع فى أجمة قصب وقد قطعت وبقى أصولها مثل السيوف فكان يمشى عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم وقع مثل السكران فتورمت قدماه ومات . وحكى أنه قيل له عند النزع قل لا إله إلا الله فقال أليس إليه أعود وقيل مرض إبراهيم الخواص فى المسجد الجامع

= يعتقدون غفلته عن ربه لشغله بألمه فأخذ يذكرهم واحداً واحداً بذلك ويبين لهم أنه أشد منهم يقظة وحضوراً بذلك رضى الله تعالى عنه .

(١) (فيه إشكال) على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه .

بالرى وكانت به علة الإسهال وكان إذا قام مجلسا يدخل الماء ويتوضأ فدخل الماء مرة فخرجت روحه . سمعت منصور المغربى يقول دخل عليه يوسف بن الحسين عائدا له بعدما أتى عليه(١). أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال للخواص أتشتهى شيئا قال نعم قطعة كبد مشوى(٢). قال الأستاذ أبو القاسم لعل الإشارة فيه أنه أراد أشتهى قلباً يرق لفقير وكبداً تشتوى وتحترق لغريب لأنه كالمستحى ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده . وقيل كان سبب موت ابن عطاء أنه دخل على الوزير فكلمه الوزير بكلام غليظ فقال ابن عطاء اهدأ يارجل فأمر فضرب بخفه على رأسه فمات منه . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أبا بكر الدقى يقول كنا عند أبى بكر الزقاق بالغداة فقال إلهى تبقينى ههنا فما بلغ الغداة الأولى حتى مات .. وحكى عن أبى على الروذبارى أنه قال رأيت فى البادية حدثا فلما رآنى قال أما يكفيه أن شغفنى بحبه حتى علنى ثم رأيته يجود بنفسه فقلت له قل لا إله إلا الله فأنشد يقول :

أيا من ليس لى عنه … وإن عذبنى بد
ويا من نال من قلبى … مثالا ما له حد

وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره وقال :

حاضر فى القلب يعمره … لست أنساه فأذكره
فهو مولاى ومعتمدى … ونصيبى منه أوفره

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سألت جعفر بن نصير بكران الدينورى وكان يخدم الشبلى ما الذى رأيت منه فقال لى علىَّ درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبى شغل أعظم منه ثم قال وضئنى للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على

---

(١) (عليه) أى على الخواص فى مرضه .
(٢) (مشوى) فى نسخة مشوية .

لسانه فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون فى رجل لم يفته حتى فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة . سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسى يقول سمعت علوشاً الدينورى يقول سمعت المزين الكبير يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فوقع بى انزعاج [1]. فخرجت أريد المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح فعدلت إليه وهو ينزع فقلت له قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشد يقول :

أنا إن مت فالهوى حشو قلبى وبداء الهـوى تموت الكـــرام

فشهق شهقة ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى [2] من إرادة السفر فرجعت إلى مكة حرسها الله تعالى وقيل لبعضهم أتحب الموت فقال القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره . وحكى عن الجنيد أنه قال كنت عند أستاذى ابن الكرنبى وهو يجود بنفسه فنظرت إلى السماء فقال بعد [3]. ثم نظرت إلى الأرض فقال بعد يعنى أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض بل هو وراء المكان [4].. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا قبضتنى إلا على فترة .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا كنا فى جنازة فتى سمع قائلا :

---

(١) (انزعاج) أى تحرك .

(٢) (سكن ما كان بى .. إلخ) هذا من جملة اعتناء الله بالمزين حيث خلق له خاطر الانزعاج فى السفر إلى المدينة وكان المراد منه أن يتولى أمر هذا الشاب الذى رآه وسمع منه ما قال حتى أعلمه الله أنه من محبيه فإن سبب قتله وضنى جسمه المحبة فعرف الله المزين فضله عليه حيث أزعجه إلى أن واراه التراب رحمهما الله تعالى .

(٣) (بعد) أى هذا بعد .

(٤) (وراء المكان) أى قبله .

كبرت همة عبد طمعت فى أن تراكا

فشهق شهقة ومات . وقال دخل جماعة على ممشاد الدينورى فى مرضة فقالوا ما فعل الله بك وما صنع فقال منذ ثلاثين سنة تعرض علىَّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول قال الوجيهى كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شىء فهام على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة بنى إسرائيل فى الرمل ففتح عينيه وقال ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه وقال أبو يعقوب النهرجورى كنت بمكة حرسها الله تعالى فجاءنى فقير معه دينار فقال إذا كان غداً فأنا أموت فأصلح لى بنصف هذا قبرا والنصف الثانى لجهازى فقلت فى نفسى دوخل الشاب فإنه قد أصابه فاقة الحجاز فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الأرض فقلت هو ذا يتماوت فذهبت إليه فحركته فإذا هو ميت فدفنته كما أمر . وقيل لما تغيرت الحال على أبى عثمان الحيرى مزق ابنه أبو بكر قميصا ففتح أبو عثمان عينيه وقال يا بنى إن خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن . وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فأبطأ فى الجواب ثم رد وقال أعذرنى فلقد كنت فى وردى ثم مات .. وحكى أبو على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه فى التراب ليرحم الله عز وجل غربته ففتح عينيه وقال يا أبا على أتدللنى بين يدى من دللنى فقلت يا سيدى أحياة بعد موت فقال بل أنا حى وكل محب لله عز وجل حى لأنصرنك غداً بجاهى يا روذبارى .. ويحكى عن ابن سهل الأصفهانى أنه قال أترون أنى أموت كما يموت الناس مرض وعيادة إنما أدعى فيقال يا على فأجيب فكان يمشى يوماً فقال لبيك ومات .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال لما مرض أبو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا إله إلا الله فتبسم إلى وقال إياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه إلا حجاب العزة وانطفأ من ساعته فكان

المزين يأخذ بلحيته ويقول حجام مثلى يلقن أولياء الله تعالى الشهادة واخجلتاه منه وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية وقال أبو الحسن المالكى كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل [١] موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسين فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقينى من أخبرنى بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال إنه غشى عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذى أمرت به لا يفوتك والذى أمرت به يفوتنى فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤى فى المنام بعد موته فقيل له كيف حالك فقال لا تسل لكنى تخلصت من دنياكم الوضرة [٢]. (وذكر) أبو الحسين الحمصى مصنف كتاب بهجة الأسرار أنه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته وكان فى البلد يهودى نيف على السبعين فسمع الضجة فخرج لينظر ما كان فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال أترون ما أرى فقالوا لا إيش ترى فقال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم إنه تشهد وأسلم وحسن إسلامه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن قيس بمصر يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوما بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى يا أبا سعيد أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار .. وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول بلغنى أنه قيل لذى النون المصرى عند النزع أوصنا فقال لا تشغلونى فإنى متعجب من محاسن لطفه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد

---

(١) (فقال لى قبل .. إلخ) هذا من خرق العوائد أيضاً أعنى الكلام بعد الموت وقد جرى مثله فى الصحابة وفائدة هذه الحكاية تعريف الروذبارى أن الأولياء مخفيون فى الفقراء لتزداد رغبته فى مساعدتهم والقيام بحقوقهم .

(٢) (الوضرة) أى الفاسدة .

الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سئل أبو حفص فى حال وفاته ما الذى تعظنا به فقال لست أقوى على القول ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل حتى أحكى عنك فقال موعظتى الانكسار بكل القلب على التقصير ..



بـــاب المعرفة بالله (١).

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ جاء فى التفسير وما عرفوا الله حق معرفته ..

(أخبرنا) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل قال حدثنا محمد بن القاسم العتكى قال حدثنى محمد بن أشرس قال حدثنا سليمان بن عيسى الشجرى عن عباد بن كثير عن حنظلة بن أبى سفيان عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال « إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت بأبى أنت وأمى ما العقل القامع قال الكف عن معاصى الله والحرص على طاعة الله عز وجل » (قال الأستاذ) المعرفة على لسان العلماء هو العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى الله تعالى بجميل إقباله

---

(١) (باب المعرفة بالله) هى تحقيق العلم بإثبات الوحدانية ويقال نسيان غير الله ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهى ممدوحة ومطلوبة.

وصدق الله تعالى فى جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريأ ومن المساكنات والملاحظات نقيا ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته وحق فى كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وفى الجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه [١] تحصل معرفته بربه عز وجل وقد تكلم المشايخ فى المعرفة فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجده فى وقته . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته .. وسمعته يقول المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول سمعت الشبلى يقول ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله عز وجل قرار . وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول سمعت الشبلى يقول .. وقد سئل عن المعرفة فقال أولها الله تعالى وآخرها ما لا نهاية له . وسمعته يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا العباس الدينورى يقول قال أبو حفص منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبى حق ولا باطل (قال الأستاذ أبو القاسم) وهذا الذى أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال[٢] . وأجل ما يحتمله أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه فلا يشهد غير الله عز وجل ولا يرجع إلى غيره فكما أن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما

---

(١) (عن نفسه) وعن سائر المخلوقات فلا يطلقون العارف إلا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر فى مصنوعاته وغلب عليه ذلك بحيث صار حالا له حتى قالوا من عرف الله كَلَّ لسانه أى لم ينطق أى شغلته معرفته به عن ذكر غيره .

(٢) (طرف من الإشكال) لأن من عرف الله لا يستغنى عن النظر فى عبادته ليوقعها بحسب ماطلب وهذا حق ولابد من دخوله قلبه والشيطان عدو له لا يسكت عنه وذلك باطل لابد أن يدركه بقلبه ثم يتقيه .

يسنح له من أمر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه فإذا لم يكن مشتغلا إلا بربه تعالى لم يكن راجعا إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل . وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ (قال الأستاذ) هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص وقال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية غيره وغيبت آثاره بآثار غيره . وقال الواسطى لا تصح المعرفة وفى العبد استغناء بالله وافتقار إليه (قال الأستاذ) أراد الواسطى بهذا أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لأنهما من صفاته والعارف محق فى معروفه فكيف يصح له ذلك وهو لاستهلاكه فى وجوده أو لاستغراقه فى شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه بكل وصف هو له ولهذا قال الواسطى أيضاً من عرف الله تعالى انقطع بل خرس وانقمع قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا أحصى ثناء عليك » هذه صفات الذين بعد مرماهم فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا فى المعرفة وأكثروا .. (أخبرنا) محمد بن الحسين قال حدثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن سعيد الرازى قال حدثنا عباس بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكى يقول من كان بالله أعرف كان له أخوف وقال بعضهم من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء وضاقت عليه الدنيا بسعتها[1] .. وقيل من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله تعالى وقيل من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الأشياء وكان بلا فصل ولا وصل، وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم وقال رويم المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له

(١) (وضاقت عليه الدنيا بسعتها) فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك وأصحابه لما تخلفوا عن غزوة تبوك وهجروا إلى أن نزل فيهم قرآن أنهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وذلك لمعرفتهم بالله وعظمته وعظمة رسوله وتخلفهم عن الجهاد مع رسوله فكل من عرف الجليل العظيم لا يحتمل قلبه الاشتغال بغيره ولا البعد عنه ..

مولاه وقال ذو النون المصرى ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال وقال ذو النون المصرى معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقا بأخلاق الله عز وجل . وسئل ابن يزدانيار متى يشهد العارف الحق سبحانه فقال إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد وذهب الحواس واضمحل الإخلاص وقال الحسين بن منصور وإذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخواطره وحرس سره أن يسنح فيه غير خاطر الحق وقال علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل بن عبد الله المعرفة غايتها شيئان الدهش والحيرة . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيراً فيه .. وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الأنطاكى يقول قال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات من باب البر والتقوى فقال الجنيد هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيم والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإلى الله تعالى رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام ولم أنقص من أعمال البر ذرة وقيل لأبى يزيد بماذا وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقال أبو يعقوب النهرجورى قلت لأبى يعقوب السوسى هل يتأسف العارف على شىء غير الله عز وجل فقال وهل يرى غيره فيتأسف عليه فبأى عين ينظر إلى الأشياء فقال بعين الفناء والزوال وقال أبو يزيد العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه عز وجل وقال أبو يزيد إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت يوسف بن على يقول لا

يكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطى مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله عز وجل طرفة عين ، وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول المعرفة على ثلاثة أركان الهيبة والحياء والأنس .. وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لذى النون المصرى بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى وقيل العالم يقتدى به والعارف يهتدى به وقال الشبلى العارف لا يكون لغيره لاحظاً ولا بكلام غيره لافظا ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً وقيل العارف أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه وافتقر إلى الله تعالى فأغناه عن خلقه وذل لله تعالى فأعزه فى خلقه وقال أبو الطيب السامرى(١) المعرفة طلوع الحق(٢) على محل الأسرار(٣) بمواصلة الأنوار(٤) .وقيل العارف فوق ما يقول (٥) . والعالم دون ما يقول وقال أبو سليمان الدارانى إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلى وقال الجنيد العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت وقال ذو النون لكل شىء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجهى يقول سمعت أبا على الزوذبارى يقول سمعت رويما يقول رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين وقال أبو بكر الوراق سكوت العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين. وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء إنائه يعنى بحكم وقته.

---

(١) (السامرى) بفتح الميم وتشديد الراء .
(٢) (طلوع الحق) أى ظهوره وغلبته .
(٣) (على محل الأسرار) وهو قلب العبد .
(٤) (بمواصلة الأنوار) أى بتوالى أنوار معرفته عليه حتى لا ينساه فى شىء من حالاته.
(٥) (فوق ما يقول) إذ لا قدرة له على تعبيره عن جميع مقاماته وأحواله لقصور العبارة عنه كما تقصر عن الفرق بين روائح المحسوسات كرائحة الزبد ورائحة المسك وحلاوة العسل وحلاوة السكر وحموضة النارنج وحموضة الليمون وإذا قصرت العبارة عن ذلك فعما يواليه الله ويفتح به على قلوب العارفين أولى .

وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى في نومه غير الله تعالى ولا في يقظته غير الله تعالى ولا يوافق غير الله تعالى ولا يطالع غير الله تعالى سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سئل بعض المشايخ بم عرفت الله تعالى فقال بيلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على هالك مفقود يشير إلى وجد ظاهر ويخبر عن سر ساتر هو هو بما أظهره وغيره بما أشكله ثم أنشد:

نطقت بلا نطق هـو النطـق أنـه لك النطق لفظاً أو يبين عن النطق

تراءيت كي أخفى وقد كنت خافيا وألمعت لي برقا فأنطقت بالبرق

وسمعته يقول سمعت علي بن بشار الصيرفي يقول سمعت الجريري يقول سئل أبو تراب عن صفة العارف فقال الذي لا يكدره شئ ويصفو به كل شيء . وسمعته يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب .. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول العارف مستهلك في بحار التحقيق كما قال قائلهم المعرفة أمواج تغط ترفع وتحط .. وسئل يحيى بن معاذ عن العارف فقال رجل كائن بائن ومرة قال كان فبان وقال ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل عليه على هتك أستار محارم الله تعالى وقيل ليس العارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت جعفرا يقول سئل الجنيد عن قول ذي النون المصري في صفة العارف كان ههنا فذهب فقال الجنيد العارف لا تحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي فيه يجد مثل الذي يجدون وينطق بمعالمها لينتفعوا بها . وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله تعالى . وسمعته يقول سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الكتاني يقول سئل

أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء فقال نعم إنما البكاء فى أوقات سيرهم إلى الله تعالى فإذا نزلوا من حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك قال وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله تبارك وتعالى .



بـــاب المحبـــة

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ..

(أخبرنـــا) أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال حدثنا السلمى قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن لم يحب لقاء الله تعالى لم يحب الله تعالى لقاءه ».. (أخبرنـا) أبو الحسين على ابن أحمد بن عبدان قال حدثنـا أحمد بن عبيد الصفار البصرى قال حدثنا عبد الله بن أيوب قال حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا الحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقى عن هشام الكتابى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه وتعالى قال « من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة وما ترددت فى شىء كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً » .. (أخبرنـــا) على بن أحمد بن عبدان قال

أخبرنا أحمد ابن عبيد قال حدثنا عبيد بن شريك قال أخبرنا يحيى قال حدثنا مالك عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا أحب الله عز وجل العبد قال لجبريل يا جبريل إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول فى الأرض وإذا أبغض الله عز وجل عبداً قال مالك لا أحسبه إلا قال فى البغض مثل ذلك » .. (قال الأستاذ) المحبة حال شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه والمحبة على لسان العلماء هى الإرادة وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة فإن الإرادة[١] . لا تتعلق بالقديم[٢] . اللهم إلا أن يحمل[٣] . على إرادة التقرب إليه والتعظيم له ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفان إن شاء الله تعالى فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه[٤] . كما أن رحمته « إرادة الإنعام فالرحمة أخص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة فإرادته سبحانه صفه واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق سبحانه للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته له هذا القول إلى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله وهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به وحالة مخصوصه يرقيه إليها كما قال بعضهم إن رحمته بالعبد نعمه معه وقوم من السلف

---

(١) (فإن الإرادة) من العبد.

(٢) (لا تتعلق بالقديم) بناء على أن أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل .

(٣) (اللهم إلا أن يحمل .. إلخ) فيتضح تفسيرها بالإرادة .

(٤) (لإنعام مخصوص عليه) أى لإنعام على العبد مخصوص بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن عاداه .

قالوا محبته من الصفات الخيرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فأما ما عدا هذه الجملة مما هو فى المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشىء والاستئناس بالشىء وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه وعدم القرار من دونه ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلا ولا اختطاطاً كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة والمحب بوصف الاستهلاك فى المحبوب أولى منه بأن يوصف بالاختطاط ولا توصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة [١] والاستقصاء[٢] فى المقال عند حصول الإشكال فإذا زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق فى شرح الكلام[٣] وعبارات الناس عن المحبة كثيرة وتكلموا فى أصلها فى اللغة فبعضهم قال الحب اسم لصفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان وقيل الحباب مايعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب المحبة غاية معظم مافى القلب من المهمات وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقول أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه وقيل الحب مأخوذ من الحب وهو القرط قال الشاعر :

تبيت الحيـة النضاض منـه مكان الحب يستمع الســرارا

---

(١) (ولا أقرب إلى الفهم من المحبة) فعدم وصفها بذلك أو تحديدها إما لعسره أو لكونها ضرورية كما قيل به فى تعريف العلم.

(٢) (والاستقصاء) أى الاستغراق والإمعان .

(٣) (فى شرح الكلام) على ذلك ومحبة العبد مختلفة فتارة تكون للحنو والشفقة كمحبة الوالد لولده وتارة تكون للنعم فيحب من أنعم الله عليه وتارة تكون للاتصاف بصفات جميلة كالعلم والكرم والشجاعة فيحب المتصف بها وإن لم يكن له عليه نعمة وإنما يحبه لاتصافه بتلك الصفات المحمودة.

وسمى القرط حبا إما للزومه للأذن أو لقلقه وكلا المعنيين صحيح فى الحب وقيل هو مأخوذ من الحب والحب جمع حبة وحبة القلب ما به قوامه فسمى الحب حباً باسم محله وقيل الحَب والحُب كالعُمر والعمر وقيل مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهى بزور الصحراء فسمى الحب حباً لأنه لباب الحياة كما أن الحب لباب النبات وقيل الحب هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرة فسميت المحبة حبا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل وقيل هو من الحب الذى فيه الماء لأنه يمسك مافيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه وأما أقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته وقيل مواطأة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة وقال أبو يزيد البسطامى المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينه المخالفة . وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها وقال أبو على الروذبارى المحبة الموافقة قال أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقال الشبلى سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام(١) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق حرمه الله تعالى يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش وسمعته يقول العشق مجاوزة الحد فى المحبة والحق سبحانه لا يوصف بأنه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشق(٢) . ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر

---

(١) (إقامة العتاب على الدوام) كلام من المحب لمحبوبه يؤلف منه ما خشيت فرقته ويجبر مالاحت قطيعته .

(٢) (فلا يوصف بالعشق) وإن وصف بالمحبة لعدم الإذن فيه ولأنه إنما يكون لغائب =

الحق سبحانه فلا يقال إن عبدا جاوز الحد فى محبة الله تعالى فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق ولا العبد فى صفته سبحانه بأنه يعشق فنفى العشق ولا سبيل له إلى وصف الحق سبحانه لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق[١] . سبحانه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك ، وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أغصان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول ، وسمعته يقول سمعت النصراباذى يقول محبه توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء . وسمعته يقول سمعت محمد بن العلوى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت سمنونا يقول ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « المرء مع من أحب » فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة مالا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب . وفى معناه سمعت الأستاذ أبا على ينشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء

وكان يقول لا ترى أبا شفيقا يبجل ابنه فى الخطاب والناس يتكلفون فى مخاطبته والأب يقول يافلان وقال الكتانى المحبة الإيثار للمحبوب .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الأرجانى يقول سمعت بندار بن الحسين يقول رؤى مجنون بنى عامر فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين وقال أبو يعقوب السوسى حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله

= والله لا يغيب عنه شيء لأنه عالم بكل شيء ولا يؤثر فى ذلك كون الوصف كما لا عادة فإنا نصفه تعالى بأنه حكيم وكريم وعالم لأنه وصف نفسه بها ولا نصفه بأنه مهندس وسخى أو فقيه أو نحوى أو أصولى فصفات الله توقيفية ورد بها القرآن العظيم والسنة المشرفة.

(١) (ولا من العبد للحق) فلا الحق عشق عبده ولا العبد عشق الحق ولا يخفى ما فى كلامه من التكرار .

عز وجل وينسى حوائجه إليه وقال الحسين بن منصور حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول قيل النصراباذى ليس لك من المحبة شيء فقال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهو ذا احترق فيه. وسمعته يقول قال النصراباذى المحبة مجانبة السلو على كل حال ثم أنشد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة　　فإنى من ليلى لها غير ذائق

وأكثر شيء نلته من وصالها　　أمانى لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب وقال الجنيد المحبة إفراط الميل بلا نيل ويقال المحبة تشويش فى القلوب يقع من المحبوب ويقال المحبة فتنة تقع فى الفؤاد من المراد وأنشد ابن عطاء :

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى　　ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى

فأورق أغصانا وأينع صبوة　　وأعقب لى مرا من الثمر المحلى

وكل جميع العاشقين هواهم　　إذا نسبوه كان من ذلك الأصلى

وقيل الحب أوله ختل (١). وآخره قتل (١) .. سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله تعالى يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « حبك للشيء يعمى ويصم » فقال يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ثم أنشد:

إذا ما بدا لى تعاظمته　　فأصدر فى حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت

---

(١) (ختل) بالخاء المعجمة وإسكان التاء المثناة أى مخادعة يعنى معاملة الله عبده بالرفق وتوالى نعمه عليه .

(٢) (وآخره قتل) أى ألم وسقم لأن العبد إذا أحب الله ودامت معاملته له اطلع من صفاته تعالى على ما يحثه على طلب له ويشغله به عن غيره فإذا وجد اللذة فى كمال شغله ثم حجب عنها تألم وسقم .

إبراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحاسبى يقول المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهرا [١] . ثم علمك بتقصيرك فى حبه . وسمعته يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا وقال الشبلى المحب إذا سكت هلك [٢] . والعارف إن لم يسكت هلك وقيل المحبة نار فى القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب وقيل المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النورى المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار وقال أبو يعقوب السوسى لا تصلح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة وقال جعفر قال الجنيد دفع السرى إلىّ رقعة وقال هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى فما لى أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وقال ابن مسروق رأيت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت إبراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنونا وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سالت منه الدم ثم مات وقال الجنيد كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة وقيل حبس الشبلى فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم قالوا محبوك يا أبا بكر فأقبل يرميهم بالحجارة فقال إن ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى وأنشد الشبلى :

---

(١) (سرا وجهراً) على ما أمرك به ونهاك عنه .

(٢) (هلك) غما لأنه لا يقدر على النطق بكل ما يخلقه الله فى قلبه وربما نطق بما لا يفهم فكان فيه ضرورة .

يا أيهـــا السيد الكـــريـــم حبك بين الحشا مقـــيم

يارافع النـوم عــن جفونـــى أنت بما مر بـــى عليـــم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول سمعت على بن عبيد يقول كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب إليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات الأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول هل من مزيد وأنشدوا:

عجيب لمن يقول ذكرت إلفى وهل أنسى فأذكر مانسيـــت

أموت إذا ذكرتك ثم أحيـــا ولولا حسن ظنى ما حييت

فأحيـا بالمنى وأموت شوقـــا فكم أحيا عليك وكـم أمـــوت

شربت الحب كأساً بعـــد كأس فما نفد الشراب ومـــا رويت

وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى[١] . ورأيت بخط الأستاذ أبى على الدقاق رحمه الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى كن لى محباً وقال عبد الله بن المبارك من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع وقيل المحبة ما يمحو أثرك وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف[٢] . وأنشدوا :

فأسـكـر القـوم دَوْرَ كأس وكان سكرى من المديـــر

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ينشد كثيرا :

---

(١) (ملأته من حبى) أى محبته لإعراضه عن المشغلات والشهوات.

(٢) (لا يوصف) لعظمه فشغلك بالله عن غيرك من المخلوقين وأنت مدرك لسلو سكره وشغلك به عن غيره حتى نفسك سكرة أخرى أعظم من تلك وهى محبة العارفين وتلك محبة العابدين والزاهدين.

لى سكرتان وللندمـــان واحـــدة   شيء خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب[(١)] على الدوام وكان للأستاذ أبى على جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت قد خدمته كثيراً فسمعته يقول كانت فيروز تؤذينى يوما وتستطيل علىّ بلسانها فقال لها أبو الحسن القارئ لم تؤذين هذا الشيخ فقالت لأنى أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب إلىّ من عبادة سبعين سنة بلا حب وقيل إن شابا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال :

من مات عشقا فليمت هكذا   لا خير فى عشق بلا مـوت

وألقى نفسه من سطح عال فوقع ميتاً . وحكى أن بعض أهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل فى وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التى لم تدمع أربعا وثمانين سنة ولم يفتحها عقوبة لها لأنها لم تبك على فراق حبيبته وفى معناه أنشدوا :

بكت عينى غداة البين دمعا   وأخرى بالبكا بخلـت علينا

فعاقبت التى بخلت بدمع   بأن غمضتها يوم التقينـــا[(٢)]

وقال بعضهم كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال ذو النون كفوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسى   ء إذا تألـه والحــزن

والحب يجمل بالتقـى   وبالنقى مــن الـدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه دعى

---

(١) (إقامة العتاب) أى الاعتذار لله تعالى من التقصير مع كمال الجد والتشمير.

(٢) (بأن غمضتها يوم التقينا) وفى نسخة بعد هذا وجازيت التى جادت بدمع. بأن أفردتها بالحب عينا .

وقيل ادعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص فقال له الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجها وأتم جمالا فرفع الرجل رأسه يلتفت وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال هذا أجر من يدعى هوانا وينظر إلى سوانا وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة والأكثرون يقدمون المعرفة على المحبة وعند المحققين المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة وقال أبو بكر الكتانى جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله فهو بالله ولله مع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله تعالى يا تاج العارفين وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى فيها .. (أخبرنا) حمزة بن يوسف السهمى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال حدثنا هميم بن همام قال أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال حدثنى عبد الرحمن بن عفان قال حدثنى محمد بن أيوب قال حدثنى أبو العباس خادم الفضيل بن عياض قال احتبس بول الفضيل فرفع يديه وقال اللهم بحبى لك إلا أطلقته عنى قال فما برحنا [١] حتى شفى [٢] وقال المحبة الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت فى أمرها قالت ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وفى الابتداء قالت ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فوركت الذنب فى الابتداء عليه وفى الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة، سمعت الأستاذ أبا على يقول ذلك . وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال رأيت

---

(١) (فما برحنا) أى فما زلنا .

(٢) (حتى شفى) استجاب الله دعاءه حيث تفضل عليه بإطلاق بوله كماتفضل عليه بما وهبه له من محبته العظمى فكن فضل الله عليه دنيا وأخرى .

النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت يارسول الله اعذرنى فإن محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك[١] من أحب الله تعالى فقد أحبنى[٢] وقيل قالت رابعة فى مناجاتها إلهى أتحرق بالنار قلباً يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء[٣] وقيل الحب حرفان حاء وباء فالإشارة فيه أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه وكالإجماع من إطلاقات القوم أن المحبة هى الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقلب والمحبة توجب انتفاء المباينة فإن المحب أبدا مع محبوبه وبذلك ورد الخبر (حدثنا) الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا القاضى أحمد بن محمود بن حرزا قال حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال حدثنا يحيى بن حبيب قال حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى وائل عن أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قيل له إن الرجل ليحب القوم ولما يحلق بهم فقال « المرء مع من أحب » . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الأحوال من ثلاثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عز وجل ورؤيته . وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا القاسم الجوهرى يقول سمعت أبا على ممشاد بن سعيد العكبرى يقول راود خطاف خطافة فى قبة سليمان عليه السلام فامتنعت عليه فقال لها لم تمتنعين علىّ وإن شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان عليه السلام وقال له ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله إن

---

(١) (يا مبارك) لفظة تستعمل فيمن قصر نظره بعض القصور .

(٢) (فقد أحبنى) لأن من أحب محبوباً وكمل حبه له أحب من أحبه المحبوب فلو كمل نظرك لأحببتنى أشد المحبة لأنى حبيب المحبوب .

(٣) (فلا تظنى بنا ظن السوء) فى ذلك تنبيه على طلب حسن الظن بالله فإنه لا يخلف الميعاد ولو أراد بالمحب العذاب لما خلق له المحبة .

العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم فقال صدقت .



بـــاب الشـــوق

قال الله عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾ .. (أخبرنــا) على بن أحمد بن عبدان الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال أخبرنا ابن أبى قماش قال أخبرنا إسماعيل بن زرارة عن حماد بن يزيد قال أخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت خففت أبا اليقظان فقال وما علىَّ من ذلك ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى ما علمت الوفاه خيراً لى ، اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الغنى والفقر وأسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك فى غير ضراء مضرة[1] . ولا فتنة مضلة .. اللهم زينا بزينة الإيمان .. اللهم اجعلنا هداة مهتدين » .. قال الأستاذ : الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يفرق بين الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤ ية والاشتياق لا يزول باللقاء وفى معناه أنشدوا :

---

(١) (ضراء مضرةٍ) بإضافة ضراء إلى مضرة وضم الميم .

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليـه الطرف مشتاقا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت النصراباذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق[١] . وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أثر ولا قرار[٢] . وقيل جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال : رأيت فى المنام أنك تموت إلى سنة فلو استعددت للخروج فقال له عبد الله بن منازل لقد أجلتنا إلى أمد بعيدا أعيش أنا إلى سنة لقد كان لى أنس بهذا البيت الذى سمعته من هذا الثقفى يعنى أبا على :

يا من شكا شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحب غـدا

وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة وقال يحيى بن معاذ : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات[٣] . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما إلى بعض الصحارى منفرداً فأوحى الله تعالى إليه ما لى أراك يا داود وحدانيا فقال : يا إلهى استأثر الشوق إلى لقائك على قلبى فحال بينى وبين صحبة الخلق فأوحى الله تعالى إليه ارجع إليهم فإنك إن أتيتنى بعبد آبق أثبتك فى اللوح المحفوظ جهبذا وقيل كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور والعجوز تبكى فقيل لها ما يبكيك فقالت ذكرنى قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى . وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد ، وسئل أيضا عن الشوق فقيل له الشوق أعلى أم المحب فقال : المحبة لأن الشوق منها يتولد ، وقال بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشى يسنح عن

---

(١) (يكون الشوق) لأنه ثمرتها ويؤخذ من كلامه أن الله تعالى لا يوصف بالشوق وإن وصف بالمحبة وهو كذلك لما مر بيانه .

(٢) (ولا قرار) لاشتغاله عن نفسه بالكلية بما هو مستغرق فيه من صفات الله العظيمة كالكمال والجلال .

(٣) (فطام الجوارح عن الشهوات) بأن يعرض العبد عنها شوقا إلى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام ويشتاق إليه .

الفرقة فإذا وقع اللقاء طفئ وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقيل لبعضهم هل تشتاق فقال لا : إنما الشوق إلي غائب وهو حاضر . سمعت الأستاذ أبا على يقول فى قوله عز وجل ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ قال معناه شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا وسمعته رحمه الله تعالى يقول : من علامات الشوق تمنى الموت على بساط العوافى كيوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب لم يقل توفنى ولما أدخل السجن لم يقل توفنى ولما دخل أبواه وخر له الإخوة له سجداً وتم له الملك والنعم قال ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ وفى معناه أنشدوا :

نحن فى أكمل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتم السرور

عيب ما نحن فيه يا أهل ودى ... أنكم غُيَّب ونحن حضور

وفى معناه أنشدوا :

من سره العيد الجديـ ... ـد فقد عدمت به السرورا

كان السرور يتم لى ... لو كان أحبابى حضورا

وقال ابن خفيف الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء وبالقرب وقال أبو يزيد إن لله عبادا لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال أخبرنا أبو العباس الهاشمى بالبيضاء قال حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى قال حدثنا عبد الله الأنصارى قال سمعت الحسين الأنصارى يقول رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه يا ملائكتى من هذا فقالوا الله أعلم فقال هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى وفى بعض الحكايات فى مثل هذا المقام أنه قيل هذا معروف الكرخى خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله فأباح الله عز وجل له النظر إليه وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء

المشتاقون إلىَّ أشهدكم أنى إليهم أشوق(١) . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « أسألك الشوق إلى لقائك » قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق فى الناس فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضاً فغار أن يكون شظية من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين(٢) . ولهذا قيل :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل إن المشتاقين يتحسسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد (٣) . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول الشوق أجل مقام للعارف إذا تحقق فيه وإذا تحقق فى الشوق لها عن كل شىء يشغله عمن يشتاق إليه وقال أبوعثمان الحيرى فى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾ هذا تعزية للمشتاقين معناه أنى أعلم أن اشتياقكم إلىَّ غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لشبان بنى إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ما هذا الجفاء . وقيل أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى معاصيهم لماتوا شوقاً إلىَّ وانقطعت أوصالهم من محبتى يا داود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إ رادتى فى المقبلين إلى .. وقيل مكتوب فى التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وخوفناكم فلم تخافوا ونحنا لكم فلم تنوحوا ..

---

(١) (إنى إليهم أشوق) أى أحب لما مر أنه تعالى لا يوصف بالشوق فوصفه به هنا مجاز على سبيل المشاكلة .

(٢) (المحجوبين) عنه لأن من نال شيئا طلب الزيادة منه بخلاف المحجوب عنه فإنه إذا فتح الله عليه بشىء منه قنع به .

(٣) (أحلى من الشهد) لأن العبد إذا كمل اشتياقه للقاء ربه لم يقم لاشتياقه شىء ويؤيده خبر لايجد الشهيد من ألم القتل فى سبيل الله إلا كما يجد من القرصة فإنه لما كمل شوقه من الحب للقاء حبه لم يجد من السيف ألماً إلا كما يجد ألم القرصة.

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول بكى شعيب حتى عمى فرد الله عز وجل بصره عليه ثم بكى حتى عمى فرد الله عز وجل بصره إليه ثم بكى حتى عمى فأوحى الله تعالى إليه إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك وإن كان لأجل النار فقد أجرتك منها فقال : لا بل شوقاً إليك .. فأوحى الله عز وجل إليه لأجل ذلك أخدمتك نبى وكليمى عشر سنين وقيل من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء وفى الخبر « اشتاقت الجنة إلى ثلاثة على وعمار وسلمان ».. سمعت الأستاذ أبا على يقول قال بعض المشايخ أنا أدخل الشوق والأشياء تشتاق إلى وأنا عن جميعها حر .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن جعفر يقول : سمعت محمد ابن عمر الرملى يقول : حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا مرحوم قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت في التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم(١) . فلم ترقصوا(٢) . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد وقد سئل من أى شيء يكون بكاء المحب إذا لقى المحبوب فقال إنما يكون ذلك سروراً به ووجدا من شدة الشوق إليه وقد بلغنى أن أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر واوجداه .



---

(١) (وزمرنا لكم) أى خلقنا لكم على لسان داود عليه السلام من الأصوات الحسنة ما يحرك الجبال بل مات بوعظه للناس خلق كثير من الجن والإنس والطير والوحش .

(٢) (فلم ترقصوا) لم تتحركوا وحاصله أن الله وعظهم وحركهم إلى الرجوع إليه .. وطلب مرضاته فلم يتحركوا نحوه بقلوبهم .

بـــــاب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليها [١].

قال الله تعالى فى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قال الإمام لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أولا فى الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شيء ولا يعترض عليه فى حكم ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عند المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة سامه الفرقة فقال ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾..

(أخبرنـــا) أبو الحسين الأهـــوازى قال حدثنـــا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أبو سالم القزاز قال حدثنـــا يزيد بن بيان قال حدثـــنا أبو الرجال عـــن أنس قال قال رسول الله صلـــى الله عليه وآله وسلـــم « ما أكـــرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله تعالى من يكرمه عند سنـــه ».. سمعت الأستاذ أبا على الدقـــاق رحمـــه الله يقول بدء كل فرقة المخالفة يعنى به أن مـــن خـــالف شيخـــه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا مـــن الشيوخ ثـــم اعترض عليه بقلبه نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة علـــى أن الشيـــوخ قالوا حقوق الأستاذين لا توبة عنها .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقـــول خرجت إلى مرو فى حياة شيخـــى الأستاذ أبو سهـــل الصعلوكى وكان لـــه قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دور القرآن والختم فوجدته عند رجوعى قد رفـــع ذلك المجلس وعقد لأبى الغفانـــى فى ذلك الوقت مجلـــس القول فداخلنى من ذلك شيء فكنت أقول فى نفسى قد استبدل مجلس الختم بمجلـــس القول فقال لى يوما يا أبـــا عبد الرحمن إيش يقول الناس فىَّ فقلت يقـــولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال من قال لأستاذه لِمَ لا يفلح أبدا (ومن المعروف) أن الجنيد قال دخلت على

---

(١) (باب حفظ قلوب المشايخ .. إلخ) وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلاميذهم ولأن التقليد أمانة فمتى خالف فيه التلميذ فقد خان .

السرى يوماً فأمرنى شيئاً فقضيت حاجته سريعا فلما رجعت إليه ناولنى رقعة وقال هذا المكان قضائك لحاجتى سريعا فقرأت الرقعة فإذا فيها مكتوب سمعت حاديا يحدو فى البادية أبكى وهل يدرك ما يبكينى أبكى حذار أن تفارقينى .. وتقطعى سبلى وتهجرينى.. ويحكى عن أبى الحسن الهمدانى العلوى قال كنت ليلة عند جعفرالخلدى وكانت أمر فى بيتى أن يعلق طير فى التنور وكان قلبى معه فقال لى جعفر أقم الليلة فتعللت بشىء ورجعت إلى منزلى فأخرج الطير من التنور ووضع بين يدى فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين فأتى بالجوذاب الذى تحته فتعلق به ذيل الخادمة فانصب فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره علىّ قال من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه .. سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت أبا عبد الله الدينورى يقول سمعت الحسن الدامغانى يقول سمعت عمى البسطامى يحكى عن أبيه أن شقيقا البلخى وأبا تراب النخشبى قدما على أبى يزيد فقدمت السفرة وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له كل معنا يا فتى فقال أنا صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى فقال أبو يزيد تدعوا من سقط من عين الله تعالى فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة فقطعت يده .. سمعت الأستاذ أبا على يقول وصف سهل بن عبد الله رجلا بالولاية خبازا بالبصرة فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك فاشتاق إليه فخرج إلى البصرة فأتى حانوت الخباز فرآه يخبز وقد تنقب لمحاسنه على عادة الخبازين فقال فى نفسه لو كان هذا وليا لم يحترق شعره بغير تقلب ثم إنه سلم عليه وسأله شيئا فقال الرجل إنك استصغرتنى فلم تنتفع بكلامى وأبى أن يكلمه .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمع عبد الرحمن الرازى أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البلخى ويمدحه فاشتاق إليه فخرج إلى زيارته فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد فرجع إلى أبى عثمان وسأله فقال كيف وجدته فقال لم أجده كما ظننت فقال لأنك استصغرته وما استصغر أحد أحدا إلا حرم فائدته ارجع إليه بالحرمة فرجع إليه عبد الله فانتفع

بزيارته (ومن المشهور) أن عمر بن عثمان المكى رأى الحسين بن منصور يكتب شيئا فقال ما هذا فقال هو ذا أعارض القرآن فدعا عليه وهجره قال الشيوخ إن ما حل به(١) بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده صديق .. سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى رحمه الله تعالى يقول من رضى عنه شيخه لا يكافأ فى حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ماهو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ فى حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له فإنهم مجبولون على الكرم فإذا مات ذلك الشيخ فحينئذ يجد المكافأة بعده .



بـــــاب السمـــاع (٢)

قال الله عز وجل : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ (٣) فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ(٤) ﴾ اللام فى قوله القول تقتضى التعميم والاستغراق والدليل عليه أنه مدحهم باتباع الأحسن وقال تعالى ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾.. جاء فى التفسير أنه السماع واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنعمة المستلذدة إذا لم

(١) (إن ما حل .. إلخ) فى ذلك تحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد أحوال التلامذة.

(٢) (فى السماع) هو الانتباه بالقلب إلى ما يحمد شرعا ويقال غير ذلك .

(٣) (يستمعون القول) الذى أثنى الله عليه وأمرباستماعه والتدبر له واتباعه .

(٤) (فيتبعون أحسنه) وهو فيه كمال فلاحهم .

يعتقد المستمع محظوراً[١] ويسمع على مذموم فى الشرع[٢] ولم يتجر فى زمام هواه ولم ينخرط فى سلك لهوه مباح فى الجملة ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه سمعها[٣] ولم ينكر عليهم فى إنشادها فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان[٤] هذا ظاهر من الأمر[٥] ثم ما[٦] يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعد الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرز من الزلات ويؤدى إلى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحب فى الدين ومختار فى الشرع وقد جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما هو قريب من الشعر وإن لم يقصد أن يكون شعراً(أخبرنا) أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا شعبة عن حميد قال : سمعت أنساً يقول كان الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعـوا محمـدا على الجهاد ما بقينا أبـدا

فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة » ليسَ هذا اللفظ منه صلى الله عليه وآله وسلم على وزن شعر لكنه قريب منه وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان فمن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء[٧] وأما

(١) (محظورا) أى ممنوعا منه .
(٢) (مذموم فى الشرع) كمزمار وطنبور .
(٣) (سمعها) أى من منشديها .
(٤) (بالألحان) المطربة .
(٥) (من الأمر) أى الحال .
(٦) (ثم ما) أى السماع الذى .
(٧) (يبيحون الغناء) المنقول عن مالك والحجازيين كراهته فإن أريد بالإباحة مقابل الحرمة وبالكراهة كراهة التنزيه فلا منافاة وكراهة التنزيه ما كانت إلى الحلال أقرب عكس كراهة التحريم وهى ما كانت إلى الحرام أرقب .

الحداء[١] فإجماع منهم على إجازته وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار فى ذلك وروى عن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ففى أى الجانبين سماعك فقال لا فى الحسنات ولا فى السيئات يعنى أنه من المباحات[٢] وأما الشافعى رحمه الله تعالى فإنه لا يحرمه ويجعله فى العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهى ترد به الشهادة ويجعله مما يسقط المروءة ولا يلحقه بالمحرمات وليس كلامنا فى هذا النوع من السماع فإن هذه الطائفة جلت رتبتهم عن أن يستمعوا بلهو أو يقعدوا للسماع بسهو أو يكونوا بقلوبهم مفكرين فى مضمون لغو أو يستمعون على صفة غير كفء وقد روى عن ابن عمر آثار فى إباحة السماع وكذلك عن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب وكذلك عن عمر رضى الله عنهم أجمعين وكذلك فى الحداء وغيره وأنشد بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأشعار فلم ينه عنها وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم استنشد الأشعار ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضى الله تعالى عنها وفيه جاريتان تغنيان فلم ينههما (أخبرنا) الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا الحباب بن محمد التسترى قال أخبرنا أبو الأشعث قال حدثنا محمد بن بكر البرسانى قال حدثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل عليها وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم بعاث فقال أبو بكر مزمار الشيطان مرتين فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا وعيدنا هذا اليوم ».. (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبى قال حدثنا أبو كامل قال حدثنا أبو عوانة عن الأجلح عن أبى الزبير عن جابر عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها

---

(١) (الحداء) بضم الحاء وكسرها بالمد هو ما يقال خلف الإبل من رجز وغيره لتنشط على السير .

(٢) (من المباحات) قيل بل المشهور عند أبى جريج منعه .

أنكحت ذات قرابتها من الأنصار فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال أهديتم الفتاة فقالت نعم قال فأرسلت من يغنى قالت لا فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم إن الأنصار فيهم غزل[١] فلو أرسلتم من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم[٢] .. (أخبرنا) الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رضى الله تعالى عنه قال حدثنا أحمد بن محمود بن خرز إذ قال حدثنا الحسين بن الحارث الأهوازى قال حدثنا سلمة بن سعيد عن صدقة بنت أبى عمران قالت حدثنا علقمة بن مرثد بن زاذان عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن[٣] .. (وأخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد ابن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبى قال حدثنا أبو ربيع قال حدثنا عبد السلام ابن هشام قال حدثنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » .. (وأخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن يونس الكريمى قال حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال حدثنا شبيب بن بشر بن البجلى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نغمة » مفهوم الخطاب يقتضى إباحة غير هذا فى غير هذه الأحوال وإلا بطل التخصيص والأخبار فى هذا الباب تكثر والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار وقد روى أن رجلا أنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) (غزل) أى رفع صوت بمحاسن العروس ليحببوها لبعلها .

(٢) (وحياكم) وفى نسخة فحيونا نحييكم ويدل لجواز ذلك خبر أشهروا النكاح واضربوا عليه بالدف .

(٣) (فضيلة الصوت الحسن) لما فيه من زيادة والتأثير فى قلب السامع لكن قد يقال إنما دل على فضيلته فى كتاب الله لا فى الغناء .

أقبلت فــلاح لها　　عارضــان كالسبــج
أدبرت فقلــت لهـا　　والفؤاد فـــى وهــج
هـــل على ويحكمـا　　إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا وإن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه من الناس قال الله عز وجل ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ قيل فى التفسير من ذلك الصوت الحسن وذم الله سبحانه الصوت الفظيع فقال ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل يقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء قال الله تعالى ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ . وحكى إسماعيل بن عليه قال كنت أمشى مع الشافعى رحمه الله تعالى وقت الهاجر فجزنا بموضع يقول[١] فيه أحد[٢] شيئاً فقال مل بنا إليه ثم قال أيطربك هذا فقلت لا فقال مالك حس[٣] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أذن الله[٤] تعالى لشىء كإذنه[٥] لنبى يتغنى بالقرآن »[٦].. (أخبرنا) على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ابن ملحان قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أنه قال أخبرنى أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لم يأذن الله تعالى لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » وقيل إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن

---

(١) (يقول) أى ينشد .　(٢) (أحدِ) الأولى واحد .
(٣) (مالك حس) لعل إطرابه إنما كان لتضمنه معانى حسنه يختص بإدراكها بعض الناس دون بعض لا لمحض الصوت فإن حسن الصوت لا ينكره أحد .
(٤) (ما أذن الله) أى ما استمع لشىء .
(٥) (كإذنه) أى كاستماعه لنبى حسن الصوت
(٦) (يتغنى بالقرآن) أى يجهر به ويحسن به صوته والمراد باستماعه له الرضا والقبول.

والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبى موسى الأشعرى « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » وقال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو علمت أنك تسمع لحبرته[١] لك تحبيراً (أخبرنا) أبو حاتم السجستانى قال أخبرنا عبد الله بن على السراج قال حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى الرقى قال كنت فى البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب وأضافنى رجل منهم فرأيت غلاما أسود مقيداً هناك ورأيت جمالا قد ماتت بفناء البيت فقال لى الغلام أنت الليلة ضيف وأنت على مولاى كريم[٢] فتشفع لى فإنه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد[٣]. فقال هذا الغلام قد أفقرنى وأتلف مالى فقلت فما فعل فقال له صوت طيب وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالا ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته[٤] لك[٥] وحل عنه القيد فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته ذلك فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقى عليه فحدا الغلام فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم أظن أنى سمعت صوتاً أطيب منه ، فوقعت لوجهى حتى أشار إليه بالسكوت .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل ما بال الإنسان يكون هادئا فإذا سمع السماع اضطرب فقال إن الله تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .. سمعت

(١) (لخبرته بالقرآن) أى لحسنته لك تحسينا وزينته لك تزييناً فالمراد تحسين ما يتلوه بحسن إيراده .

(٢) (وأنت على مولاى كريم) لأنه يكرم الضيف .

(٣) (هذا العبد) أى تفكه عن قيده .

(٤) (وهبته) أى ذنبه .

(٥) (لك) وقبلت شفاعتك فيه .

الأستاذ أبا على الدقاق يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر الصوفى يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كان الحارث بن أسد المحاسبى يقول ثلاث إذا وجدن متع بهن وقد فقدناها حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء . وسئل ذو النون المصرى عن الصوت الحسن فقال مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كل طيب وطيبة . وسئل مرة أخرى عن السماع فقال وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق . وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن السماع[١] . فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد[٢] . وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة[٣] . وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون[٤] . إلا صفة الأولياء[٥] .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر بن ممشاد الدينورى يقول سمعت الجنيد يقول السماع فتنة[٦] . لمن طلبه[٧] ترويح لمن صادفه وحكى عن الجنيد أنه قال السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء الزمان والمكان والإخوان . وسئل الشبلى عن السماع فقال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقيل لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حى فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه

---

(١) (عند السماع) كما قال الله تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

(٢) (وجد) صادق يستحيون من ربهم أن يطلع على قلوبهم وهم يتكلفون لغيره .

(٣) (إلا عن فاقة) لينشطوا للعبادة . (٤) (لا يذكرون) مع صفات الله ورسله .

(٥) (إلا صفة الأولياء) من أحوالهم ومقاماتهم . (٦) (فتنة) امتحان وابتلاء واختبار.

(٧) (لمن طلبه) لأن من طلبه تكلف ومن تكلف له استجلبه بظاهره ومن استجلبه قارنه الرياء والتشبع بما لم ينل فليحذر من طلبه .

حى بنور الموافقة. وسئل أبو يعقوب النهرجورى عن السماع فقال حال يبدى الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق وقيل السماع لطف عند الأرواح لأهل المعرفة. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول السماع طبع إلا عن شرع وخرق إلا عن حق وفتنة إلا عن عبرة ويقال السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو فمن بشرط صاحبه معرفة الأسامى والصفات وإلا وقع فى الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقى من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة. وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى أنه قال سألت أبا سليمان عن السماع فقال من اثنين أحب إلى من الواحد. وسئل أبو الحسن النورى عن الصوفى فقال من سمع السماع وآثر الأسباب وسئل أبو على الروذبارى عن السماع يوما فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو فقير مدع .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكى يقول قال جعفر كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد شيخا فاضلا فربما كان يحضر موضع سماع فإن استطابه فرش إزاره وجلس وقال الصوفى مع قلبه وإن لم يستطبه قال السماع لأرباب القلوب ومر وأخذ نعله .. سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله تعالى يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفى يقول سئل رويم عن وجود الصوفية عند السماع فقال يشهدون المعانى التى تعزب عن غيرهم فتشير إليهم إلى فيتنعمون بذلك من الفرح ثم يقع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكى كل إنسان على قدره[1] .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الحصرى يقول فى بعض كلامه إيش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ينبغى أن يكون سماعك متصلا غير منقطع قال وقال الحصرى ينبغى أن يكون ظمأ دائم وشرب دائم فكلما ازداد شربه ازداد

---

(١) (على قدره) أى قدر تعلقه بربه تعالى ورفعة مقامه وعظم بعده وحجبه.

ظمؤه(١) وجاء عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴾ يحبرون أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبدا نحن الناعمات فلا نبؤس أبدا وقيل السماع نداء والوجد قصد . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتحة وسمعته يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يوجب التهليب والتجلى يورث الترويع والاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة وليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ وقال أبو عثمان الحيرى السماع على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمراءت والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا الفرج الشيرازى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول قال أبو سعيد الخراز من ادعى أنه مغلوب عند الفهم يعنى فى السماع وأن الحركات مالكة له فعلامته تحسين المجلس الذى هو فيه بوجده قال الشيخ أبو عبد الرحمن فذكرت هذه الحكاية لأبى عثمان المغربى فقال هذا أدناه وعلامته الصحيحة أن لا يبقى فى المجلس محق إلا أنس به ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه وقال بندار بن الحسين السماع على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من يسمع بالحق فالذى يسمع بالطبع يشترك

(١) (ازداد ظمؤه) وذلك بدوام معرفة الله ومحبته ومناجاته والاشتغال به حتى تنافس القلوب به وتنال من فضله وعطاياه وما يمنحه لها الله فإذا وصل العبد إلى هذا السماع لم يصبر عنه بحال وكلما ازداد شربه منه والانتفاع توالى عطشه عليه وتواردت على قلبه الأوجاع فعمل المؤمن دائم لا ينقطع قال الله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ يعنى الموت وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « أحب العمل ما داوم عليه صاحبه ».

فيه الخاص والعام فإن جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب والذى يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو حذر انفصال أو ما جرى مجراه وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى ولله ولا يتصف بهذه الأحوال التى هى ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لا بحظ وقيل أهل السماع على ثلاث طبقات أبناء الحقائق يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم وضرب يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعانى ما يسمعون فيهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله تعالى وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة. سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول وقد سئل عن السماع فقال مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب وقال الخواص وقد سئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك فى سماع القرآن.. فقال : لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازى يقول سمعت الجنيد يقول إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة[١]. وسمعته يقول سمعت على بن عبد الله البغدادى يقول سمعت أبا سعيد الرملى يقول قال سهل بن عبد الله السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو . وحكى أحمد بن مقاتل العكى قال لما دخل ذو النون المصرى بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئاً فأذن فابتدأ يقول :

---

(١) (فيه بقية من البطالة) لأنه لم تكمل معرفته بمولاه ولا جاهد نفسه فى مفارقة هواه بخلاف سماع من كملت معرفته فإنه إنما يكون بعد تقدم المجاهدات والرياضات والإعراض عن الشهوات شغلا بالله وطمعا فى وجود الراحات العاجلة والآجلة فيكون سماعه من باب العون له على مقاصده الصحيحة وأحواله الرفيعة.

صغير هـــواك عذبنى فكيف به إذا احتنكـــــا [١]
وأنت جمعت من قلـــبى هوى [٢] قد كان مشتركا
أمـــا ترثـــى لمكتـــئب إذا ضحك الخلى [٣] بكـــى

قال فقام ذا النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ثم قام رجل من القوم يتواجد فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى هذه الحكاية كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قيل ذلك منه فرجع وقعد . سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما جبلة والثانى رزيق [٤] فزار رزيق يوماً جبلة فى أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئا فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات [٥] . فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق أين الذى قرأ بالأمس فليقرأ فقرأ آية فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد والبادى أظلم .. وسئل إبراهيم المارستانى عن الحركة عند السماع فقال بلغنى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فأوحى الله تعالى إليه قل له مزق لى قلبك ولا تمزق ثيابك (وسأل) أبو على المغازلى الشبلى فقال ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله عز وجل فتحدو بى على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فقال الشبلى ما اجتذبك إليه فهو عطف منه عليك ولطف وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك لأنه لم يصح لك التبرى من الحول والقوة فى

---

(١) (احتنكا) استولى وقهر .
(٢) (هوى) حبا .
(٣) (الخلى) الخالى من الهم .
(٤) (رزيق) بتقديم الراء على الزاى.
(٥) (ومات) لقوة حاله عليه وفى ذلك دلالة على صدق القارئ والمستمع فى السماع .

التوجه إليه . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكى يقول كنت مع الشبلى فى مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلى خلف إمام لـه وأنا بجنبه فقرأ الإمام : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ فزعق زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيراً . وحكى عن الجنيد أنه قال دخلت على السرى يوماً فرأيت عنده رجلا مغشياً عليه فقلت ماله فقال سمع آية من كتاب الله تعالى فقلت تقرأ عليه ثانياً فقرئ فأفاق فقال لى من أين علمت هذا فقلت إن قميص يوسف ذهب بسببه عين يعقوب عليهما السلام ثم عاد به بصره فاستحسن منى ذلك .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى[1] . فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت نفسه .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله فكل من أسأل منه يقول لى إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وعليه مصحف يقرأ فيه وإذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فدنوت منه وسلمت عليه فرد السلام وقال من أين فقلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ ، فقال لو أن فى بعض البلدان قال لك إنسان أقم عندى حتى أشترى لك دارا أو جارية أ كان يمنعك عن زيارتى فقلت ياسيدى ما امتحننى الله تعالى بشىء من ذلك ولو كان لا أدرى كيف كنت أكون فقال تحسن أن تقول شيئا فقلت نعم وقلت :

---

(١) (لم تصحبنى) الأولى لا وذلك لأن إخفاء الأحوال عن غير الله أفضل لمن قدر عليه .

رأيتك تبنى[١] دائباً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال لى يا بنى [٢]. لا تلم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة . هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت[٣] . سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله ابن على الطوسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن القوطى مارين على الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا نحن بقصر حسن له منظر وعليه رجل وبين يديه جارية تغنى وتقول :

فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

وإذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يسمع فقال ياجارية بحياة مولاك أعيدى : كل يوم تتلون . غير هذا بك أجمل فأعادته. فقال الشاب قولى فأعادت فقال الفقير هذا والله تلونى مع الحق وشهق شهقة خرجت روحه فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى وخرج أهل البصرة وفرغوا من دفنه والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال أليس تعرفونى أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله وكل مماليكى أحرار ثم اتزر بإزار وارتدى برداء وتصدق بالقصر ومر فلم ير له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت

---

(١) (رأيتك تبنى .. إلخ) أشار به إلى أن العبد يشتغل فى أكثر عمره بغير ربه وما خلق له ﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾.

(٢) (ثم قال لى يا بنى .. إلخ) أى ثم أراد أن يعرفنى أيضاً كمال حاله وأن زيارتى له لم تخب حيث قال يابنى ..إلخ .

(٣) (بهذا البيت) أى بسماعى له وهذا كله يدل على كماله لاشتغاله بكتاب الله من وقت الصلاة إلى وقت الاجتماع مع ما رأى وأين هذا من الزندقة وبالجملة فالغرض أن العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لأنهم يوقعون ذلك بغير أصل ولو سمع هذا الزائر من كلامهم لفاتته هذه الخيرات .

عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت يحيى بن الرضا العلوى قال سمع أبو سليمان الدمشقى طوافاً ينادى يا سعتر برى[١] . فسقط مغشياً عليه فلما أفاق سئل فقال حسبته يقول اسع تر برى. وسمع عتبة الغلام رجلا يقول سبحان رب السماء إن المحب لفى عناء فقال عتبة صدقت وسمع رجل آخر ذلك القول فقال كذبت فكل واحد سمع من حيث هو . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد الصوفى يقول سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم فى السماع فقال كالقطيع إذا وقع فيه الذئب وحكى عن أبى سعيد الخراز قال رأيت على بن الموفق فى السماع يقول أقيمونى فأقاموه فقام وتواجد ثم قال أنا الشيخ الزفان وقيل قام الرقى ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون والبيت :

بالله فاردد فؤاد مكتئب[٢] ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت على بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول سمعت أبى يقول خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره فلما كان فى آخر عمره قرئ بين يديه : ﴿ **فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ** ﴾ رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط فلما رجع إلى حال صحوة سألته عن ذلك فقال يا حبيبى ضعفنا[٣] وحكى ابن سالم قال رأيته مرة أخرى قرئ بين يديه ﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ** ﴾ فتغير وكاد يسقط فقلت له فى ذلك فقال ضعفت .. وهذه

---

(١) (برى) أى إكرامى لك وسمع بعضهم منادياً ينادى فى السوق على الخيار نوع من الخيارأربعة بربع فبكى وانتحب وقال إذا كان هذا قدر الخيار يقصد خيار الخلق فكيف يكون قدر الشرار.

(٢) (مكتئب) أى شديد الحزن .

(٣) (ضعفنا) أى عن كتم أحوالنا لما كبرنا واستشعرنا قرب الأجل والوقوف بين يدى الله وأنه لا يؤخذ ممن عليه فدية .

صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قوياً إلا وهو أقوى منه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول دخلت على أبى عثمان المغربى وواحد يستقى الماء من البئر على بكرة فقال يا أبا عبد الرحمن أتدرى إيش تقول البكرة فقلت لا فقال تقول الله الله.. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على بن طاهر يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت رويما يقول روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول سبحان الله حقاً حقاً إن المولى صمد يبقى .. سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن على الكرخى الوجيهى يقول كان جماعة من الصوفية مستجمعين فى بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينورى فسكتوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهى الدنيا فى أدنى ما شغل همى ولو شفى بعض ما بى (وبهذا الإسناد) عن الوجيهى قال سمعت أبا على الروذبارى يقول بلغنا فى هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف إن ملنا كذا ففى النار وقال خير النساج قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة فزعق واحد منهم فانتهره موسى[١]. فأوحى الله تعالى إليه ياموسى بطيبى فاحوا وبحبى باحوا وبوجدى صاحوا فلم تنكر على عبادى .. وقيل سمع الشبلى قائلا يقول الخيار عشرة بدانق فصاح وقال إذا كان عشرة بدانق فكيف الشرار وقيل إذا تغنت الحور العين فى الجنة توردت الأشجار وقيل كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكى القوم . وسئل أبو سليمان الدارانى عن السماع فقال كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى الصبى إذا اريد أن ينام ثم قال أبو سليمان إن الصوت الحسن لا يدخل فى القلب شيئا إنما يحرك من القلب مافيه قال ابن أبى الحوارى صدق والله أبو سليمان

---

(١) (فانتهره موسى) فيه دلالة على أن كتمان الأحوال أولى من إظهارها لكنها إن غلبت السامع عذر كما ذكره بقوله فأوحى إلى فلم تنكر على عبادى أى فإنى خلقت لهم من الوجد ما لا قدرة لهم على حمله فناجوا وباحوا وصاحوا .

وقال الحريرى كونوا ربانيين أى سماعين من الله قائلين[١]. بالله تعالى. وسئل بعضهم عن السماع فقال بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم أنشد يقول :

خطرة فى السر منه خطرت   خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل

أى زور لك لو قصدا أسرى   وملم بك لو حقا فعل

وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع إلى العين تبكى وما يقع إلى اللسان يصيح وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم وما يقع إلى الرجل ترقص وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابناً صغيراً فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه ثم توافقوا على أن يأتوا بقوال يقول شيئا فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته فأتوا بقوال فلما قال القوال شيئا ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه[٢] .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول اجتمع أبو عمرو بن نجيد والنصراباذى والطبقة فى موضع فقال النصراباذى أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئا ويسكت الباقون خير من أن يغتابوا أحدا فقال أبو عمرو لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر فى السماع ما لست به .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الناس فى السماع ثلاثة متسمع ومستمع وسامع فالمتسمع يسمع بوقت والمستمع يسمع بحال والسامع يسمع بالحق . وسألت الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى غير مرة شبه

---

(١) (قائلين .. إلخ) لأن من كملت معرفته بالله كان سامعا لله وبالله وناطقاً بالله والربانيون هم العلماء العباد والأحبار هم العلماء خاصة .

(٢) (وبايعوه) لما علموا من تمييزه الحسن لما استحسنوه إذ من الصغار من إذا سمع زمرا أو نحوه فرح وضحك ومنهم من إذا سمع شيئا مفزعا بكى ومنهم من إذا طلب حاجة وشغل بأخرى أحسن منها سكت وقبل الثانية فيدل ذلك عن حسن تمييزه ومنهم من إذا خطر بباله شيء أو غيب عنه شيء وشغل بغيره لم يرجع إليه ويدوم بكاؤه على ما خطر له وليس ذلك إلا لسوء خلقه وقوة رأسه ومن عنده أدنى تمييز يميل إلى السماع وهذه الإبل إذا حدا لها حاد حسن الصوت وما حملت الأثقال لا تبالى بأحمالها وطاب لها سماع الحادى ومدت أعناقها وجدت فى سيرها وهان عليها المشارق.

طلب رخصة في السماع وكان يحيلنى على ما يوجب الإمساك عنه ثم بعد طول المعاودة قال إن المشايخ قالوا ما جمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به .. (أخبرنا) أبوالحسن على بن أحمد الأهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسماعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن يعلى الرازى قال حدثنا حفص بن عمر العمرى قال حدثنا أبو عمرو عثمان بن بدر قال حدثنا هرون بن حمزة عن العذافرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى وأحب ما تكون إلى وأقربه إذا أكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل رأى بعضهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقال الغلط فى هذا أكثر يعنى به السماع .. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبو بكر النهاوندى يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسى يقول رأيت إبليس لعنه الله فى المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب نظاف فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا فاستفزعنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ثم قال لى يا أبا الحارث ماأصبت شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول اجتمعت ليلة مع الشبلى رحمه الله تعالى فقال القوال شيئا فصاح الشبلى وتواجد قاعدا فقيل له يا أبا بكر ما لك من بين جماعة قاعدا فقام وتواجد وقال :

لى سكرتان وللندمان واحدة   شىء خصصت به من بينهم وحدى

وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول جزت بقصر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس فسألت عنه فقالوا إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنى :

كبرت همــة عبـد طمعت فى أن تراكا
أو ما حســب لعين أن ترى من قد رآكا

فشهق شهقة ومات



بـــاب كرامــات الأوليـــاء

قال الأستاذ أبو القاسم ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه فى العقل لا يؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدورا لله سبحانه فلا شىء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه فى أحواله فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز والذى يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقا فى أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه ذلك الأمر هو الكرامة التى أشرنا إليها ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقضا للعادة فى أيام التكليف ظاهرا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله وتكلم الناس فى الفرق بين الكرامة وبين المعجزات من أهل الحق [١] . فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراينى رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد إلا ممن يكون عالما وكان يقول الأولياء لهم كرامات شبه

---

(١) (من أهل الحق) بيان للناس.

إجابة الدعاء [١] . فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا وأما الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق [٢] . ثم إن ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات للفرق [٣] . وكان رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والولى يجب عليه سترها وإخفاؤها والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعى ذلك ويقطع القول به والولى لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا وقال أوحد وقته القاضى أبو بكر الأشعرى رضى الله تعالى عنه إن المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهو القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد فى الكرامة إلا هذا الشرط الواحد والكرامة فعل لا محالة محدث لأن ما كان قديما لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة وتحصل فى زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل وقد لا تكون بغير اختياره فى بعض الأوقات ولم يأمر الولى بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئا من ذلك على من يكون أهلا له لجاز (واختلف) أهل الحق فى الولى هل يجوز أن يعلم أنه ولى أم لا فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول لا يجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن

---

(١) (شبه إجابة الدعاء) كالأخبار بمجىء زيد من سفره وبعافيته من مرضه .

(٢) (الصدق) أى صدق الأنبياء .

(٣) (للفرق) بينهما بأن المعجزة ما قارنها دعوى النبوة بخلاف الكرامة فعنده أن ما يكون من جنس المعجزات يكون للولى أيضا فإن كل كرامة لولى هى معجزة لنبية وهو المختار الذى دل عليه كلام المصنف فيما يأتى ..

وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذى نؤثره [١]. ونقول به وليس ذلك بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كل ولى يعلم أنه ولى واجبا ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلم بعضهم فإذا علم بعضهم أنه ولى كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها وليس كل كرامة لولى يجب أن تكون بعينها لجميع الأولياء بل لو لم يكن للمولى كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها [٢]. فى كونه وليا بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات لأن النبى مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقة ولا يعرف إلا بالمعجزة وبعكس ذلك حال الولى لأنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولى أيضا العلم بأنه ولى والعشرة [٣]. من الصحابة صدقوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العاقبة والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه يزيد ويربو على كثير من الخوف . واعلم أنه ليس للولى مساكنة [٤]. إلى الكرامة التى تظهر عليه ولا له ملاحظة فربما يكون لهم ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله فيستدلون بها على صحه ما هم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ماتواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها [٥]. وظهورها على الأولياء فى الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهه فى ذلك على الجملة . ومن دلائل هذه الجملة نص

---

(١) (نؤثره) أى ننقله .

(٢) (لم يقدح عدمها .. إلخ) بل قد يكون أفضل ممن ظهرت له كرامات لأن الأفضلية إنما بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة .

(٣) (والعشرة .. إلخ) فقد علموا بذلك أنهم من أولياء الله وأجمعت الأمة على فضلهم .

(٤) (مساكنة) أى سكون .

(٥) (بكونها) أى وجودها .

القرآن في قصة صاحب سليمان (١). عليه السلام حيث قال:﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ولم يكن نبيـاً والأثـر عن أميـر المؤمنين عـمـر بن الخطاب رضى الله عنه صحيح أنه قال(٢) ياسارية الجبل(٣) فى حال خطبته يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر إلى سارية فى ذلك الوقت حتى تحرزوا من مكامن العدو من الجبل فى تلك الساعة . فإن قيل كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الرائدة فى المعانى على معجزات الرسل وهل يجوز تفضيل الأوليـاء على الأنبياء عليهم السلام. قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن كل من لم يصادق فى الإسلام لا تظهر عليه الكرامـة وكل نبى ظهرت كرامـتـه على واحد من أمـتـه فـهى معدودة من جملة معجزاته إذ لو لم يكن ذلك الرسول صـادقاً ولم تظهر على يد من تابعه الكرامة فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبـة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك . وهذا أبو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسألة فقال مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما فى الظرف مثل لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

فصل.. ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فـى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة (٤) للعادة .. واعلم أن كثيرا من المقدرات يعلم اليوم قطعا أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها (٥). حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيوانا وأمثال هذا كثير .

(١) (صاحب سليمان) هو آصف بن براخيا.
(٢) (أنه قال) على المنبر بالمدينة لسارية وكان بالشام أو بمصر يقاتل العدو وأراد العدو أن يكيده ويسبقه إلى الجبل.
(٣) (يا سارية الجبل) أى اصعده كشف الله له حال سارية مع العدو رأى سارية وسمعه سارية.
(٤) (الناقضة) أى الخارقة .
(٥) (فمنها) أى من تلك المقدورات .

فصل .. فإن قيل فما معنى الولى قيل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره ويكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالى فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾.

فصل .. فإن قيل فهل يكون الولى معصوما قيل أما وجوبا كما يقال فى الأنبياء فلا وأما أن يكون محفوظا حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم ولقد قيل للجنيد العارف يزنى يا أبا القاسم فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ .

فصل .. فإن قيل فهل يسقط الخوف عن الأولياء قيل أما الغالب على الأكابر فكان الخوف وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع وهذا السرى السقطى يقول لو أن واحدا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح السلام عليك ياولى الله فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا وأمثال هذه من حكايتهم كثيرة .

فصل .. فإن قيل فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضى الله تعالى عنه يحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير .

فصل .. فإن قيل فهل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك ومن قال إنه فى الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون

وليا فى الحال صديقـا ثم يتغير وهذا الذى نختاره[١] . نحن ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولى أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولى يجوز أن يعلم أنه ولى .

فصل .. فإن قيل فهل يزايل الولى [٢] خوف المكر [٣] قيل إن كان مصطلما[٤] عن شاهده مختطفا عن إحساسه بحاله فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه[٥] والخوف من صفات الحاضرين بهم[٦] .

فصل.. فإن قيل فما الغالب على الولى فى حال صحوه قيل صدقه فى أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق فى جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلب الإحسان من الله عز وجل إليهم من غير التماس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوقى عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد مع أموالهم وترك الطمع بكل وجه وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون[٧] . عن شهود مساويهم ولا يكون خصما لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة .. واعلم أن من أجل الكرامات التى تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصى والمخالفات ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله سبحانه فى صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ ﴾،

---

(١) (وهذا الذى نختاره) ولا يورث احتمال التغير فى العاقبة شكا فى كونه وليا أو مؤمنا فى الحال وإلا لالتبس الأمر علينا فلا نشترط فى صدق ذلك دوامه إلى الممات .

(٢) (يزايل الولى) أى يزول عنه .

(٣) (خوف المكر) أى مكر الله به عياذا بالله تعالى.

(٤) (مصطلما) أى مستغرقا .

(٥) (فيما استولى عليه) من الأحوال التى طرقته فأين هو من الخوف الذى هو من صفة حاضر الحس .

(٦) (الحاضرين بهم) أى منهم.

(٧) (والتصاون) أى صون نفسه .

وكان يقول﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ ؟ فتقول مريم : ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ وكان فى غير أوان الرطب وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك .. ومن ذلك قصة ذى القرنين وتمكينه سبحانه له مما لم يمكن لغيره ومن ذلك ما أظهر على يد الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب وما كان يعرفه مما خفى على موسى عليه السلام كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر عليه السلام بها ولم يكن نبيا وإنما كان وليا . ومما روى من الأخبار فى هذا الباب حديث جريج الراهب أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراينى قال أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال حدثنا عمار بن رجاء قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبى قال سمعت محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو عوانة وحدثنى الصنعانى وأبو أمية قالا حدثنا الحسين بن محمد المروذى قال حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبى فى زمن جريج وصبى آخر فأما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عابداً فى بنى إسرائيل وكانت له أم فكان يوما يصلى إذا اشتقات إليه أمه فقالت ياجريج فقال يارب الصلاة خير أم آتيها ثم صلى فدعته فقال مثل ذلك ثم صلى فاشتد على أمه فقالت : اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات(١) . وكانت زانية فى بنى إسرائيل فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزنى فأتته فلم تقدر على شيء وكان راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته(٢) . فلما أعياها(٣) . راودت الراعى على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريج فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ثم إنه صلى ودعا ثم نخس الغلام قال محمد(٤) . قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبى

---

(١) (المومسات) أى الزانيات المعلنات بالزنا.

(٣) (صومعته) أى صومعة جُرَيْج.

(٣) ((فلما أعياها) جريج.

(٤) (قال محمد) هو ابن سيرين .

صلى الله عليه وآله وسلم حين قال بيده ياغلام من أبوك فقال الراعى فندموا على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا نبنى صومعتك من ذهب أو قال من فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبى الآخر فإن امرأة كان معها صبى لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل الوجه ذو إشارة(١) . فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا فقال الصبى اللهم لا تجعلنى مثله قال قال محمد قال أبو هريرة كأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين كان يحكى الغلام وهو يرضع ثم مر أيضاً امرأه ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه فقال اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك (٢) . فقال إن الشاب جبار من الجبابرة وأن هذه قيل إنها زنت ولم تزن وقيل سرقت ولم تسرق وهى تقول حسبى الله وهذا الخبر (٣) . روى فى الصحيح ومن ذلك حديث الغار وهو مشهور مذكور فى الصحاح.

حديث الغار

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراينى قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن اسحاق قال حدثنا محمد بن عون ويزيد بن عبد الصمد الدمشقى وعبد الكريم بن القاسم الديرعاقولى وأبو الخصيب بن المستنير المصيصى قالوا حدثنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فعاقنى طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فتحرجت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق (٤) . قبلهما أهلا ولا مالا فقمت والقدح على يدى أنتظر

(١) (إشارة) هيئة حسنة . (٢) (فى ذلك) أى ما سببه .

(٣) (وهذا الخب .. إلخ) فهؤلاء الثلاثة تكلموا فى المهد وكلامهم خرق للعادة فكلام الأول كرامة لمريم وبراءة لها مما نسب إليها وكلام الثانى كرامة لجريج وبراءة له مما نسب إليه وكلام الثالث آية لوالدته وبراءة للمظلومة . (٤) (أغبق) بضم الباء أى أسقى .

استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما .. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال الآخر اللهم إنه كانت لى بنت عم وكانت أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها .. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال الثالث اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب فثمرت أجره فجاءنى بعد حين فقال يا عبد الله أد إلى أجرتى فقلت له كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت إنى لا أستهزئ بك فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً .. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون وهذا حديث صحيح(١) . متفق عليه ومن ذلك الحديث الذى قال صلى الله عليه وآله وسلم فيه إن البقرة كلمتهم.. (أخبرنـــا) أبو نعيم الإسفرايينى قال أخبرنا أبو عوانة قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت أما أنى لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله (٢) فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم آمنت

---

(١) (وهذا حديث صحيح .. إلخ) كما مرت الإشارة إليه فى كلامه والكرامة فى ذلك استجابة دعائهم وإزالة الصخرة عنهم بقدرة الله خرقاً للعادة والظاهر أن أقومهم الثانى فإنه ترك شهوته مع تيسرها وكما محبته لابنة عمه وبذله لها مابذله من المال الجزيل ثم تركه لها.

(٢) (سبحان الله) تعجبا .

بهذا (١). أنا وأبو بكر وعمر» . ومن ذلك حديث أويس القرنى وما شهد به عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من حاله وقصته ثم التقاؤه مع هرم بن حيان وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة وتركنا حديث أويس لشهرته وقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة وقد صنف فى ذلك كتب كثيرة سنشير إلى طرف منها على وجه الايجاز إن شاء الله عز وجل ..

(فمن ذلك) أن ابن عمر كان فى بعض الأسفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وهذا خبر معروف .. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فحال بينه وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء .. وروى أن عتاب بن بشير وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج .. وروى أنه كان بين يدى سلمان وأبى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح . وروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سبحانه وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدها . وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد فى الدنيا أربعين يوماً صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له فلعدم الصدق فى زهده فقيل لسهل كيف تظهر له الكرامة فقال يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء .. (أخبرنا) على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا أبو مسلم قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة

---

(١) (آمنت بهذا.. إلخ) أى بأنه حق وأنه تعالى قادر عليه وأنه يفعله، ووجه دخول ذلك فى كرامات الأولياء نصح البقرة لصاحبها حتى لا يحملها ما لا تطيقه ولما لم تخلق له .

الماجشون قال حدثنا وهب بن كيسان عن ابن عمر عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال« بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً فى السحاب فسمع صوتاً فى السحاب أن اسق حديقة فلان فجاء ذلك السحاب إلى سرحة فأفرغ ماءه فيها فاتبع السحاب فإذا رجل قائم يصلى فى حديقة فقال ما اسمك فقال فلان بن فلان باسمه قال فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قال إنى سمعت صوتاً فى السحاب أن اسق حديقة فلان .. قال : أما إذ قلت فإنى أجعلها أثلاثاً فأجعل لنفسى وأهلى ثلثاً وأرد عليها ثلثا وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً ».. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول دخلنا تستر فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله بيتا كان الناس يسمونه بيت السباع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كان السباع تجىء إلى سهل وكان يدخلهم هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم قال أبو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير .. سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت حمزة بن عبد الله العلوى يقول دخلت على أبى الخير التيناتى وكنت اعتقدت (١). فى نفسى أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاما فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فإذا به خلفى وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وأبو الخير التيناتى مشهور بالكرامات . وحكى عن إبراهيم الرقى أنه قال قصدته(٢) مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا (٣). فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى (٤). فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت إليه وقلت إن الأسد قصدنى فخرج وصاح على الأسد وقال ألم أقل لك لا تتعرض لضيفانى وتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم

---

(١) (اعتقدت) أى قصدت .

(٢) (قصدته) أى أبا الخير .

(٣) (مستويا) لكن لا يضر فى الصلاة كأن لحن لحنا لا يغير المعنى « وكان به عجمة منعته من التعلم ».

(٤) (ضاعت سفرتى) لمن لا يحسن قراءة الفاتحة .

القلب فخافنا الأسد . وقيل كان لجعفر الخلدى فص فوقع يوما فى دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد فدعا به فوجد الفص(١) . فى وسط أوراق كان يتصفحها . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول إن ذلك الدعاء(٢) . يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علىَّ ضالتى قال أبو نصر السراج أرانى أبو الطيب العكى جزءا ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها وكان الجزء أوراقا كثيرة .. سألت أحمد الطابرانى السرخسى رحمه الله تعالى فقلت له هل ظهر لك شىء من الكرامات فقال فى وقت إرادتى وابتداء أمرى ربما كنت أطلب حجرا أستنجى به فلم أجد فتناولت شيئا من الهواء فكان جوهرا فاستنجيت به وطرحته ثم قال وأى خطر للكرامات إنما المقصود منه زيادة اليقين فى التوحيد فمن لا يشهد وغيره موجدا فى الكون فسواء أبصر فعلا معتادا أو ناقضا للعادة . سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا الحسين البصرى يقول كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى إلى الخرابات فجعلت معى شيئا وطلبته فلما وقعت عينه على تبسم وأشار بيده إلى الأرض فرأيت الأرض كلها ذهبا يلمع ثم قال هات ما معك فناولته وهالنى أمره وهربت .. سمعت منصور المغربى يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول كان لى استقصاء فى أمر الطهارة فضاق صدرى ليلة لكثرة ما صببت من الماء ولم يسكن قلبى فقلت يارب عفوك فسمعت هاتفا يقول العفو فى العلم فزال عنى ذلك . سمعت منصور المغربى يقول فرأيته يوما قعد على الأرض فى الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة فقلت أيها الشيخ هذه آثار الغنم فقال اختلف الفقهاء فيه سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول سمعت أبا سليمان الخواص يقول كنت راكبا حمارا يوما وكان الذباب يؤذيه فيطأطئ رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى

---

(١) (فوجد الفص إلخ) الكرامة فيه وجوده الفص الذى سقط منه فى البحر بين الأوراق التى كان يتصفحها ولم يعرف من أتى به .

(٢) (إن ذلك الدعاء) الذى دعا به جعفر هو يا جامع الناس ... إلخ .

فرفع الحمار رأسه وقال اضرب فإنك على رأسك هو ذا تضرب قال الحسين فقلت لأبى سليمان لك وقع هذا فقال نعم كما تسمعنى . وذكر عن ابن عطاء أنه قال سمعت أبا الحسين النورى يقول كان فى نفسى شىء من هذه الكرامات فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت وعزتك لئن لم يخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقن نفسى قال فخرج لى سمكه فيها ثلاثة أرطال فبلغ ذلك الجنيد فقال كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه .. سمعت الشيخ عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد قال حدثنا محمد بن عطية قال حدثنا عبد الكبير ابن أحمد قال سمعت أبا بكر الصائغ قال سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى قطعة من حديد آخذ بها شعرى فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير فقلت تأخذ شعرى لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى وحلق شعرى ثم دفع إلى قرطاسا فيه دراهم وقال استعن بها على بعض حوائجك فأخذتها واعتقدت أن أدفع إليه أول شىء يفتح على به قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض إخوانى وقال لى جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار قال فأخذت الصرة وحملتها إلى المزين وقلت هذه ثلاثمائة دينار تصرفها فى بعض أمورك فقال لى ألا تستحى يا شيخ تقول لى احلق شعرى لله ثم آخذ عليه شيئا انصرف عافاك الله .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت ابن سالم يقول لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سفطا(١) . فيه قارورتان فى واحدة منهما شىء أحمر وفى الأخرى شىء أبيض ووجد شوشقة(٢) . ذهب وشوشقة فضة قال فرمى بالشوشقتين فى الدجلة وخلط مافى القارورتين بالتراب وكان على إسحاق دين قال ابن سالم قلت لسهل إيش كان فى القارورتين قال إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهبا والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل

---

(١) (سفطا) بفتح الفاء شيئا كالقفة.
(٢) (شوشقة) قطعة .

من الرصاص صار فضة فقلت وإيش عليه لوقضى منه دينه فقال أى دوست(١) خاف على إيمانه .. وحكى عن النورى أنه خرج ليله إلى شط دجلة فوجدها وقد التزق الشيطان فانصرف وقال وعزتك لا أجوزها إلا فى زورق . سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال كان أبو تراب النخشبى صاحب كرامات فسافرت معه سنة وكان معه أربعون نفساً ثم أصابتنا مرة فاقة فعدل أبو تراب عن الطريق وجاء بعذق موز فتناولنا وفينا شاب فلم يأكل فقال له أبو تراب كل فقال الحال الذى اعتقدته ترك المعلومات وصرت أنت معلومى فلا أصحبك بعد هذا فقال له أبو تراب كن مع(٢) ما وقع لك . وحكى أبو نصر السراج عن أبى يزيد قال دخل علىَّ أبو على السدى وكان أستاذه وبيده جراب فصبها فإذا هى جواهر فقلت من أين لك هذا فقال وافيت واديا ههنا فإذا هو يضيء كالسراج فحملت هذا فقلت فكيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى فقال وقت فترة عن الحال التى كنت فيها ، وقيل لأبى يزيد فلان يمشى فى ليلة إلى مكة فقال الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق إلى المغرب فى لعنة الله . وقيل له فلان يمشى على الماء ويطير فى الهواء فقال الطير يطير فى الهواء والسمك يمر على وجه الماء وقال سهل بن عبد الله أكثر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموما من أخلاقك . سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت ابن سالم يقول سمعت أبى يقول كان رجل يقال له عبد الرحمن بن أحمد

---

(١) (أى دوست) بالعجميه أى يا صاحبى .

(٢) (كن معى) ماوقع لك واعتقدته أى ابق عليه ولا تأكل علم منه أن معه قوة وزيادة يقين ومن قبيل قول الشاب فلا أصحبك بعد هذا ما وقع للخواص مع الخضر لما لقيه فى سفره وطلب منه الخضر الصحبة فامتنع خوفاً من أن تسكن نفسه إليه فيفسد عليه توكله على ربه وقد قال أبو تراب لذلك الشاب ما يقول أصحابك فى الكرامات التى يكرم الله بها أولياءه فقال له ما أعرف أحدا ينكرها قال له أبو تراب من أنكرها فهو كافر ولكن بلغنى أن أصحابك يزعمون أنها خدع من الحق وليس الأمر كما ذكروه وإنما تكون خدعا لمن اختارها وسكن بقلبه إليها وأما من أعطيها ولم يسكن إليها فتلك مرتبة الربانيين .

يصحب سهل بن عبد الله فقال له يوماً ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدى قضبان ذهب وفضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليشتغلوا بها .. سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أخبرنى جعفر بن محمد قال حدثنى الجنيد قال دخلت على السرى يوما فقال لى عصفور كان يجىء فى كل يوم فأفت له الخبز فيأكل من يدى فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدى فتذكرت فى نفسى إيش السبب فذكرت أنى أكلت ملحاً بأبزار فقلت فى نفسى لا آكل بعدها وأنا تائب منه فسقط على يدى وأكل . وحكى أبو عمرو الأنماطى قال كنت مع أستاذى فى البادية فأخذنا المطر فدخلنا مسجد نستكن فيه وكان السقف يكف فصعدنا السطح ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف فقصر الخشب عن الجدار فقال أستاذى مدها فمددتها فركبت الحائط من ههنا ومن ههنا .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت الرقى يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول كنت مارا فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر(١) . وقال بعضهم كنت عند خير النساج فجاءه رجل وقال أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك وقد صارت يدى منقبضة على كفى قال فضحك خير وأومأ بيده إلى يده ففتحها ثم قال امض واشتر بهما لعيالك شيئا ولا تعد لمثله . وحكى عن أحمد بن محمد السلمى قال دخلت على ذى النون المصرى يوما فرأيت بين يديه طستا من ذهب وحوله الند(٢) . والعنبر يسجر(٣) . فقال لى أنت ممن يدخل على الملوك فى حال بسطهم ثم أعطانى درهما فأنفقت منه إلى بلخ وحكى عن أبى سعيد الخراز قال كنت فى بعض أسفارى وكان يظهر لى كل

---

(١) (فهى كفر) أو بدعة لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رتب الحقيقة على الحق فى خبر حارثة فإنه قال له كيف أصبحت فقال حارثة أصبحت مؤمنا حقا قال له إن لكل حق حقيقة فرتبها على الحق والحق ما شهدت به الشريعة .

(٢) (النـد) بفتح النون ما خلط من مسك وكافور .

(٣) (والعنبر يسجر) أى يولد فى النار وفى نسخه يتبخر به أى بمجموع الأمرين.

ثلاثة أيام شيء فكنت آكله وأستقل به فمضى ثلاثة أيام وقتا من الأوقات ولم يظهر شيء فضعفت وجلست فهتف بي هاتف . أيما أحب إليك سبب أو قوة فقلت القوة فقمت من وقتي ومشيت اثنى عشر يوما لم أذق شيئا ولم أضعف وعن المرتعش قال سمعت الخواص يقول تهت في البادية أياما فجاءني شخص وسلم علي وقال لي تهت فقلت نعم فقال ألا أدلك على الطريق ومشى بين يدي خطوات ثم غاب عن عيني وإذا أنا على الجادة فبعد ذلك ما تهت ولا أصابني في سفر جوع ولا عطش . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت عمر بن يحيى الأردبيلي يقول سمعت الرقي يقول سمعت ابن الجلاء يقول لما مات أبي ضحك على المغتسل(١) . فلم يجسر أحد يغسله وقالوا إنه حي حتى جاء واحد من أقرانه وغسله . وسمعت محمد بن أحمد التميمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت طلحه القصائري يقول سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله يقول كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوما وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوي وكان أبو عبيد البسري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتا ويقول لامرأته طيني على الباب وألقي إلي كل ليلة من الكوة رغيفا فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا به ثلاثين رغيفا في زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة من الصلاة وقال أبو الحارث الأولاسي مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلا من سري ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سري إلا من ربي (حدثنا) محمد بن عبد الله الصوفي قال حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة قال سمعت علي بن سالم يقول كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة في آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة . وحكي عن أبي عمران الوسطي قال انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت لي يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب

(١) (ضحك على المغتسل) لما رآه عند نزع روحه مما استبشر به وسر به فبقيت صورة ضحكة وتبسمه في وجهه كما قال تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وصدق الله العظيم .

وفيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا قال فأخذت الكوز وشربنا منه وإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت من أنت رحمك الله فقال عبد لمولاك فقلت بم وصلت إلى هذا فقال تركت هواى لمرضاته فأجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى ولم أره (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا بكر بن أحمد الجبيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه وقلت إنك تكثر الصلاة فقال أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال بعضهم كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى الآيات ورجل ضرير بالقرب منا يسمع فتقدم إلينا وقال أنست بكلامكم اعلموا أنه كان لى صبية وعيال وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب فخرجت يوماً فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله فى أصبعه فتوهمت أنه تائه فقصدته أسلب ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال سر فى حفظ الله فقلت الثانية والثالثة فقال لابد فقلت لابد فأشار بإصبعيه من بعيد إلى عينى فسقطتا فقلت بالله عليك من أنت فقال (١) . إبراهيم الخواص(٢)وقال ذو النون المصرى كنت وقتا فى السفينة فسرقت قطيفة (٣) . فاتهموا بها رجلا فقلت دعوه حتى أرفق به وإذا الشاب نائم فى عباءة فأخرج رأسه من العباءة فقال له ذو النون فى ذلك المعنى فقال إلى تقول ذلك أقسمت عليك يارب أن لا تدع واحدا من الحيتان إلا جاء بجوهرة قال فرأينا وجه الماء حيتانا فى أفواههم الجواهر ثم

---

(١) (فقال) أنا .

(٢) (إبراهيم الخواص) ولم يوفق من سأله بالله أن يسأله بالله أن يدعو له ليرد الله عليه بصره وفيما ذكر إظهار الكرامة وتحذير العبد من أَن يطلب ما تشتهيه نفسه من كل أحد من الناس ولا يخالف أحداً منهم مخالفة تؤديه إلى ضرر فربما جازاه الله بفعله من حيث لا يشعر وربما كان بسبب من كان خالفه .

(٣) (قطيفة) يقال إنها قلادة فيها جواهر والمراد أنه سرق منها جوهرة .

ألقى الفتى نفسه فى البحر ومر إلى الساحل وحكى عن إبراهيم الخواص قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لى يا راهب الحنيفية هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا فقلت إلهى لا تفضحنى مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء ورطب وكوزاء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت يا راهب النصارى هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك فاتكأ على عصاه ودعا فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل فألح على فلم أجبه فقال كل فإنى أبشرك ببشارتين إحداهما أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وحل الزنار والأخرى أنى قلت اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح علىّ بهذا ففتح قال فأكلنا ومشينا وحج وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء وقال محمد بن المبارك الصورى كنت مع إبراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا فطأطأ إبراهيم رأسه فقال ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا إليه ليتناول منا شيئا فقلت يا أبا إسحاق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما رجعنا مررنا بها فإذا هى شجرة عالية رمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمان العابدين ويأوى إلى ظلها العابدون .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن الفرحان يقول سمعت الجنيد يقول سمعت أبا جعفر الخصاف يقول حدثنى جابر الرحبى قال أكثر أهل الرحبة على الإنكار فى باب الكرامات فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله قال فكفوا بعد ذلك عنى . سمعت منصور المغربى يقول رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له هل رأيت فوقك أحدا فقال نعم كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت له هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم لا تسمع منه فقال إنه يروى عن ميت وأنا لست بغائب عن الله عز

وجل فقلت له إن كنت كما تقول فمن أنا فرفع رأسه وقال أنت أخى أبو العباس الخضر فعلمت أن لله عبادا لم أعرفهم (١) . وقيل كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى يتعبد فى غرفة ليس إليها سلم ولا درج فكان إذا أراد أن يتطهر يجىء إلى باب الغرفة ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويمر فى الهواء كأنه طير ثم يتطهر فإذا فرغ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته .. (أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازى بالبصرة قال سمعت أبا محمد جعفر الحداء بشيراز قال كنت أتأدب بأبى عمر الإصطخرى فكان إذا خطر لى خاطر أخرج إلى إصطخر فربما أجابنى عما أحتاج إليه من غير أن أسأله وربما سألت فأجابنى ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرى مسألة أجابنى من إصطخر فيخاطبنى بما يرد على (٢) . وحكى بعضهم قال مات فقير فى بيت مظلم فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج فوقع من كوة ضوء فأضاء البيت فغسلناه فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن (٣) . وعن آدم بن إياس قال كنا بعسقلان وشاب يغشانا ويجالسنا ويتحدث معنا فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى قال فودعنى يوماً وقال أريد الإسكندرية فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل فى ركوته واستقى من ماء البحر وقال كله فنظرت فإذا هو سويق بسكر كثير فقال من كان حاله معه مثل هذا لا يحتاج إلى دراهمك ثم أنشأ يقول :

بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا　　　لسان وجود بالوجود غريب

---

(١) (لم أعرفهم) يؤخذ من ذلك أن الخضر ولى وأنه حى وأن الولى إنما يعرف من فى درجته أو دونه لا من فوقه وقد أخبر بحياته جمع كثير من الصالحين منهم إبراهيم الخواص وإبراهيم بن أدهم وغيرهما مما يؤخذ بكلامهم .

(٢) (فيخاطبنى بما يرد على) فى ذلك دلالة على صحة الخواطر التى ينشئها الله فى قلوب أوليائه جوابا عما سألوا عنه أو علقوا هممهم به .

(٣) (ذهب الضوء كأنه لم يكن) الكرامة فيه ظهور الضوء عليه ليستكملوا به تنظيفه وحسن تجهيزه .

حرام على قلب تعرض للهــوى يكون لغير الحــق فيــه نصيب

ولغـــــيره :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا موضــع فارغ يراه الحبيب

هـو سؤلــى ومنيتى وحبيبى وبه ما حييت عيشى يطيب

وإذا ما السقام حل بقلبـــــى لم أجد غيره لسقمى طبيب

وحكى عن إبراهيم الآجرى قال جاءنى يهودى يتقاضى علىَّ فى دين كان له علىَّ وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الآجر فقال لى اليهودى يا إبراهيم أرنى آية أسلم عليها فقلت له تفعل قال نعم فقلت انزع ثوبك فنزع فلففته ولففت على ثوبه ثوبى وطرحته فى النار ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر فإذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء وثيابه فى وسطها صارت حراقة فأسلم اليهودى وقيل كان حبيب العجـمـى يرى بالبصرة يوم التروية ويوم عرفـة بعرفات سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أحمـد بن محمـد بن عبد الله الفرغانى يقول تزوج عباس بن المهتـدى امرأة فلما كانت ليلـة الدخول وقـع عليه ندامة فلما أراد الدنو منها زجر عنها فامتنع مـن وطئهـا وخرج فبعـد ثلاثـة أيام ظهر لها زوج .. (قال الأستاذ) هذا هو الكرامة على الحقيقة حيث حفظ عليه العلم وقيل كان الفضيل على جبل من جبال منـى فقال لـو أن وليـاً مـن أوليـاء الله تعالـى أمر هذا الجبل أن يميد لماد قال فتحرك الجبل فقـال اسكن لم أردك بهـذا فسكن الجبل وقال عبـد الواحد بن زيد لأبى عاصم البصرى كيف صنعت حين طلبـك الحجاج قال كنت فى غرفتى فدقوا على الباب فدخلوا فدفعـت بى دفعـة فإذا أنـا على أبى قبيس بمكة فقال لى عبد الواحد من أين كنت تأكل قـال كانت تصعد إلى عجـوز كل وقت إفطارى بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة فقـال عبد الواحـد تلك الدنيا أمرها

الله تعالى أن تخدم أبا عاصم[١] . وقيل كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئا وكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدراهم فيكون بمقدار ما أخذه لم ينقص[٢] . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول دخلت على الجنيد وكنت أريد أن أخرج الى الحج فأعطانى درهما صحيحاً فشددته على مئزرى فلم أدخل منزلا إلا وجدت رفقاء[٣] . ولم احتج إلى الدرهم فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد فمد يده[٤] . وقال[٥] . هات[٦] . فناولته الدرهم فقال كيف كان فقلت كان الحتم [٧] . نافذا. وحكى عن أبى جعفر الأعور قال كنت عند ذى النون المصرى فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء فقال ذو النون من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور فى أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيفعل قال فدار السرير فى أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكى حتى مات فى الوقت وقيل إن واصلا الأحدب قرأ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ فقال رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض والله لا طلبته أبدا فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء فاشتد عليه فلما كان اليوم الثالث إذا بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن منه نية فصار معه فإذن قد صارتا دوخلتين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت وقال بعضهم أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه النوم وإذا حية فى فيها طاقة نرجس تروحة بها وقيل كان جماعة مع أيوب السجستانى فى السفر فأعياهم طلب الماء فقال أيوب أتسترون على ما عشت فقالوا

---

(١) (أن تخدم أبا عاصم) الكرامة فيه مع ما مر حصول الرغيفين له كل ليلة عند إفطاره من حيث لا يحتسب ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾.

(٢) (لم ينقص شيئا) هذه كرامة نزول البركة فى المال الحلال الذى مع الصالحين حيث لم ينقص شيئاً بالتصدق منه .

(٣) (رفقاء) أى رفقة كما فى نسخة ارتفق بهم فيما احتاجه من مأكل وغيره .

(٤) (فمد يده) إلى .

(٥) (وقال) لى مكاشفة بأن الدرهم معى ولم أحتج إليه .

(٦) (هات) أى الدرهم الذى أعطيتكه . (٧) (الحتم) بالمهملة أى الأمر .

نعم فدور دائرة فنبع الماء فشربنا قال فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد فقال عبد الواحد بن زيد شهدت معه ذلك اليوم وقال أبو بكر بن عبد الرحمن كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال أتشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال أقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطبا جنياً ثم حركها فنثرت رطبا فأكلنا وشبعنا ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا .. وحكى عن أبى القاسم بن مروان النهاوندى قال كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبى سعيد الخراز نمشى على ساحل البحر نحو صيدا فرأى شخصاً من بعيد فقال اجلسوا لا يخلوا هذا الشخص أن يكون وليا من أولياء الله قال فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له يا فتى كيف الطرق إلى الله تعالى فقال يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين طريقا خاصا وطريقا عاماً فأما الطريق العام فالذى أنت عليه وأما الطريق الخاص فهلم ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى وقال الجنيد جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات فقال فقير منهم أعرف رجلا لو قال لهذه الأسطوانه كونى ذهبا نصفك ونصفك فضة كانت قال الجنيد فنظرت فإذا الاسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا السبع فقال لا تخف فأخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ماهذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى[1] . إلا على ظهره حتى آتى مكة . حكى أن السرى لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن عزلها فأبطأت يوماً فقال لها السرى لم أبطأت فقالت لأن غزلى لم يشتر وذكروا أنه مخلط فامتنع السرى عن

---

(١) (لما وضعت زادى.. إلخ) فيه دلالة على أن الكرامات إنما يظهرها الأولياء لأقرانهم ومن قاربهم ليقوى يقينهم وترتفع همتهم ولا شهرة فى ذلك إنما الشهره لمن لا يقتدى به ولا ينتفع بها بل قد يتضرر بإنكارها فيسىء إلى نفسه .

طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عجوزا تكنس بيته وتحمل كل يوم إليه رغيفين فحزنت أخته وشكت إلى أحمد بن حنبل فقال أحمد بن حنبل للسرى فيه فقال لما امتنعت من أكل طعامها قيض الله لى الدنيا [١]. لتنفق على وتخدمنى[٢] ...

(أخبرنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا على بن هارون قال حدثنا على بن أحمد التميمى قال حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال حدثنا محمد بن منصور الطرسوسى قال كنت عند أبى محفوظ معروف الكرخى فدعا لى ورجعت إليه من الغدو فى وجهه أثر فقال له إنسان يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا فقال سل عما يعنيك فقال الرجل بمعبودك أن تقول فقال صليت البارحة ههنا واشتهيت أن أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة وطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهى ما تراه وقيل كان عتبة الغلام يقعد فيقول يا ورشان[٣]. إن كنت أطوع لله عز وجل منى فتعال واقعد على كفى فيجىء الورشان ويقعد على كفه .. وحكى عن أبى على الرازى أنه قال مررت يوما على الفرات فعرضت لنفسى شهوة السمك الطرى فإذا الماء قد قذف سمكة نحوى[٤]. وإذا رجل يعدو ويقول أشويها لك فقلت نعم فشواها فقعدت وأكلتها (وقيل) كان إبراهيم بن أدهم فى رفقه فعرض لهم السبع فقالوا يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع فجاءنى إبراهيم وقال يا أسد إن كنت أمرت فينا بشىء فامض وإلا فارجع فرجع الأسد ومضوا وقال حامد الأسود كنت مع الخواص فى البرية فبتنا عند شجرة إذ جاء السبع فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذنى النوم ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه ثم مضى فلما

---

(١) (قيض الله لى الدنيا) أى جاءنى بها على يد من شاء من أوليائه .

(٢) (تخدمنى هى) وأظهر ذلك لأخته فى صورة امرأة ليسكن قلبها وتطلع عليه وتعلم أنه تعالى لا يضيع أخاها.

(٣) (يا ورشان) بفتح الواو والراء نوع من الطيور .

(٤) (نحوى) أى جهتى .

كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد فى قرية فوقعت بقة على وجهه فضربته فأن أنه فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البق فقال أما البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسى . وحكى عن عطاء الأزرق أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشترى الدقيق فخرج من بيته فلقى جارية تبكى فقال لها ما بالك فقالت دفع إلى مولاى درهمين أشترى لهم شيئا فسقطا منى فأخاف أن يضربنى فدفع عطاء الدرهمين إليها ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته فقال له صاحبه خذ من هذه النشارة فى هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها فى سجر التنور إذ ليس يساعدنى الإمكان فى شىء آخر فحمل النشارة وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز فقال من أين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى كان فى الجراب لا تشتر غير هذا الدقيق قال أفعل إن شاء الله تعالى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن بركات يقول كنت أجالس الفقراء ففتح على بدينار فأردت أن أدفعه إليهم ثم قلت فى نفسى لعلى أحتاج إليه فهاج بى وجع الضرس فقلعت سناً فوجعت الأخرى حتى قلعتها فهتف بى هاتف إن لم تدفع إليهم الدينار فلا يبقى فى فمك سنة واحدة (قال الأستاذ) وهذا فى باب الكرامة أتم من أن يفتح عليه دنانير كثيرة بنقض العادة .

وحكى أبو سليمان الدارانى قال خرج عامر بن عبد قيس إلى الشام ومعه شكوة إذا شاء صب منها ماء يتوضأ للصلاة وإذا شاء صب منها لبناً يشربه وروى عثمان بن أبى العاتكة قال كنا فى غزاة فى أرض الروم فبعث الوالى سرية إلى موضع وجعل الميعاد يوم كذا قال فجاء الميعاد ولم تقدم السرية فبينا أبو مسلم يصلى إلى رمحه الذى ركزه فى الأرض جاء طير إلى رأس السنان وقال إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا فى وقت كذا فقال أبو مسلم للطير من أنت رحمك الله تعالى فقال أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاء أبو مسلم إلى الوالى وأخبره فلما كان اليوم الذى

قال أتت السرية على الوجه الذى قال (وعن بعضهم) قال كنا فى مركب فمات رجل كان معنا عليل فأخذنا فى جهازه وأردنا أن نلقيه فى البحر فصار البحر جافاً ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبرا ودفعناه فلما فرغنا[1] استوى المـاء[2] وارتفع المركب وسرنا وقيل إن الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة فاشترى حبيب العجمى طعاما بالنسيئة وفرقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه فلما جاءوا يتقاضونه أخذه وإذا هو مملوء دراهم فقضى منها ديونهم وقيل أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم دينارا فصلى على الشط ركعتين وقال اللهم إنهم قد سألونى ما ليس عندى فصار الرمل بين يده دنانيـر (حدثنا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا محمد بن أحمد المروزى قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبى معاوية الأسود قال كان أبو معاوية ذهب بصره فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره[3]. فاذا أطبق المصحف ذهب بصره وقال أحمد بن الهيثم المتطيب قال لى بشر الحافى قل لمعروف الكرخى إذا صليت جئتك قال فأديت الرسالة وانتظرته فصلينا الظهر ولم يجىء ثم صلينا العصر ثم المغرب ثم العشاء فقلت فى نفسى سبحان الله مثل بشر يقول شيئا ثم لا يفعل لا يجوز أن لا يفعل وانتظرته وأنا فوق مسجد على مشرعة فجاء بشر بعد هوى من الليل وعلى رأسه سجادة فتقدم إلى دجلة ومشى على الماء فرميت بنفسى من السطح وقبلت يديه ورجليه وقلت ادع الله لى فدعا لى وقال استره على قال فلم أتكلم بهذا حتى مات[4].. (أخبرنا) أبو عبد الله الشيرازى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت =

(١) (فلما فرغنا) من دفنه وركبنا السفينة .

(٢) (استوى الماء) كما كان وارتفع المركب عليه وسرنا إلى مقصدنا.

(٣) (فيرد الله عليه بصره) إكراما له فإن فى القراءة فى المصحف زيادة أجر على القراءة بالغائب لاستعمال أكثر الأعضاء فيها ولأنها أقوى تدبرا.

(٤) (حتى مات) رضى الله عنه الكرامة فيه مشيه على الماء وقوله إذا صليت أتيتك كأنه بنية صلاة العشاء ومع ما عادته أن يصليه بعدها وظن الرسول أنه إذا أراد عقب صلاة =

على بن يعقوب بدمشق قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت قاسما الجرعى يقول رأيت رجلا فى الطواف لا يزيد على قوله إلهى قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتى فقلت مالك لا تزيد على هذا الدعاء فقال أحدثك اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى فخرجنا إلى الجهاد فأسرنا الروم ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين فقدم واحد منا فضربت عنقه فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض بيدها منديل فقبضت روحه حتى ضرب أعناق ستة منا فاستوهبنى بعض رجالهم فقالت الجارية أى شىء فاتك يا محروم وغلقت الأبواب فأنا يا أخى متأسف متحسر على ما فاتنى قال قاسم الجرعى أراه أفضلهم لأنه رأى مالم يروا وعمل على الشوق بعدهم . وسمعته يقول سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين بخورستان يقول سمعت أبا بكر الكتانى يقول كنت فى طريق مكة فى وسط السنة فإذا أنا بهميان ملآن يلتمع دنانير فهممت أن أحمله لأفرقه بمكة على الفقراء فهتف بى هاتف إن أخذته سلبناك فقرك .. (حدثنا) محمد بن محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت أبا العباس الشرفى يقول كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه أنا عطشان فضرب برجله الأرض فإذا عين من ماء زلال فقال الفتى أحب أن أشربه فى قدح فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وسقانا وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لى أبو تراب يوما ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده فقلت ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها فقال من لم يومن بها فقد كفر إنما سألتك من طريق الأحوال فقلت ما أعرف لهم قولا فيه قال بلى قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك إنما الخدع فى حال السكون إليها فأما من لم يقترح ذلك ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين (حدثنا) محمد بن عبلة الصوفى قال حدثنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت محمد بن الحسين الخلدى بطرسوس قال

= واجبة من الصلوات المذكورة فلما تخلف عن ذلك أساء به الظن .

سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول كنا فى غرفة سرى السقطى ببغداد فلما ذهب من الليل شىء لبس قميصا نظيفا وسراويل ورداء ونعلا وقام ليخرج فقلت إلى أين فى هذا الوقت فقال أعود فتحا الموصلى فلما مشى فى طرقات بغداد أخذه العسس وحبسوه فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقف يده فلم يقدر أن يحركها فقيل للجلاد اضرب فقال بحذائى شيخ واقف يقول لا تضربه فتقف يدى لا تتحرك فنظروا من الرجل فإذا هو فتح الموصلى فلم يضربوه (أخبرنا) الشيخ عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحارث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد فأتوه يوما وقالوا إنا نخاف من الضيقة والحاجة فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنى أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصبر من أحبابك أن تأتينا برزق من لدنك نقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الإحسان .. اللهم الساعة الساعة قال سمعت والله قعقعة للسقف ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم فقال عبد الواحد ابن زيد استغنوا بالله عز وجل عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئا . سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن على الجوزى بجند بنيسابور(١) سمعت الكتانى رأيت بعض الصوفية وكان غريبا ما كنت أثبته قد تقدم إلى الكعبة وقال يارب ما أدرى ما يقول هؤلاء يعنى الطائفين فقيل له انظر ما فى هذه الرقعة قال فطارت الرقعة فى الهواء وغابت.. وسمعته يقول سمعت عبد الواحد ابن بكر الورثانى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين المقرئ بطرسوس يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول اشتهت والدتى على والدى يوما من الأيام سمكا فمضى والدى إلى السوق وأنامعه فاشترى سمكا وقف ينتظر من يحمله فرأى صبيا وقف بحذائه مع صبى فقال ياعم تريد من يحمله فقال نعم فحمله ومشى معنا فسمعنا

---

(١) (قوله بجند بنيسابور) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى لعله اسم مكان ا هـ وفى تقويم البلدان لأبى الفداء من اللباب بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحت وفتح السين المهملة وألف وباء وواو وراء مهملة مدينة خصبة كثيرة الخير وبها قبر الملك يعقوب الصفار وهما من خوزستان ومنها إلى تستر بلد التستريثمانية فراسخ وإلى مدينة السوس ستة فراسخ ا هـ ويقال لها جنديسابور.

الأذان فقال الصبى أذن المؤذن وأحتاج أن أتطهر وأصلى فإن رضيت وإلا فاحمل السمك ووضع الصبى السمك ومر فقال أبى فنحن أولى أن نتوكل فى السمك فدخلنا المسجد فصلينا وجاء الصبى وصلى فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه فحمله الصبى ومضى معنا إلى دارنا فذكر والدى ذلك لوالدتى فقالت قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا فقلنا له فقال إنى صائم فقلنا فتعود إلينا بالعشى فقال إذا حملت مرة فى اليوم لا أحمل ثانيا ولكنى سأدخل المسجد إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى فلما أمسينا دخل الصبى وأكلنا فلما فرغنا دللناه على موضع للطهارة ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة فتركناه فى بيت فلما كان فى بعض الليل كان لقريب لنا بنت زمنة فجاءت تمشى فسألناها عن حالها فقالت قلت يارب بحرمة ضيفنا أن تعافينى فقمت قالت فمضينا لنطلب الصبى فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبى فقال أبى فمنهم [1]. صغير ومنهم كبير[2]. سمعت محمد بن الحسين يقول حدثنا أبو الحارث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس فى ظل فقلت له لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل فقال ربى أعلم بمصالح عباده ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا فعلت فإذا هى والله فى يده ذهبا فألقاها إلى[3]. وقال أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة . سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت أحمد بن منصور يقول قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى غسلت مريدا فأمسك إبهامى وهو على المغتسل فقلت يا بنى خل يدى أنا أدرى أنك لست بميت وإنما هى

---

(١) (فمنهم) أي الأولياء .

(٢) (صغير ومنهم كبير) فى ذلك كرامات لا تخفى ودلالة على أن هذا الصبى كان وليا وأنه كان يأكل من كسبه وإنه إذا حمل مرة لا يحمل ثانيا وأنه لما زهد فى أجرته وهان عليه تركها لأجل الصلاة لما أذن المؤذن أثر صدقه فى أصحاب السمك حتى تركوه وصلوا معه والسمك مكانه لم يصبه شيء.

(٣) (فألقاها إلى) ليعرفنى أن الله على كل شيء قدير .

نقلة من دار إلى دار فخلى يدى وسمعته يقول سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسى يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول صحبنى شاب حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبى به جدا وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها منى وناولنى يمينه فقلت صدقت يا بنى أنا غلطت[١] . وسمعته يقول سمعت أبا النجم المقرئ البرذعى بشيراز يقول سمعت الرقى يقول سمعت أحمد بن منصور يقول سمعت أبا يعقوب السوسى يقول جاءنى مريد بمكة فقال يا أستاذ أنا غدا أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه وكفنى بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته فى اللحد ففتح عينيه فقلت أحياة بعد موت فقال أنا حى وكل محب لله حى . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت أبا على بن وصيف المؤدب يقول تكلم سهل بن عبد الله يوما فى الذكر فقال إن الذاكر لله على الحقيقة لوهم أن يحيى الموتى لفعل ومسح يده على عليل بين يديه فبرئ وقام .. سمعت أبا عبد الرحمن الشيرازى يقول أخبرنى على بن إبراهيم بن أحمد قال حدثنا عثمان بن أحمد قال حدثنا الحسين بن عمر قال سمعت بشر بن الحارث يقول كان عمرو بن عتبة يصلى والغمام فوق رأسه وللسباع حوله تحرك أذنابها . وسمعته يقول سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول سمعت المغازلى يقول سمعت الجنيد يقول كانت معى أربعة دراهم فدخلت على السرى وقلت هذه أربعة دراهم حملتها إليك فقال أبشر ياغلام بأنك تفلح كنت أحتاج إلى أربعة دراهم فقلت اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك . وسمعته يقول حدثنى إبراهيم بن أحمد الطبرى قال حدثنا أحمد بن يوسف قال حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن يحيى قال حدثنى أبى قال حدثنى أبو إبراهيم اليمانى قال خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى غيضة فيها حطب يابس كثير بالقرب منه حصن فقلنا لإبراهيم بن أدهم لو أقمنا لليلة هنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال افعلوا فطلبنا النار من الحصن فأوقدنا وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل فقال واحد منا ما أحسن هذا

---

(١) (أنا غلطت) الكرامة فى ذلك ظاهرة وفيه حفظ الغاسل والمغسول.

الجمر لو كان لنا لحم نشويه عليه فقال إبراهيم بن أدهم إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه قال فبينا نحن كذلك إذا بأسد يطرد أيلا (١) . فلما قرب منا وقع فاندقت(٢) . عنقه فقام إبراهيم بن أدهم وقال اذبحوه فقد أطعمكم الله فذبحناه موشوينا من لحمة(٣) . والأسد واقف ينظر إلينا .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا القاسم عبد الله بن على الشجرى يقول سمعت حامدا الأسود يقول كنت مع إبراهيم الخواص فى البادية سبعة أيام على حالة واحدة فلما كان السابع ضعفت فجلست فالتفت إلى وقال مالك فقلت ضعفت فقال أيما أغلب عليك الماء أو الطعام فقلت الماء فقال الماء وراءك فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب فشرب وتطهرت وإبراهيم ينظر ولم يقربه فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه فقال أمسك فإنه ليس مما يتزود منه. سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله الدباس البغدادى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت زيتونة خادمة أبى الحسين النورى وكانت تخدمه وخدمت أبا حمزة والجنيد قالت كان يوم بارد فقلت للنورى أحمل إليك شيئا فقال نعم فقلت إيش تريد قال خبز ولبن فحملت وكان بين يديه فحم وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت يده فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يديه وعليها سواد الفحم فقلت فى نفسى ما أقذر أولياءك يارب ما فيهم أحد نظيف قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة وقالت سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال للشرطى لا تتعرضوا لها فإنها ولية من أولياء الله تعالى فقال الشرطى كيف أصنع والمرأة تدعى قال فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاسترد النورى المرأة وقال لها لا تقولين بعدها ما أقذر أولياءك قالت فقلت تبت إلى الله تعالى (٤) سمعت محمد بن

---

(١) (أيلا) بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء لذكرمن الأوعال قاله الجوهرى فى الصحاح.
(٢) (فاندقت عنقه) ولم يصل إلى حركة المذبوح وفى نسخة ومد عنقه فذبحناه.
(٣) (وشوينا من لحمه .. إلخ) الكرامة فى ذلك أنهم لما تمنوا من الله أن يأتيهم باللحم يشوونه ويأكلونه أتاهم الله به على الوجه المذكور .
(٤) (قالت فقلت تبت إلى الله تعالى) فى ذلك كرامة لها وله أما لها فتعجيل أدبها فى الدنيا على ما قالت له وأما له فمكاشفة لما قالت .

عبد الله الشيرازى يقول سمعت محمد بن فارس الفارسى يقول سمعت أبا الحسن خير النساج يقول سمعت الخواص يقول عطشت فى بعض أسفارى وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رش على وجهى ففتحت عينى فإذا أنا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقانى الماء وقال كن رديفى وكنت بالحجاز فما لبثت إلا يسيرا فقال لى ماترى فقلت أرى المدينة فقال انزل وأقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى السلام وقل أخوك الخضر يقرئك السلام . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول قال أبو الحديد سمعت المظفر الجصاص يقول كنت أنا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئا من العلم فقال الخراط إن الذاكر لله تعالى فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله ذكره قال فخالفته فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد بصحته قال فإذا نحن بشىء يجىء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم . وقد صدق الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره فعلمنا أنه الخضر عليه السلام .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال إن الناس يقولون إنك تمشى على الماء فقال سل مؤذن المحلة فإنه رجل صالح لا يكذب قال فسألته فقال المؤذن لا أدرى هذا ولكنه كان فى بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع فى الماء فلو لم أكن أنا لبقى فيه (قال الأستاذ أبو على الدقاق) إن سهلا كان بتلك الحالة التى وصف ولكن الله تعالى يريد أن يستر أولياءه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض سترا لحال سهل وسهل كان صاحب الكرامات .. وفى قريب من هذا المعنى ما حكى عن أبى عثمان المغربى قال رأيته بخط أبى الحسين الجرجانى قال أردت مرة أن أمضى إلى مصر فخطر لى أن أركب السفينة ثم خطر ببالى أن أعرف هناك فخفت الشهرة فمر مركب فبدا لى فمشيت على الماء ولحق بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ولم يقل أحد إن هذا ناقض للعادة أو غير ناقض فعرفت أن الولى مستور وإن كان مشهورا (ومما شاهدنا) من أحوال الأستاذ أبى على الدقاق رضى الله تعالى عنه معاينة أنه كان به علة حرقة البول وكان يقوم فى ساعة غير مرة حتى كاد يجدد الوضوء غير

مرة لركعتى فرض وكان يحمل معه قارورة فى طريق المجلس وربما كان يحتاج إليها فى الطريق مرات ذاهبا وجائيا وكان إذا قعد على رأس الكرسى يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زمانا طويلا وكنا نعاين ذلك منذ سنين ولم يقع لنا فى حياته أن هذا شيء ناقض لعادته وإنما وقع لى هذا وفتح على علمه بعد وفاته (وفى قريب من هذا) ما يحكى عن سهل بن عبد الله أنه كان قد أصابته زمانة فى آخر عمره وكان ترد عليه القوة فى أوقات الفرض فيصلى قائما ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعداً وكان فى السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع(١) .. (سمعت) محمد بن عبد الله الصوفى يقول حدثنا إبراهيم بن محمد المالكى قال حدثنا يوسف ابن أحمد البغدادى قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال حججت أنا وأبو سليمان الدارانى فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة(٢) . منى فقلت لأبى سليمان فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان برد شديد فقال أبو سليمان ياراد الضالة وياهادياً من الضلالة اردد علينا الضالة فإذا واحد ينادى من ذهبت له سطيحة قال فقلت أنا فأخذتها (٣) . فبينا نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء لشدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طمران(٤) . وهو يترشح عرقا(٥) . فقال أبو سليمان تعالى ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب فقال يا أبا سليمان أتشير بالزهد وأنت تجد البرد أنا أسيح فى هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت يلبسنى الله فى البرد فيحاً من محبته ويلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته ومر (وسمعته) يقول .. سمعت أبا بكر محمد بن على التكريتى يقول سمعت محمد بن على الكتانى بمكة يقول سمعت الخواص يقول كنت فى البادية مرة فسرت فى وسط النهار فوصلت إلى شجرة وبالقرب منها ماء

---

(١) (يقوم ويستمع) فى كل من هذه الحكايات الثلاث كرامة وعون لصاحبها على مطلوبه ودلالة على صدقه فى طاعة الله .

(٢) (السطيحة) أى القربة .

(٣) (قال فقلت أنا فأخذتها) منه هذه كرامة إجابة دعاء أبى سليمان رحمه الله عالى.

(٤) (طمران) أى ثوبان خلقان .

(٥) (وهو يترشح عرقا) هذه كرامة حيث لا يبالى بحر ولا برد لكمال شغله بربه فلا يحس بشيء مما يحس به البشر من أمور الدنيا .

فنزلت فإذا أنا بسبع عظيم أقبل فاستسلمت فلما قرب منى إذا هو يعرج فحمحم[١] . وبرك بين يدى ووضع يده فى حجرى [٢] . فنظرت فإذا يداه منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح وشددت على يده خرقة ومضى فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان لى وحملا إلى رغيفا (وسمعته) يقول حدثنا أحمد بن على السائح قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال حدثنا محمد بن الحسن العسقلانى قال حدثنا أحمد بن الحوارى قال اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب وكان نصرانيا فبينا نحن بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا إلى أين تريدون فقلنا نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوا به الأرض وارجعو إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل بالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل فعوفى فى الوقت فقال ذلك كان الخضر عليه السلام .. سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفى يقول سمعت عمى البسطامى يقول كنا قعودا فى مجلس أبى يزيد البسطامى فقال قوموا بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم ابن شيبة الهروى فقال له أبو يزيد وقع فى خاطرى أن أستقبلك واشفع لك إلى ربى فقال إبراهيم ابن شيبة لو شفعك فى جميع الخلق لم يكن بكثير إنما هم قطعة طين فتحير أبو يزيد من جوابه (قال الأستاذ) وكرامة إبراهيم فى استصغار ذلك أتم من كرامة أبى يزيد فيماحصل له من الفراسة وصدق له من الحالة فى باب الشفاعة[٣] . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سأله سالم المغربى عن أصل توبته فقال خرجت من

---

(١) (فحمحم) أى صوت لطلب ما ينفعه يقال حمحم الفرس إذا صوت لطلب علفه .
(٢) (ووضع يده فى حجرى) كأنه يشتكى ما به .
(٣) (فى باب الشفاعة) ولا يخفى أن الشفاعة فى جميع الخلق خاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام .

مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق ثم انتبهت وفتحت عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه وشربت من هذه[١] . فقلت حسبى[٢] . تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى[٣] . وقيل أصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء فقال من ههنا فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت فقال يارب أحللنى من وثاقى حتى أقضى طهارتى ثم شأنك وأمرك قال فصح حتى أمل طهارته ثم عاد إلى فراشه وصار كما كان وقال أبو أيوب الحمال كان أبو عبد الله الديلمى إذا نزل منزلا فى سفر عمد إلى حماره وقال فى أذنه كنت أريد أن أشدك فالآن لا أشدك وأرسلك فى هذه الصحراء لتأكل الكلأ فإذا أردنا الرحيل فتعال فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار (وقيل) زوج أبو عبد الله الديلمى ابنته واحتاج إلى ما يجهزها به وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيشترى بدينار فخرج له ثوب فقال له البياع إنه يساوى أكثر من دينار فلم يزالوا يزيدون فى ثمنه حتى بلغ مائة دينار فجهزها وقال النضر بن شميل ابتعت إزارا فوجدته قصيرا فسألت ربى تعالى أن يمغط لى زرعا ففعل قال الأستاذ أى يمد من مغط القوس وهو مده قال النضر ولو استزدته لزادنى وقيل كان عامر بن عبد قيس سأل أن يهون عليه طهوره فى الشتاء فكان يؤتى به وله بخار وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالى بهن وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو فى صلاته فلم يجبه إليه وقال بشر بن الحارث دخلت الدار فإذا أنا برجل فقلت من أنت دخلت دارى بغير إذنى فقال أخوك الخضر فقلت ادع الله لى فقال هون الله عليك طاعته فقلت زدنى فقال وسترها عليك وقال إبراهيم الخواص دخلت خربة فى بعض الأسفار فى طريق مكة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بى هاتف اثبت فإن

(١) (فاكلت من هذه وشربت من هذه) رزقها الله ذلك مع أنها لاتستطيع حيلة فى الرزق
(٢) (حسبى) أى كفانى .
(٣) (قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى) ربى أطلعه ربه على هذه الخوارق تقوية ليقينه وتوكله وكمالا لشغله بربه وإعراضاً عما سواه

حولك سبعين ألف ملك يحفظونك .. (أخبرنا) محمد بن الحسين قال أخبرنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت أبا الحسن على بن محمد الصوفى يقول سمعت جعفر الدبيلى يقول دخل النورى الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده فقال النورى قد رد علينا الثياب فرد عليه يده فعوفى وقال الشبلى اعتقدت وقتا أن لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى إليها لآكل فنادتنى الشجرة احفظ عليك عقدك لا تأكل منى فإنى ليهودى .. وقال أبو عبد الله بن خفيف دخلت بغداد قاصدا إلى الحج وفى رأسى نخوة الصوفية ولم آكل الخبز أربعين يوما ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب الماء إلى زبالة وكنت على طهارتى فرأيت ظبياً عند رأس البئر وهو يشرب وكنت عطشاناً فلما دنوت من البئر ولى الظبى وإذا الماء فى أسفله فمشيت وقلت ياسيدى ما لى محل هذا الظبى فسمعت من خلفى جربناك فلم تصبر ارجع وخذ الماء فرجعت فإذا البئر ملأى ماء فملأت ركوتى وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت مع الركوة والحبل فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على قال لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك لو صبرت صبر ساعة . . سمعت حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى يقول سمعت أبا أحمد بن عدى الحافظ يقول سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول حدثنى عبد الوهاب وكان من الصالحين قال قال محمد بن سعيد البصرى بينا أنا أمشى فى بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا فالتفت فإذا الجمل قد وقع ميتاً ووقع الرحل والقتب فمشيت ثم التفت فإذا الأعرابى يقول يا مسبب كل سبب ويامولى من طلب رد على ماذهب من جمل يحمل الرحل والقتب وإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه وقيل إن شبلا المروزى اشتهى لحما فأخذ بنصف درهم فاستقبلته منه حدأة فى الطريق فدخل شبل مسجدا ليصلى فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحماً فقال من أين هذا فقالت تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما[١] . فقال شبل الحمد

(١) (فسقط هذا منهما) فى دارنا ووضعته له فعرف أنه لحمه وأن الحدأة لما رأتها =

لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل كثيراً ينساه[١] .. (أخبرنــا) محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى قال سمعت محمد بن داود يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت ابن أبى عبيد البسرى يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية فقال يارب أعرناه حتى نرجع إلى بسرى يعنى قريته فإذا المهر قائم فلما غزا ورجع إلى بسرى قال يابنى خذ السرج عن المهر فقلت إنه عرق فإن أخذت السرج داخله الريح فقال يا بنى إنه عارية قال فلما أخذت السرج وقع المهر ميتاً .. (وقيل) كان بعضهم نباشاً فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش ليعرف القبر[٢] فلما جن عليه الليل[٣] نبش قبرها [٤] فقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها [٥]. قال هبى أنك مغفور لك فأنا من أين فقالت إن الله تعالى غفر لى ولجميع من صلى على وأنت قد صليت على قال : فتركتها ورددت التراب عليها ثم تاب الرجل وحسنت توبته .. سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول رأيت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندى بالرجل وقال بينى وبينك الأمير فجازوا بذى النون فقال لهم الناس اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلها بريقه وردها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه وحرك شفتيه فتعلقت بإذن الله تعالى فبقى الرجل يفتح فاه فلم يجد الأسنان إلا سواء .. (حدثنــا) أبو الحسن محمد

= حدأة أخرى تنازعتا فسقط اللحم منهما إذ لو لم يعرف أنه لحمه لوجب تعريفه لكونه لقطة فله حكمها .

(١) (وإن كان شبل كثيرا ينساه) الكرامات فيه من حيث أن الله حفظ عليه قوته وقوت عياله عند الحاجة إليه.

(٢) (ليعرف القبر) فيأخذ كفن صاحبه. (٣) (جن عليه الليل) أى أظلم .

(٤) (نبش قبرها) ليأخذ كفنها .

(٥) (مغفورة) أى مغفور لها .

ابن الحسين القطان ببغداد قال حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الصفار قال حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن إدريس الأورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى سبرة النخعى قال أقبل رجل من اليمن فلما كان فى بعض الطريق نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم إنى جئت مجاهداً فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور لا تجعل لأحد على منة اليوم أطلب منك أن تبعث حمارى فقام الحمار ينفض أذنيه .. سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا بكر النابلسى يقول سمعت أبا بكر الهمذانى يقول بقيت فى برية الحجاز أياما لم آكل شيئا فاشتهيت باقلا حارا وخبزا من باب الطاق فقلت أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم خاطرى إلا وأعرابى من بعيد ينادى باقلا حار وخبز فتقدمت إليه فقلت عندك باقلا حار وخبز فقال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج خبزا وباقلا وقال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت ثم قال لى كل فأكلت فلما قال فى الرابعة قلت بحق الذى بعثك إلى إلا ما قلت لى من أنت فقال الخضر وغاب عنى فلم أره[١] ... سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول جئت الثعلبية وهى خراب ولى سبعة أيام لم آكل شيئا فدخلت القبة وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد فطرحوا أنفسهم على باب القبة فجاء أعرابى على راحلة وصب تمرا بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لى شيئا ولم يرنى إلا أعرابى فلما كان بعد ساعة فإذا بالأعرابى جاء وقال لهم معكم غيركم فقالوا نعم هذا الرجل داخل القبة قال فدخل الأعرابى وقال لى من أنت لم لم تتكلم مضيت فعارضنى إنسان فقال لى قد خلفت إنساناً لم تطعمه ولم يمكنى أن أمضى وتطولت على الطريق لأنى رجعت عن أميال وصب بين يدى التمر الكثير ومضى فدعوتهم فأكلوا وأكلت[٢] ..

---

(١) (وغاب عنى فلم أره) فى ذلك كرامتان رؤيته الخضر وإتيانه بما يحتاجه خارقاً للعادة لأنه كان بموضع خال عن ذلك .

(٢) (فأكلوا وأكلت) معهم فى ذلك من الكرامة لأبى جعفر رجوع الأعرابى إليه بعد أميال وإيثاره مع الحاجة فإنه لما جعل التمر بين يديه دعا القوم فأكلوا معه ولم يأكل وحده =

سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا طاهر الرقى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كلمنى جمل فى طريق مكة رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل وقال لى قل جل الله فقلت جل الله(١) .. سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت الحسن بن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت أبا بكر بن معمر يقول سمعت أبا زرعة الجنبى يقول مكرت بى امرأة فقالت ألا تدخل الدار فتعود مريضا فدخلت فأغلقت الباب ولم أر أحدا فعلمت ما فعلت فقلت اللهم سودها فاسودت فتحيرت وفتحت الباب فخرجت فقلت اللهم ردها إلى حالها فردها إلى ما كانت عليه. سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا محمد الغرطريفى يقول سمعت السراج يقول سمعت أبا سليمان الرومى يقول سمعت خليلا الصياد يقول غاب عنى ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فأتيت معروفا الكرخى فقلت يا أبا محفوظ غاب ابنى وأمه ولم أجده فقال ماتشاء فقلت ادع الله أن يرده فقال اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك إئت بمحمد قال خليل فأتيت باب الشام فاذا هو واقف فقلت يا محمد فقال يا أبت كنت الساعة بالأنبار (قال الأستاذ) واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تربو على الحصر والزيادة على ما ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز وفيما ذكرناه مقنع فى هذا الباب ...



= كما فعلوا به .

(١) (فقلت جل الله) الكرامة فيه كلام الحيوان الأعجم وتقدم مثلها .

رؤيــا القــوم

قـال الله عز وجل : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ قيل هى الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له (أخبـر) أبو الحسن الأهوازى قال أخبـرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم المنقرى قال حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا أبو بكر بن عياش عان عاصم عن أبى صالح عن أبى الدرداء قـال سألت النبى صلى الله عليـه وآله وسلم عن هذه الآية ﴿ لهم البشرى فى الحيـاة الدنيـا وفى الاخـرة ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم « مـا سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له » .. (أخبرنا) السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال أخبرنا أبو على الحسن بن محمد زيد قال حدثنا على بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن يحيى بن سعيد عن أبى سلمة عن قتادة قال قال رسـول الله صلى الله عليـه وآله وسلم « الرؤيا من الله والحلم من الشـيطان فـإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ فإنها لن تضره » (أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار قال حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن موسى قال حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص وأبى عبيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من رآنى فى المنام فقد رآنى فـإن الشيطان لا يتمـثل فى صـورتى » ومعنى الخبـر أن تلك الرؤيا رؤيا صدق وتأويلها حق وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات[١] . وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور فى الوهم إذا

---

(١) (وإن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات) وعلامة صحة رؤياه صلى الله عليه وآله وسلم أن من رآه لا يسمع منه مـا يخـالف مـاجاءت به الشريعة بأن يكون له تأويل صـحيح عند علماء هذا الفن وحقيقة الرؤيا الحسنة أن يخلق الله فى قلب النائم أو فى حواسه الأشياء كما يخلقها فى اليقظان فربما يقع ذلك فى اليقظة كما رآه وربما جعل ما رآه علماً لأمور أخر يخلقها فى ثانى الحال أو كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة للمطر .

لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية فى الحقيقة وإنما كان ذلك تصورا وأوهاماً تقررت فى قلوبهم حين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التى تصورها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله كالذى يكون فى ضوء السراج ،عند اشتداد الظلمة فإذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج فيتقاصر نور السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس ، فمثال حال النوم كمن هو فى ضوء السراج ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار فإن المستيقظ يتذكر ما كان مقصورا له فى حال نومه ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التى كانت ترد على قلبه فى حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان ومرة من هواجس النفس ومرة بخواطر الملك ومرة تكون تعريفا من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال فى قلبه ابتداء وفى الخبر « أصدقكم رؤيا » واعلم أن النوم على أقسام نوم غفلة ونوم عادة وذلك غير محمود بل هو معلول لأنه أخو الموت وفي بعض الأخبار المروية « النوم أخو الموت » وقال الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾..وقيل لو كان فى النوم خيرا لكان فى الجنة نوم وقيل لما ألقى الله على آدم النوم فى الجنة أخرج منه حواء وكل بلاء به إنما حصل حين حصلت حواء .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول لما قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه ولو لم تنم لما أمرت بذبح الولد وقيل زوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتى فإذا جنه الليل نام عنى والنوم ضد العلم ولهذا قال الشبلى نعسة فى ألف سنة فضيحة وقال الشبلى اطلع الحق على الخلق فقال من نام غفل ومن غفل حجب فكان الشبلى يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم وفى معناه أنشدوا :

عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

وقيل المريد أكله فاقة ونومه غلبة وكلامه ضرورة وقيل لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له هذه حواء لتسكن إليها هذا جزاء من نام بالحضرة وقيل إن كنت حاضرا فلا تنم فإن النوم بالحضرة سوء أدب وإن كنت غائبا فأنت من أهل الحسرة والمصيبة والمصاب لا يأخذه النوم وأما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم وأن الله عز وجل يباهى بالعبد إذا نام فى سجوده يقول انظروا إلى عبدى روحه عندى وجسده بين يدى قال الأستاذ يعنى روحه فى محل النجوى وبدنه على بساط العبادة وقيل كل من نام علي الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم فقال اذهب واشكر الله تعالى على العافية فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكو منه وقيل لاشىء أشد على إبليس من نوم العاصى يقول متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله(١) . وقيل أحسن أحوال العاصى أن ينام إن لم يكن الوقت له(٢) . لم يكن عليه(٣) .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول تعود شاه الكرمانى السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق فى النوم فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له فى ذلك فقال :

رأيت سرور قلبى فى منامى فأحببت التنعس والمناما

وقيل كان رجل له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لأن الإنسان لا يعصى فى تلك الحالة وقال الآخر اليقظة خير لأنه يعرف الله تعالى فى تلك الحالة فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال أما أنت فقلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة وأما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظه فالحياة خير لك من الموت(٤) . وقيل

---

(١) (متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله) فنومه رحمة له لأنه لا يعصى فى نومه لأنه غير مكلف فيه ولذلك يقال فى المثل الشعبى نوم الظالم عبادة .

(٢) (إن لم يكن الوقت له) بأن يعمل فيه خيرا .

(٣) (لم يكن عليه) بأنه لم يعمل فيه شرا .

(٤) (فالحياة خير لك من الموت) فلا خلاف وإنما ذلك محمول على حالين بعد الإتيان بالواجب أو الرواتب فمن خاف خللا فى العمل فالنوم خير له وإلا فاليقظة خير له ولهذا لما ضعف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وخشى على نفسه من ضعف العمل =

اشترى رجل مملوكة فلما دخل الليل قال افرشي فقالت المملوكة يامولاى ألك مولى قال نعم فقالت ينام مولاك لا قال قالت ألا تستحى أن تنام ومولاك لم ينم وقيل قالت بنية لسعيد بن جبير لم لا تنام فقال إن جهنم لا تدعنى أن أنام وقيل قالت بنت لمالك بن دينار لم لا تنام فقال إن أباك يخاف البيات وقيل لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها من جيرانه يا أبت الأسطوانة التى كانت فى دار جارنا أين ذهبت فقال إنه كان جارنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره فتوهمت البنية أنه كان سارية لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل فتجده قائما وقال بعضهم فى النوم معان ليست فى اليقظة منها أنه يرى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والسلف الماضين فى النوم ولا يراهم فى اليقظة وكذلك يرى الحق فى النوم وهذه مزية عظيمة وقيل رأى أبو بكر الآجرى الحق سبحانه فى النوم فقال له سل حاجتك فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال أنا أولى بهذا منك سل حاجتك وقال الكتانى رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقال من تزين للناس بشيء يعلم الله تعالى منه خلافه شانه الله وقال الكتانى أيضا رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت ادع الله أن لا يميت قلبى فقال قل كل يوم أربعين مرة يا حى ياقيوم لا إله إلا أنت .. فإن الله يحيى قلبك .. ورأى الحسن بن على رضى الله عنهما عيسى ابن مريم عليهما السلام فى المنام فقال إنى أريد أن أتخذ خاتما فما الذى أكتب عليه فقال اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنه فى آخر الإنجيل .. وروى عن أبى يزيد أنه قال رأيت ربى عز وجل فى المنام فقلت كيف الطريق إليك فقال اترك نفسك وتعال وقيل رأى أحمد بن خصروية ربه فى المنام فقال يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى وقال يحيى بن سعيد القطان رأيت ربى فى المنام فقلت يارب كم أدعوك تستجيب لى فقال تعالى يا يحيى إنى أحب أن أسمع صوتك وقال بشر بن الحارث رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين عظنى فقال ماأحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً

= تمنى الموت لخوف الخلل فى العمل .

لثواب الله تعالى وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى فقلت له يا أمير المؤمنين زدني فقال :

قد كنت ميتا فصرت حياً　　　وعن قريب تصير ميتاً

عز بدار الفناء بيت　　　فابن بدار البقاء بيتا

وقيل رؤى سفيان الثورى في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال رحمني ، فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين .. سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجي في المنام وكان الزجاجي يقول له بوعيد الأبد فقال له ما فعل الله بك فقال الزجاجي الأمر ههنا [١] أسهل مما كنا نظنه[٢] .. ورؤى الحسن بن عاصم الشيباني في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وإيش يكون من الكريم إلا الكرم ورؤى بعضهم في المنام فسئل عن حاله فقال:

حاسبونا فدققوا　　　ثم منوا فأعتقوا

ورؤى حبيب العجمى في المنام فقيل له مت يا حبيب العجمى فقال هيهات ذهبت العجمة وبقيت النعمة وقيل دخل الحسن البصرى مسجدا ليصلى فيه المغرب فوجد إمامهم حبيبا العجمى فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن [٣] لعجمة في لسانه فرأى في المنام تلك الليلة قائلا يقول له لم لم تصل خلفه لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم من ذنبك . ورؤى مالك بن أنس في المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لا يموت ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب

---

(١) (الأمر ههنا) أى في الآخرة .
(٢) (أسهل مما كنا نظنه) أى في الدنيا فوجد أن الحق خلاف ما كان يقول به وهو كذلك لأن الله تعالى قال ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾.
(٣) (لأنه خاف أن يلحن) لحناً يضر الصلاة وليس كذلك وإنما كان يلحن لحناً يسيرا.

السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو عنه راض [١] .. سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكى فى المنام على حالة حسنة فقلت يا أستاذ بم وجدت هذا فقال بحسن ظنى بربى وقيل رؤى الجاحظ فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال :

فلا تكتب بخطك غير شىء يسرك فى القيامة أن تــراه

وقيل رأى الجنيد إبليس فى منامه عريانا فقال له ألا تستحى من الناس فقال هؤلاء لا ناس [٢] إنما الناس أقوام فى مسجد الشونزيه أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد فلما انتبهت عدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤوسهم على ركبهم متفكرين [٣] فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤى النصراباذى بمكة بعد وفاته فى النوم فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال عـوتبت عتـاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال انفصال فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بالأحد ورؤى ذا النون المصرى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيـا فـأعطانى البعض وأرجـو أن يعطينى البـاقى كنت أسأله أن يعطينى من العشرة التى على يد رضوان واحدة ويعطينى بنفسه وأن يعذبنى عن الواحدة التى بيد مالك بعشرة ويتولى هو وأن يرزقنى أن أذكره بلسان الأبدية . وقيل رؤى الشبلى فى المنام بعد موته فقيل له مـا فعل الله تعالى بك فقـال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى إلا على شىء واحد قلت يوماً لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لى وأى خسارة أعظم من خسارة لقائى .. سمعت الأستاذ أبا على يقول رأى الجريرى الجنيد فى المنام فقال كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات ومـا نفعنا إلا تسبيحـات كنا نقولها بـالغدوات وقال

---

(١) (وهو عنه راضى) فيه دلالةٍ على فضيلته وهى معلومة من حاله فى الدنيا .
(٢) (لا ناس) أى ليسوا بناس يستحي منهم .
(٣) (متفكرين) فى خلق السموات والأرض ويذكرون الله تعالى .

النباجي تشهيت يوماً شيئاً فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد. وقال ابن الجلاء دخلت المدينة وبى فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت أنا ضيفك يا نبى الله فغفوت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد أعطانى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف الآخر وقال بعضهم رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام يقول زوروا ابن عون فإنه يحب الله ورسوله [١] . وقيل رأى عتبة الغلام حوراء [٢] . فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر أن لا تعمل من الأعمال شيئا يحال بينى وبينك فقال لها عتبة طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لى عليها حتى ألقاك [٣]... سمعت منصورا المغربى يقول رأيت شيخاً فى بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لى إن أردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل رزقك الله الحور العين فإنه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل إنه رأى شيئا من الحور فى منامه فبقى فى قلبه شيء من ذلك [٤] . فمضيت وسلمت عليه وقلت رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معى وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاص فدخل دهليزا لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال لى قل لأيوب السختيانى قل : ﴿ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ﴾ .. وقيل رؤى الليلة التى مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلا يقول ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة صعودا وملائكة نزولا فقلت أى ليلة هذه

---

(١) (فإنه يحب الله ورسوله) فيه كرامة لابن عون يقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم زوروه وشهادة له بأنه يحب الله ورسوله .

(٢) (حوراء) من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها .

(٣) (لا رجعة لى عليها حتى ألقاك) فيه دلالة على فضيلة عتبة بكمال زهده فى الدنيا واشتغاله بالآخرة .

(٤) (فبقى فى قلبه شيء من ذلك) فكان لا يزال مهموما بأمر الآخرة حتى يذكر له الحور العين فينبسط وينشرح ويستبشر بلقائهن .

فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه (قال الأستاذ أبو القاسم) رأيت الأستاذ أبا على الدقاق فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال ليس للمغفرة ها هنا كبير خطر أقل من حضر ههنا خطراً فلان أعطى كذا وكذا ووقع لى فى المنام أن ذلك الإنسان الذى عناه قتل نفسا بغير حق . وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل ماهذا قيل إن أهل القبور كسوا ثيابا جددا لقدوم كرز عليهم ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا فقال لأنى ما خلطت جدا بهزل قط ورؤى عبد الله الزراد فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحدا استحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له وما ذاك فقال نظرت يوما إلى شخص جميل فاستحييت أن أذكره . سمعت أبا سعيد الشحام يقول رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت له أيها الشيخ فقال دع الشيخ فقلت وتلك الأحوال التى شاهدتها فقال لم تغن عنا شيئا فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى بمسائل كانت يسأل عنها العجز فأجبتهم عليها سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول رأيت محمد الطوسى المعلم فى المنام فقال قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى ... فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

لعل الذى يقضى الأمور بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنا

قال فانتبهت وقلت ذلك لأبى سعيد الصفار فقال كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة . وحكى عن بعضهم أنه قال رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحوله جماعة من الفقراء فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان وبيد أحدهما طست وبيده الآخر إبريق فوضع الطست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغسل يده ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين

يدى فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم فقلت يارسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » فقال بلى فقلت وأنا أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وآله وسلم صب على يده فإنه منهم (١) وحكى عن بعضهم (٢) أنه كان يقول أبدا العافية العافية فقيل له ما معنى هذا الدعاء فقال كنت حمالا فى ابتداء أمرى وكنت حملت يوماً صدراً من الدقيق فوضعته لأستريح فكنت أقول يارب لو أعطيتنى كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفى بهما (٣). فإذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسى بشىء أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهى فجاء صاحب الربع (٤) فأخذهما فلما رآنى ملوثا بالدم أخذنى وظن أننى ممن تشاجر فأدخلنى السجن وبقيت فى السجن مدة أوتى كل يوم برغيفين فرأيت ليلة فى المنام قائلا يقول لى إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسأل العافية فأعطاك ما سألت فانتبهت وقلت العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل أين عمر الحمال فأطلقونى وخلو سبيلى (٥). وحكى عن الكتانى أنه قال كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له ألا تعالجها فقال عزمت أن لا أعالجها حتى تبرأ قال فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار .. وحكى عن الجنيد أنه قال رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس فوقف على ملك فقال أقرب ماتقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفى بميزان وفى قال فولى الملك عنى وهو يقول كلام موفق والله وقال رجل للعلاء بن زياد رأيت فى النوم كأنك من أهل الجنة فقال لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه

(١) (فإنه منهم) حكما فيه دلالة على أن صحبة العبد للأخيار تنفعه وإن لم يكن معهم فى المنزلة .

(٢) (بعضهم) وهو عمر الحمال كما يأتى .

(٣) (أكتفى بهما) ولم أعذب نفسى بهذا العمل .

(٤) (الربع) أى المحلة التى تجمع بعض الناس .

(٥) (وخلوا سبيلى) فى ذلك دلالة على أنه ينبغى للعبد أن لا يختار لنفسه شيئاً كما فعل الحمال حيث كره ما كان فيه من الحل واختار غيره بل يرضى بكل ما يجزيه الله عليه وإن سأل فليسأل العافية فى الدين والدنيا والآخرة .

فأشخص إلى رجلا يعينه على مقصودى من إضلالى وقيل رؤى عطاء السلمى فى النوم فقيل له لقد كنت طويل الحزن فما فعل الله تعالى بك فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقيل له فى أى الدرجات أنت فقال : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾.. الآية وقيل رؤى الأوزاعى فى المنام فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين وقال النباجى قيل لى فى المنام من وثق بالله فى رزقه زيد فى حسن خلقه وسمحت نفسه فى نفقته وقلت وساوسه فى صلاته وقيل رؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها ما فعل الله تعالى بك فقالت غفر لى فقيل بكثرة نفقتك فى طريق مكة فقالت لا أما إن أجرها عاد إلى أربابها ولكن غفر لى بنيتى .. ورؤى سفيان الثورى فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك قال وضعت أول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة وقال أحمد بن أبى الحوارى رأيت فى النوم جارية ما رأيت أحسن منها يتلألأ وجهها نورا فقلت ما أنور وجهك فقالت تذكر الليلة التى بكيت فيها فقلت نعم فقالت حملت إلىَّ دمعتك فمسحت بها وجهى فصار وجهى هكذا وقيل رأى يزيد الرقاشى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقرأ عليه فقال له هذه القراءه فأين البكاء وقال الجنيد رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لى ما الصدق فقلت الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ثم صعدا ورؤى بشر الحافى فى المنام فقيل له مافعل الله تعالى بك فقال غفر لى وقال أما استحييت يا بشر منى كنت تخافنى ذلك الخوف وقيل رؤى أبو سليمان الدارانى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى وما كان شيء أضر على من إشارات القوم وقال على بن الموفق كنت أفكر يوما فى سبب عيالى والفقر الذى بهم فرأيت فى المنام رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك فلما كان وقت الغلس أتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال خذها إليك ياضعيف اليقين .. وقال الجنيد رأيت فى المنام كأنى واقف بين يدى الله تعالى فقال لى يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذى تقول فقلت لا أقول إلا حقاً فقال صدقت وقال أبو بكر الكتانى رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن

منه فقلت من أنت فقال التقوى قلت فأين تسكن قال فى كل قلب حزين [١]. ثم التفت إلى فإذا امــرأة ســوداء كأوحـش ما يكون فقلت من أنت فقالت الضحك فقلت وأين تسكنين فقالت فى كل قلب فـرح [٢]. مـرح [٣]. قـال فـانتبـهت واعتـقـدت أن لا أضحك إلا غلبة . وحكى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم فى المنام كـأنه قال لى من عرف طريقـا إلى الله تعالى سلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى عذابا لم يعذبه أحداً من العالمين [٤] . ورؤى الشبلى فى المنام فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال ناقشنى حتى أيست فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته وقال أبو عثمان المغربى رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى يا أبا عثمان اتق الله فى الفقر ولو فى قدر سمسمة . وقيل كان لأبى سعيد الخراز ابن مات قبله فرآه فى المنام فقال له بنى أوصنى فقال يا أبت لا تعامل الله على الجبن فقال يابنى زدنى فقال لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به فقال زدنى فقال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس القميص ثلاثين سنة وقيل كان بعضهم يقول فى دعـائه اللهم الشيء الذى لا يضرك وينفعنا لا تمنعـه عنا فـرأى فى المنام كـأنه قـيل له وأنت فـالشيء الذى يضرك ولا ينفعك فدعـه وحكى عن أبى الفضل الأصفهانى أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فقلت يارسول الله سل الله أن لا يسلبنى الإيمان فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذاك شيء قد فـرغ الله تعالى منه . وحكى عن أبى سعيـد الخراز قال رأيت إبليس فى المنام فأخـذت عصـاى لأضربه فقيل لى أنه لا يفـزع منها إنما يفزع هذا من نـور يكون فى القلب وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها فى النوم تقول هداياك تأتينا علـى

---

(١) (قلب حزين) على التقصير فى القيام بما ينبغى لرب العباد لدلالة التقوى على كمال الخشية من الله تعالى قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ .

(٢) (فرح) أى مشروح .

(٣) (مرح) أى شديد الفرح لدلالتهما على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ والمراد الفرح بالدنيا فرح بطر لا فرح شكر أما الفرح بنعم الله وما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال تعالى: ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ .

(٤) (لم يعذبه أحدا من العالمين) فيه دلالة على أن عذاب العالم أشد من عذاب الجاهل.

أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ويروى عن سماك بن حرب أنه قال كف بصرى فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى ائت الفرات فانغمس فيه وافتح عينيك قال ففعلت فأبصرت وقيل رؤى بشر الحافى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لما رأيت ربى عز وجل قال لى مرحبا يابشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على الأرض أحب إلىَّ منك .



الوصية للمريدين

قال الأستاذ لما أثبتنا طرفا من سير القوم وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها وأن لا يحرمنا القيام بها ولا يجعلها حجة علينا فأول قدم للمريد فى هذه الطريقة ينبغى أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فإن الشيوخ قالوا إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول كذلك سمعت الأستاذ أبا على يقول فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفى إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا[1] . عن هذه

(١) (ارتقوا) بعمارة باطنهم بالأخلاق الحميدة وبعدهم عن الأخلاق الذميمة ومراقبتهم لربهم فى أعمالهم .

الجملة[١] . فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى

فالناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا [٢] . لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية لهم وإلا كان الأمر بالعكس هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعى رضى الله تعالى عنهما فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال الشافعى لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ماتقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى أى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد فغشى على أحمد فلما أفاق قال له الشافعى رحمه الله ألم أقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعى كان أميا منهم [٣] . فإذا كان الأمى منهم هكذا فما الظن بأئمتهم وقد حكى أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشبلى فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان تتعطل عليهم[٤] . حلقتهم لكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسألة فى الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسألة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبَّل رأس الشبلى

---

(١) (عن هذه الجملة) أى جملة القسمين فى سُدَف الظلام بضم السين وفتح الدال جمع سدفة بفتح السين وإسكان الدال وهى الظلمة .

(٢) (استسلموا) أى انقادوا بالعكس يعنى كانوا هم مستسلمين لأئمة ذلك الوقت .

(٣) (كان أميا منهم) وقد أجرى الله عن لسانه الحق حتى انتفع به العلماء .

(٤) (تتعطل عليهم) أى على أبى عمران وأصحابه .

وقال يا أبا بكر استفدت فى هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندى من جملة ماقلت ثلاثة أقاويل وقيل اجتاز أبو العباس بن سريح الفقيه بمجلس الجنيد رحمهما الله تعالى فسمع كلامه فقيل له ماتقول فى هذا الكلام فقال لا أدرى مايقول ولكنى أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه فتحير عبد الله وقال أعد عليَّ ماقلت فأعاد ولكن لا بتلك العبارة فقال عبد الله هذا شيء آخر لم أحفظه تعيده على مرة أخرى فأعاد بعبارة اخرى فقال عبد الله ليس يمكننى حفظ ماتقول أمله علينا فقال إن كنت أجزته فأنا أمليه فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذى له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة وإن كان يريد طريقة الاتباع وليس بمستقل بحاله ويريد أن يعرج فى أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلفه وليجر على طريقة هذه الطبقة فإنهم أولى به من غيرهم ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكرالرازى يقول سمعت الشبلى يقول ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة (وسمعته) يقول سمعت محمد ابن أبى على بن محمد المخرمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه ولقصدته[1] . وإذا أحكم[2] . المريد بينه وبين الله تعالى عقده فيجب أن يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدى به فرضه وإن اختلف عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط

---

(١) (ولقصدته) لأنال فضيلته وبركته .
(٢) (أحكم) أى أتقن .

ويقصد أبدا الخروج(١) من الإختلاف فإن الرخص فى الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ولهذا قيل إذا انحط الفقير عن درجة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فلا يفلح أبدا(٢) . هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا فهو عابد هواه لا يجد نفاذا ثم إذا أراد السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كل زلة فيدع جميع الزلات سرها وجهرها وصغيرها وكبيرها ويجتهد فى إرضاء الخصوم أولا ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشىء وعلى هذا النحو جروا ثم بعد هذا يعمل فى حذف العلائق والشواغل فإن بناء هذا الطريق على فراغ القلب وكان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التى تأتينى فيها غير الله تعالى فحرام عليك أن تحضرنى وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فإن ذلك الذى يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل فى هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى مامنه خرج فإذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج عن الجاه فإن ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجىء منه شىء بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف يصح أن يتبرك به فخروجهم من الجاه واجب عليهم لأن ذلك سم قاتل لهم فإذا خرج عن ما له وجاهه فيجب أن يصحح عقيدته بينه وبين

---

(١) (الخروج) من والاختلاف هل يجوز تقدير المفضول فقيل نعم ورجحه ابن الحاجب وقيل لا والمختار عند التاج السبكى جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساويا له بخلاف من اعتقده مفضولا ولا يتبع الرخص من المذاهب بأن يأخذ من كل منها ماهو الأسهل فيما يقع من المسائل كما لا يأخذ الصوفى إلا بالأحوط كما مر .

(٢) (لا يفلح أبداً) لعدم معرفته الأحكام .

الله تعالى وأن لا يخالف شيخه فـي كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمـره ومن شرطـه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه فإذا خطر ببال المريد أن له فى الدنيـا والآخرة قدرا أو قـيمـة أو على بسيط الأرض أحـدا دونه لم يصح له فى الإرادة قـدم لأنه يجب أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصـل لنفسه قدرا وفرق بين من يريـد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فـى حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليـه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه فـى الوقت ثـم يستسلم لما يحكم به عليه شيخـه عقوبة له علـى جنايته ومخالفته إمـا بسفر يكلفه أو أمر ما يراه ولا يصح للشيوخ التجـاوز عن زلات المـريدين لأن ذلك تضييع لحـقوق الله تعالى وما لم يتجرد المريد عن كل علاقـة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار بل يجب أن يقدم التجربة له فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والأسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه الى السهولة ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ولا يؤثر الدعة ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل[1] . وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء[2] . فإذا جربه شيخه فيجب عليه أن يلقنه ذكرا من الأذكار على مايراه شيخه فيأمر أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوى قلبه مع لسانه ثم يقول له اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبدا بقلبك ولا يجرى على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أن يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه إلا غلبة وأن يقلل من غذائه

---

(١) (باستحلاء حالات الكسل) واستلذاذها وإذا استلذها لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف الفترة فإن صاحبها يرجى له الرجوع إلى ماكان عليه .

(٢) (لا يجيء منه شيء) يعتد به لأنه يعتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى .

على التدريج شيئا بعد شيء[١]. حتى يقوى على ذلك [٢]. ولا يأمره أن يترك عادته بمرة فإن فى الخبر إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده فى هذه الحالة لا محالة فى نفى الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب واعلم أن فى هذه الحالة قلما يخلو المريد فى أوان خلوته فى ابتداء إرادته من الوساوس فى الاعتقاد لاسيما إذا كان فى المريد كياسة قلب وكل مريد لا تستقبله هذه الحالة فى ابتداء إرادته وهذه من الامتحانات التى تستقبل المريدين فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوساوس وأن تفرس شيخه فيه القوة والثبات فى الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع فى قلبه أنوار القبول وتطلع فى سره شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك ولكن لا يكون هذا إلأفراد المريدين فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد .. واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب وذلك أنهم إذا خلوا فى مواضع ذكرهم أو كانوا فى مجالس سماع أو غير ذلك يهجس فى نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون أن الله سبحانه منزه عن ذلك وليس تعتريهم شبهة فى أن ذلك باطل ولكن يدوم ذلك فيشتد تأذيهم به حتى يبلغ ذلك حدا يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر بحيث لا يمكن المريد إجراء ذلك على اللسان وإبداؤه لأحد وهذا أشد شيء يقع لهم فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتهال إلى الله عز وجل باستدفاع ذلك وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان وإنما هى من هواجس النفس فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن يلازم موضع إرادته وأن لا يسافر

---

(١) (شيئاً بعد شيء) لأن ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة ويستمر عليها أياما ثم أخرى ويستمر عليها أياما وهكذا فيتعود على ذلك والعادة هى الطبيعة الثانية.

(٢) (حتى يقوى على ذلك) الذى أمره به وخف نومه وينشط للعبادة وحد ذلك ما أشار إليه ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .

قبل أن تقبله الطريق وقبل الوصول بالقلب إلى الرب فإن السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر فى غير وقته وإذا أراد الله بمريد خيرا ثبته فى أول إرادته وإذ ا أراد الله بمريد شرا رده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته وإذا أراد الله بمريد محنة شرده فى مطارح غربته هذا إذا كان المريد يصلح للوصول فأما إذا كان شابا طريقته الخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء وهو دونهم فى هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر فينقطعون فى الأسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يحصلونها وزيادات لمواضع يرتحل إليها ولقاء شيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما فى هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محظور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان فى معرض الفتنة(١) . وإذا توسط المريد جميع الفقراء والأصحاب فى بدايته فهو مضر له جداً (٢) وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم(٣) والقيام بما فيه راحة فقير(٤). والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ ويجب أن يكون فى صحبته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقا واجبا ولا يرى لنفسه واجبا على أحد ويجب أن لايخالف المريد أحدا وإن علم أن الحق معه يسكت ويظهر الوفاق لكل واحد وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء وإذا كان المريد فى جمع من الفقراء إما فى سفر أو حضر فينبغى أن لا يخالفهم فى الظاهر لا فى أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره

---

(١) (كان فى معرض الفتنة) وفى نسخة الفترة أى معرضا لها تميل نفسه إلى الترويج وشغل قلبه بالأهل والولد والشهوات الدنيوية فالسفر لهؤلاء أولى لهم لأنهم يباشرون فى كل وقت من أحوال المشايخ على اختلاف آدابهم وعلومهم ومعاملتهم لربهم ما ينتفعون به .

(٢) (فهو مضر له جدا) لمنافاته ما مر من أنه مأمور بملازمة الخلوة إن كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما أنه لا يسافر لا يخالط الناس .

(٣) (وترك الخلاف عليهم) مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب .

(٤) (راحة فقير) بأن يوافقه فى أغراضه الجائرة .

وقلبه فيحفظ قلبه مع الله عز وجل وإذا أشاروا عليه بالأكل مثلا يأكل لقمة ولقمتين ولا يعطى النفس شهوتها وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد بالظاهر فإن القوم فى مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفى الغفلة عن قلوبهم لا فى تكثير أعمال البر الذى لابد لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادات من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم ورأس مال المريد الاحتمال عن كل أحد بطيبة النفس وتلقى ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة فى القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى مايشتهيه الناس فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين وعرق الجبين وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد فى خلوته مالا يجده قلبه إما فى النوم وإما فى اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهد مما يكون نقضا للعادة فينبغى أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه ولا ينبغى أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولابد له فى هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك فى عينه فإن ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته بأنى خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة بإثباته فى الكتب معتذر ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به فى موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب فى وقته لإرشاد المريدين ثم يقيم عليه ولا يبرح عن سدته إلى وقت الإذن . واعلم أن تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولا معرفة رب البيت ماوجبت زيارة البيت والشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة البيت من هؤلاء القوم من غير إشارة لشيوخ فهى بدلالات نشاط النفوس فهم متوسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم على أصل والذى يدل على ذلك أنه لا يزداد

سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة ومن شرط المريد إذا زار شيخنا أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمة فإن أهله الشيخ لشيء من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة .

فصل .. ولا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة[١]. بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعالى حده فيما يتوجه عليه من الأمر والعلم كافية فى التفرقة بين ماهو محمود وما هو معلول .

فصل .. وكل مريد بقى فى قلبه لشىء من روض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقى فى قلبه اختبار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعا من أنواع البر أو شخصا دون شخص فهو متكلف فى حاله وبالخطر أن يعود سريعا إلى الدنيا لأن قصد المريد فى حذف العلائق الخروج منها لا السعى فى أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة وينبغى أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيرا ولا يضايق به أحدا ولو مجوسياً.

فصل .. وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ ..

فصل .. ومن أصعب الآفات فى هذه الطريقة صحبة الأحداث ومن

---

(١) (فصل .. ولا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة) وإن كانوا محفوظين لأن ذلك يخالف الواقع ولأنه يؤدى إلى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم إذا صدر منهم ذنب إذ العصمة إنما تكون للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والفرق بين العصمة والحفظ أن العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا يمنع منه ولأن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأن الأولياء لا يقدح زللهم فى قواعد الدين بخلاف الأنبياء فإن المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلون بياناً للتكليف فعلم أنه ليس للمريد أن يعتقد العصمة فى المشايخ اهـ .

ابتلاه الله تعالى بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامه أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء لما فى الخبر تلويح بذلك ليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيرا وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ وهذا الواسطى رحمه الله يقول إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف .. سمعت أبا عبد الله يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول سمعت فتحا الموصلى يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى إياهم وقالوا اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم ومن ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسق وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضر وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ لما كان الأولى بهم إسبال الستر عن هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء .

فصل .. ومن آفات المريد ما يتداخل النفس من خفى الحسد للإخوان والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة وحرمانه إياه ذلك وليعلم أن الأمور قسم وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه فكل من رأيت أيها المريد قدم الحق سبحانه رتبته فاحمل أنت غاشيته فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم .

فصل .. واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه فى جمع إيثار الكل بالكل فيقدم الجائع والشبعان على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ وإن كان هو أعلم منه ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته .

فصل .. وأما آداب المريد فى السماع فالمريد لا تسلم له الحركة فى السماع

بالاختيار البتة فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون فإن استدام الحركة مستجلبا للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح فإن تعود ذلك يبقى متخلفا لا يكاشف بشيء من الحقائق فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه وفى الجملة أن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله مريدا كان أو شيخا إلا أن نكون بإشارة من الوقت أو غلبة تأخذه عن التمييز فإن كان مريدا أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة فى الحركة فيساعدهم[١] . فى القيام وفى أداء مالا يجد منه بدا مما يراعى عن الاستيحاش لقلوبهم ثم إن صدقه[٢] . فى حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم وأما طرح الخرقة فحق المريد أن لا يرجع فى شيء خرج منه البتة .. اللهم إلا أن يشير إليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه على نية العارية بقلبه ثم يخرج عنه بعده من غيرأن يستوحش قلب ذلك الشيخ وإذا وقع بين قوم عادتهم طرح الخرق وعلم أنهم يرجعون فيها فإن لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته وكان طريق هذا المريد أن لا يعود فى الخرقة فالأحسن له أن يساعدهم فى الطرح ثم يؤثر به القوال إذا رجعوا هم فيها ولو لم يطرح فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإن القبيح إنما هو سنتهم فى العود إلى الخرق لا فى مخالفته لهم على أن الأولى الطرح على الموافقة ثم ترك الرجوع فيه ولا يسلم للمريد البتة التقاضى عن القوال لأن صدق حاله يحمل القوال على التكرار ويحمل غيره على الاقتضاء ومن تبرك بمريد فقد جار عليه لأنه يضره لقلة قوته فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته .

فصل .. وإن ابتلى مريد بجاه أو معلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة

---

(١) (فيساعدهم) لأن أحوالهم تتزايد برؤية بعضهم بعضا وكل ذلك بشرط السلامة مما يخالف الشريعة من رياء وعجب ونحوهما .

(٢) (ثم إن صدقه .. إلخ) يعنى إن صدقه لا يحوجهم لسؤال بل يحمله على مساعدتهم بغير سؤال منهم .

واستنامة[١] إلى معلوم وليس هناك شيخ يدله على حاله يتخلص بها من ذلك فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع ليشوش على نفسه تلك الحالة ولا شيء أضر لقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم ومن آداب المريد أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته فإنه إذا تعلم سير هذه الطائفة وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني ولهذا قال المشايخ إذا حدث العارف عن المعارف فجهلوه فإن الأخبار عن المنازل دون المعارف ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك .

فصل .. ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر[٢]. وأن يكون لهم تلميذا ومريدا فإن المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهومحجوب عن الحقيقة لاتنفع أحد إشارته وتعليمه[٣].

فصل .. وإذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم باطنه عليه من الخلوص في الخدمة وبذل الوسع والطاقة .

فصل .. ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يجدون له أثرا فيعتذر من تقصيره ويقر بالجناية على نفسه تطييبا لقلوبهم وإن علم أنه بريء الساحة وإذا زادوه في الجفاء فيجب أن يزيدهم في الخدمة والبر . سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول إن في المثل إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سندانا وفي معناه أنشدوا :

ربما جئته لأسلفه العذ ... ر لبعض الذنوب قبل التجني

---

(١) (استنامة) بتاء فوقية ثم نون أي سكون.

(٢) (للتصدر) للتعلم وجذب القاصدين إلى الله تعالى لضعفهم فيخشى عليهم الهلاك لجهلهم بطريق الرياضة ولأنهم في مقام من يتعلم لا من يعلم .

(٣) (لا تنفع أحدا إشارته وتعليمه) لعدم أهليته لما دخل فيه ومن آدابه أن لا يتبع من المشايخ إلا من يقع له في قلبه هيبة وحرمة ويعلم أنه يؤدبه ويهديه وأنه أعلم منه بالطريق وليبتعد عن المدعين.

فصـل .. وبناء هذا الأمر(١) . وملاكه(٢) على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المد(٣) . إلى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عن المحظورات(٤) . وعد الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات(٥) وأن لا يستحل مثلا سمسمة فيها شبهة فى أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات من شأن المريد دوام المجاهدة فى ترك الشهوات فإن من وافق شهوته عدم صفوته وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى .

فصـل .. ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى فإن نقض العهد فى طريق الإرادة كالردة(٦) عن الدين لأهل الظاهر ولا ينبغى للمريد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه فإن فى لوازم الشرع ما يستوفى منه كل وسع قال الله تعالى فى صفة قوم ﴿ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ فما رعوها حق رعايتها .

فصـل .. ومن شأن المريد قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته(٧) فإذا كان له تدبير فى المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء .

فصـل .. ومن شأن المريد أن لايكون له معلوم وإن قل لاسيما إذا كان بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت .

---

(١) (هذا الأمر) أى التصوف .
(٢) (وملاكه) بفتح الميم وكسرها وهوما يقوم به.
(٣) (عن المد) أى مدها . (٤) (المحظورات) أى المحرمات.
(٥) (عن الغفلات) أى ليكف عنها بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن ير الله تعالى فإن الله جل فى علاه يراه وهو مقام الإحسان .
(٦) (كالردة .. إلخ) من حيث إن كلا منها يختل عما اتصف به مما سبق من أحواله ومقاماته قال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ﴾ الآية .
(٧) (ابن وقته) لا التفات له إلى ماض ولا مستقبل .

فصــل .. ومن شأن المريد بل من طريقة سالكى هذا المذهب ترك قبول رفق النسوان فكيف التعرض لاستجلاب ذلك وعلى هذا درج شيوخهم وبذلك نفذت وصاياهم ومن استصغر هذا فعن قريب يلقى ما يفتضح فيه .

فصــل .. ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهم ينتقص بهم قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا** ﴾ وأن الزهاد يخرجون المال عن الكيس تقربا إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى .

(قال الأستاذ) الإمام أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيرى رضى الله تعالى عنه فهذه وصيتنا إلى المريد نسأل الله الكريم لهم التوفيق [1] . وأن لا يجعلها وبالا [2] علينا وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة نسأل الله الكريم أن لا يجعلها حجة علينا ووبالا بل تكون لنا وسيلة ونوالا[3] إن الفضل منه مألوف وهو بالعفو موصوف والحمد لله حق حمده وصلواته وبركاته ورحمته على رسوله محمد النبى الأمى وآله الطاهرين وصحبه الكرام المنتخبين وسلم تسليما دائما كثيرا ..

تم بعون الله



(١) (التوفيق) خلق قدرة الطاعة فى العبد .
(٢) (وبالا) أى هلاكا .
(٣) (نوالا) أى رحمة .

فهرست الرسالة القشيرية

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

نفعنا الله به

رقم الايداع
٢٠٠٧/١٥٣٣٠
الترقيم الدولى
I - S - B - N
977- 418 - 025 - 9